

# تاريخ الأدب العربي

الجزء الثاني

في

صدر الإسلام والعصر الأموي

بتلم

السبعمي السبعمي

أستاذ أدب بدار العلوم العليا وكلية اللغة العربية

الطبعة الثانية

حق الطابع للمؤلف

١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

البن ١٥

مطبعة الغنوم بشاره الخليل بحسنة لانا



# تاريخ الأدب العربي

في

صدر الاسلام و العصر الاموي

---

بقلم

السيد السبئي يومي

مدرس أدب بدار العلوم العليا و كلية اللغة العربية

---

الطبعة الثانية

حق الطبع للمؤلف

١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

---

مطبعة العلوم و فنون الخلد بجندلا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

## تاريخ الادب العربي

في

### صدر الاسلام والعصر الأموي

هذان عصران ضم بمضيهما إلى بعض منهج الأدب بمدرسة دار العلوم العليا وكلية اللغة العربية لطلبة السنة الثانية فيهما ولكن لأعلى أن يلتقى القول عنهما مجتمعين وتصدر عليهما الأحكام معا ، فان ذلك إذا حاوله محاول جاء كلامه عاما لا يثمر ولا يفيد وجاءت أحكامه بعيدة عن مواطن الرشد والسداد لأن كليهما على ما بينه وبين قرينه من تشابه بعيد عنه بما حدث فيه من أحداث واختص به من أمور . لهذا فانا فاصلون بينهما في القول فصلا وجاعلو عصر صدر الاسلام بحكم سبقه أولا ومدته ثلاث وخمسون سنة تبدأ بقيام صاحب الدعوة ﷺ بها في مكة قبل الهجرة بأثنتي عشرة سنة وتنتهي بمبايعة الحسن ابن علي رضي الله عنهما معاوية بالخلافة سنة إحدى وأربعين مبايعة انتهت بجعل الولاية على المسلمين ملكا عضوضا لا كما كانت في عهد الخلفاء الراشدين

## عصر صدر الاسلام أثر الاسلام في العرب ولغة العرب

لغة الامة مرآة ترى عليها صورتها بالحال التي هي عليها وهي شديدة الحس والتأثر بكل ما يعثر بها ومن ثم كانت الانقلابات السياسية والدينية والاجتماعية ذات أثر بين في اللغات وبقدر ما يكون لتلك الانقلابات من قوة وسعة يكون التأثير في اللغة صعودا وهبوطا رفعه وانحطاطا . ندلى بهذه المقدمة لنحكم بأن الاسلام وهو ذلك الانقلاب الهائل الخطير قد غير من أوضاع الامة العربية تغييرا تناولها في كل ناحية من نواحيها بدرجة لم تك لأي حدث في أية أمة سواها حتى ليقال دون مبالغة ولا تزيد إنه خلقها خلقا جديدا جعلها في حسها ومعناها غير ما كان عليه أسلافها فكان لذلك في اللغة من الأثر البالغ والتغير الكبير ما نحن بصدد إجماله الآن وتفصيله في مظاهر اللغة بعد .

### الانقلاب الحسى

عاش العرب جاهليتهم محصورين في جزيرتهم لم يخالطهم فيها غيرهم ولم يرتحلواهم للاقامة بعيدا عنها وهي كما تعلم جزيرة على سعتها ليس فيها نهر يجرى ولا سهل يزرع كما للامم حولها إنما هي أرض تكاد تتقاسمها الصحاري والنجود وفيها من الجبال ذات الأودية محط الغيوث والأمطار ما ينبت العشب والكلأ تعيش عليه ماشيتهم من إبل وضأن ومعز وعلى تلك الماشية هم يعيشون ، فهي بلاد يحيا أهلها حياة البدو إلا من كان منهم في بعض أطرافها من الحضر المتمصرين وإنهم قليل .

طالبتهم هذه الحياة أن يجيدوا وصف الأرض في الناحية التي عليها بلادهم من الصحارى المترامية الأطراف ذات الرمال المحرقة والمفاوز المهلكة ومن النجود والعظيمة تشقها الأغوار البعيدة ومن الأودية المطمئنة تحدها الجبال الشاخنة وأن يجيدوا بالتبع لذلك نعت الأبل من رواحل وجزر فعلى الأبل حين الرحلة عمادهم ومن لحمانها وألبانها شبعهم وريهم ومن أصوافها وأوبرها ملابسهم وخيامهم كما يجيدون وصف نبات البادية من كلاً وعشب ورياحينها من عرار وبهار وشجرتها ذات الصلة الوثيقة بها وهى النخلة التى رعى البدو فى معرفتها والوقوف على خصائصها حتى لم يتركوا منها شيئاً دون استخدام وانتفاع؛ وطالبتهم وهم قوم يعيشون فيها على المطر إذا جادهم أخصبوا وأمرعوا وإذا أخلفهم أجدبوا وأقحطوا أن يطيلوا النظر الى السماء يتعرفون مواطن السحب والغمام الممطر منها والجمام ومهاب الرياح باردها وحارها مستقيمها ونكباتها لما لها من العلاقة الوثيقة بالمطار على أن لهم إلى نظر السماء إذا صفوا الجو وتبددت الغيوم حاجة أخرى فإن بها من النجوم ما عليه هدايتهم وفيه ارشادهم حيث يسرون فى ظلمات الليل البهيم وما كان ممراهم غالباً إلا فيه فراراً من حر الشمس التى تذيب بوهجها فى صدعابهم أدمغة الضباب

وطالبتهم وهم قوم رحل ينتجعون منابت السكلاً لا يستقر بهم قرار أن يعدوا للرحلة عدتها فيتخذوا بيوتهم من الشعر يرفعونها إذا ارتحلوا ويضربونها إذا أقاموا وأن يجيدوا نسجها من الصوف والوبر ويحسنوا رفعها بالأعمدة والاوئاد وتثبيتها بالأطناب والاسباب

ثم طالبتهم أخيراً أن يكونوا فى مآكلهم وملابسهم على حال من التقشف والتبدي لا تدع لهم تلونا فى مآكل ولا تأتقا فى ملابس ولا تنوعاً فى آنية ولا قنية لأثاث أو رياشي مما هو بالحضر كثير المشاهدة وليس عنه لسكان المدن محيص

هذا هو الميدان الحسى الذى كانت تنطلع فيه العرب جاهليتها ومنه تنزع حواسهم وبه تتأثر مشاعرهم فلا يصدرون فى تصويرهم الا عنه ولا يصفون فى حسهم الا منه ولكن الاسلام إذ جاء غير من كل هذا فلم يكذبهم بالجهد والغزو فى ممتلكات الفرس والروم حتى خرجت جماهيرهم اليها خروج السيل المندفع فلم يمض صدر من خلافة عمر رضى الله عنه إلا وقد خلفوا هاتين الدولتين فأزالوا الاولى عن رقعتها فارس والعراق وضعضوا الثانية بما أخذوا من مصر والشام وبهذا احتلوا ما اتسع من الارضين بفلحونها ويزعونها واستوطنوا معظم من المدن يتمتعون بخيرها ونعيمها وشاهدوا من مجالى الطبيعة الجديدة الانهار الجارية والسهول المخصبة ومن آثار الحضارة العريقة ما أنتجته حكمة فارس وصنعة الروم وعلم مصر فتبدلت بهم الحال غير الحال ونسوا الصحارى وابلها والنجد ووادها والبادى ونبتها ولم تعد حياتهم حبسا على المطر يتشوفونه فى الجو المتلبد ويتسمعونه فى الريح المزجج ولا هدايتهم وفقا على السماء الصافية ذات النجوم اللامعة ولا طلب عيشهم رهنا بالرحلة يشدون أكوارها ويعتلون أقتابها فمات من كلامهم كل هذا وخلصوا منه الى ما يقابله مقابلة الحضارة للبداءة أو التمتع للتكشف بل السعادة للشقاء وكانوا بذلك جد منتفعين فما هى الا ساعة من نهار حتى أشربوا هذه المدينة وتغذوا بها وامتلكوا ناصيتها وزادوا فيها وظهر ذلك عليهم ظهورا حقا ليس بالمقلد ولا المعار ثم ما هى إلا عشية أو ضحاها حتى طبعت هذه الحضارة بطابعهم واستحقوا عن جدارة بما حوروا وابتكروا نسبتها اليهم فقبل الحضارة العربية كما كان يقال حضارة كذا وحضارة كذا وحوث لغتهم كل هذا فاحسنت تصويره وأجادت نعته وأصبحت تسمع فيها منذ الصدر الاول فى ميدان الحصن ما لم تكن تسمع فى حسن أداء وسعة خيال وان كتب المغازى والفتوح للملاى بالامثلة والشواهد على ما جد فى هذا الباب وسيأتى شطر منه بعد

## الانقلاب المعنوي

جاء الاسلام والعرب شتى المذاهب مختلفة المشارب لادين بجمعهم ولا عقيدة تلتظمهم فمنهم المشرك طابد الصنم والوثن وما هو إلا حجر ينحته بيده وينقلب يعبده دون نفع يرجى ولا ضرر يخشى . ومنهم الصابىء طابدا الكواكب والنجوم لا يرى في أفولها تقصا ولا في اختلاف أحوالها طعنا . ومنهم المجموسى طابدا الناز والشمس يسجد لها في طلوعها ويقيم بيوت النيران تعظيما لشأنها . ومنهم الدهريون الذين ينكرون البعث والنشور ويقولون « ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » . ومنهم الزنادقة الثنوبون الذين يجعلون الصانع اثنين فاعل خير هو النور وفاعل شر هو الظلمة ويقولون إنهما قديما باقيان . ومنهم عباد الشياطين نخافة شرها وعباد الملائكة رجاء خيرها . ثم منهم اليهود والنصارى ومنهم غير من ذكرنا . فجاء الاسلام يدعوهم إلى دين واحد أساسه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا فبدأ تلك القواعد الخمس بالتوحيد وجعل الجهاد من أجله فرضا وآذنتهم أنه يغفر ما يشاء لمن يشاء إلا أن يشرك به قال عز شأنه « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وبذلك وحد بينهم في العقيدة وجمعهم في صعيد للعبادة وكان هذا الاتحاد القلبي النعمة الكبرى التي امتن بها عليهم حيث يقول لهم ( واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ) .

وجاء الاسلام والعرب أمرى أوهام وخرافات يدينون بالعرافة والكهانة ويعتقدون في الزجر والعيافة بل فيما هو دون ذلك من سائر الأوابد كالصدي والهامة وتعليق الخلى على الملدوغ ليسلم وكى الصحيح ليهراً الأجرى وضرب



اشور لتشرب البقر ووطء المقلاة دم الشريف ليعيش ولدها إلى غير ذلك مما قد ران على قلوبهم ونشئ أبصارهم فانزعه الاسلام منهم وانتزعهم منه وبذلك خلصت من الأوهام عقولهم وسلمت من التخريف أفكارهم .

وجاء الاسلام والعرب تدين بالعصبية والقوة يفنى كثيرهم قليلهم ويأكل قلوبهم ضعيفهم لا يزالون يوالون النهب والسلب والابتزاز والغصب تقوم بينهم الحرب لأوهى سبب ويطول على بقائها فيهم الأمد فتفتنى لذلك كبارهم وتنقطع منه ذراريهم وأنسأهم جاء فكان عليهم راية السلام يستظلون بظلها وآية الوثام يعملون على تأييدها فلا قتال إلا في نشر دين الله ولا غزو إلا في اعلاء كلمته وبذلك تم توحيد كلمتهم وصاروا يدا واحدة على من سواهم في غير تفاخر بالأبء والأجداد ولا تكأثر بالأموال والأولاد وكما سوى بينهم لجعل أكرمهم عند الله أتقاهم جعل هذا أساس تفضيلهم على غيرهم فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

وجاء الاسلام وفي العرب غلظة دونها أ كباد الأبل وقسوة أهون منها قسوة الحجارة يقتلون أولادهم للفاقة ويشدون بناتهم للقاللة ( إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ) فنعى عليهم جفوتهم وشدد النكير على فعلتهم إذ اختتم تلك الآية بقوله ( ألا ساء ما يحكمون ) وقال ( وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ) فسلكها مع جسام الحوادث تهويلا لها وتبشيعا وقال في موطن آخر ( ولا تقتلوا أولادكم خشية اطلاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ) ثم أ أكثر مطالبتهم أن يكونوا أرقاء القلوب رحماء فيما بينهم فكانوا كما أراد وظهر ذلك فيهم ظهور الشمس حتى في الشخص الواحد من مخضرميهم وآية ذلك عمر رحمة الله كان في جاهليته أقسى القساة

وفي اسلامه أرحم الرحماء إلا ما أجاب بشدته فيه داعى الدين .

وجاء الاسلام والعرب مضطربة في معاملتها تأكل الربا الفاحش وتلعب الميسر المدمر وتستقسم على أعمالها بالانصاب والازلام فتكف عما أرادت وتقدم على ما كرهت فأحل الله البيع وحرم الربا ونهى عن الميسر والاستقسام حيث نهى عن الحمر ونظم لهم معاملتهم فبدل من ظلمهم عدلا ومن فوضاهم نظاما وجعل لهم تشريعا مدنيا شاملا لم يسبقه مثله ولم يلحقه إلا ما هو منه أو هو دونه وكذلك فعل في التشرييعين الشخصى والجنائى وسائر التشريعات الأخرى مما لا تزال السمحة تعلق به سائر الشرائع وتمدد العالم منه بالبرهان الساطع والنور اللامع الذى لا ينقطع ضوءه ولا يخجى شعاعه والذى لا يزال على مدى الأيام تتكشف أسرارته وتتضاعف أنصاره فيعترف به الجاحدون ويرى بعد نظره المتبصرون وان في ذلك لآيات لقوم يعقلون

هذا طرف مما أتى به الاسلام مغيرا لنفسيات العرب في عقائدهم وعباداتهم، طاداتهم وأخلاقهم، معاملاتهم ونظم حياتهم وما كان أسرع ما طبعوا عليه وعملوا به واتخذوه الامام الذى لا يعصى والقُدوة التى لا تنسى وظهر ذلك في عامة أحوالهم وأولاهم لغتهم فقد حادوا بها عن القديم إلى الجديد فلم يك فيها للعبودات السالفة شأن ولا للآوهام والخرافات ذكر إلا ما كان على سبيل الزرابة والعيب كذلك لم تبق ميدانا للتفاخر بالعصبية والدعاء بدعوة الجاهلية وتحسين ما تقبحه العقول والافدام على ما تنفر منه النفوس دون تورع ولا حياء انما صار الشأن فيها كل الشأن لاقرار كلمة التوحيد ونشرها معالم الدين والعمل على تغذية الامة بروحه ووقفها على أسرارته حتى تستعصم بحبله الذى لا ينقطع وتستمسك بعروته التى لا تنفصم وشتان بين ما كان وبين ما أصبح لذلك كائنا من كلام فقد هجرت ألفاظ وحدثت ألفاظ وماتت بعبان ونشأت

معان وعدل عن أغراض الى أغراض وما هذا بالمحتاج الى ايراد الشواهد وضرب  
الأمثال وستأتى في أبواب النثر والشعر بعد .  
« النتيجة »

وإذن فقد تغير من العرب بالاسلام حسهم ومعناهم بصرفهم وبصيرتهم ان  
استوحوا الخيال فن ميدان غير الميدان وان استلمهموا القلب فن نفس غير  
النفس ووجدان غير الوجدان على أن التغير لم يقف بهم عند هذين الانقلابين  
وقد كانت فيهما الكفاية كل الكفاية بل أمدتهم بعامل آخر هو القرآن الكريم  
في تمام اعجازه فكان أمامهم المثل الحى وموطن المحاكاة والتقليد في كل  
ما يحاولون من قول ويريدون من كلام

بهم القرآن ببديع أسلوبه ومحكم آياته وتلاؤم فواصله فخرؤا أمامه ساجدين  
وظفقوا به يستعينون ومنه يقتبسون فكان المنبم المعين ذا الماء الصافى والقرار  
المسكين ومع تمام عجزهم عن محاكاته ظهر أثره في كلامهم لفظا وأسلوبا معنى  
وأغراضا . فأخذ بيد اللغة إلى الدرورة التي بلغتها ونهض بها الى المكانة التي  
احتلتها وحق للباحثين في الأدب من أجل ذلك أن ينسبوا اليه كل ما حدث  
بها من رقى وظهر فيها من قوة وسلطان

نعم ان الانقلابين السالفين من التأثير في اللغة ما كنا نجد آثاره لو جاء  
الكتاب كما جاءت الكتب قبله بلغة لا اعجاز فيها ولا احكام والا سلبنا الأحداث  
الدينية والسياسية قوتها وطعننا في نظم العمران والاجتماع ووقفنا إزاء الحوادث  
تكذب دعوانا وتقوم شاهدة على النقيض منها ولكن القائلين بهذه النسبة  
لا يقفون من أثر القرآن في اللغة عند حد الفصاحة والبلاغة في الالفاظ والأساليب  
من حيث التعبير عن المعانى والأغراض والمطابقة التامة لمقتضيات الأحوال  
حتى يكون لما أوردناه آتفا محل للإيراد إنما يتجاوزون هذا الجانب منه إلى

أنه موطن التشريع والتعليم والتقويم والتهديب والى أن هذا الانقلاب المعنوي قد جاء بدعوته وتم على يده فكل ما عرا العرب منه اليه ينتسب ومنه ينشعب لامبالغة في هذا ولا مرأ - أما ذلك الانقلاب الحسى فرجعه اليه آت من تشريعه الجهاد فان الدعوة المحمدية لم تجيء خاصة بقوم صاحبها كما كانت سوائف الدعوات بل جاءت عامة للناس كافة وتقرر لتحقيق هذا التعميم الجهاد وكلف صلى الله عليه وسلم أن يدعو الأمم جمعاء الى دين ربه فأما أجابوا وسمعوا واما غزاهم لسعادتهم بالسيف غزوا كذلك فعل في حياته وبه اقتدى خلفاؤه بعد مماته فخرج العرب من جزيرتهم الى ما أسلفنا من أقاليم ذات مزارع وأنهار ومدن وأمصار شاهدوا فيها ما شاهدوا من كل جديد عليهم وتأثروا بما تأثروا من كل غريب عنهم وبذلك انقلبوا الانقلاب الحسى المذكور . ولولا تشريع الكتاب للجهاد تشريعا جعل الموت فيه الى العرب أحب من الحياة وجعل الخنساء وقد قضت جاهليتها باكية أخاها لأبيها تسجد لله شكرا حين جاءها من القادسية نعى بنيتها أقول لولا ذلك لما فتح العرب تلك انفتوح ولما خرجوا من جزيرتهم للجهاد ثم للاقامة هذا الخروج . من هنا يكون صدق الدعوى واستقامة الكلام وبهذا أدين ومن ثم وجب أن يكون للقرآن دراسة مستفيضة في صدر الاسلام تشرح ماله باللغة من علاقة وفي شتى نواحيها من تأثير ضامة إلى ذلك على سبيل الاجمال ما قد يعتبر في ظاهره من غير الموضوع ولكن لا بد منه أن يكون وهذا ما سنجرى عليه إن شاء الله تعالى وهو المستعان .

# القرآن الكريم

## ١ - نزوله

القرآن الكريم هو ذلك الكتاب الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي اليه من ربه نزل به الروح الأمين على قلبه ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين والوحي لغة مصدر وحيت إليه كأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره فهو إعلام في خفاء وقد يطلق ويراد منه الموحي به وهو كل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه ولكنه غلب في الحالين على ما كان بين الله وأنبيائه ومن ثم عرف شرعاً بأنه عرفان يجده النبي في نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله أو بأنه كلام الله تعالى المنزل على أنبيائه .

وليس في إمكان الوحي خلاف لأن الله جلت قدرته أوجد هذا العالم وحدة متصلة الأجزاء في مواليده الثلاثة من جماد ونبات وحيوان فترى في بعض الجماد شيئاً من خواص النبات كالنمو وفي بعض النبات شيئاً من خواص الحيوان كالحس ثم هذا الحيوان لم يزل الرقي في الحس يطرد في أنواعه حتى وصل بالإنسان إلى هذا الحد الذي مازه عن جميعها وجعله كأنه جنس آخر ليس منه لما ظهر فيه من قوى الشعور والفكر والارادة التي هي مظاهر العقل وهذه القوة العاقلة التي ميزت الإنسان عن سائر الحيوان قد تفاوتت فيه تفاوتاً بعيداً لم يك منشؤه اختلاف مراتب التعليم فحسب بل رجع كثير منه إلى أصل الفطرة التي لا كسب للإنسان فيها حتى أصبح ما هو نظري عند شخص بدهياً عند من هو أرقى منه وهكذا لم تزل المراتب تعلق وترتقى حتى اتصلت في بعضه بما هو في هذا العالم اللطيف من المادة مما نعرفه بالملاء الأعلى أو الوجود اللطيف

فشعرت به بصيرته وإن غاب عن بصره فنفوس الانبياء عليهم السلام قد بلغت من نقاء الجوهر في أصل الفطرة مبلغا عظيما جعلهم في الدررة العليا من مراتب الانسان فاصبحوا بمحض الفيض الالهي مستعدين لان يتصلوا بالله في علاه فترات يوحى اليهم فيها بما يتلقونه من تعاليم يبلغونها ويدعرون إلى العمل بها هذا مع تأييدهم بالمعجزة التي تفهم الناس على الايمان بهذا الاتصال وان عجزت نفوسهم لقصرها عن فهم كنهه وادراك كيفه على الوجه الذي بيناه .

وللوحى كيفيات منها أن يأتي به الملك النبي ﷺ مسبوقا بمثل صلصلة الجرس صوتا متداركا يسمعه ولا يكاد يثبت أول ما يسمعه ثم يفهمه بعد ولعل الحكمة في هذه الصلصلة أن يفرغ له سمعه فلا يبقى فيه مكانا لغيره وهذه الحالة أشد حالات الوحي عليه . قال عبد الله بن عمر . سألت النبي صلى الله عليه وسلم هل تحس بالوحى ؟ فقال « أسمع صلاصلا ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى الى إلا ظننت أن نفسى تقبض » . ومنها أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه كما قال صلى الله عليه وسلم « وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعنى ما يقول وهو أهونه على » . وانما كانت هذه أهون من تلك لان الاتصال فيها يأتي بانسلاخ الملك عن ملكيته الى البشرية بعكس الاولى فان الاتصال فيها يجيء من انسلاخ رسول الله عن البشرية الى الملكية ولذلك كان يفهم عنه فيها في شدة القرو وهو يتفصد عرقا . هاتان ها أغلب حالات الوحي والاولى أكثر من الثانية . وهناك حالان آخريان، أن ينفث الملك في روعه الكلام نقفا كما قال صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعى » أو أن يأتيه في النوم فيكلمه . على أنه يمكن ارجاءهما الى السابقتين . أما كلام الله سبحانه وتعالى لنبيه في اليقظة كما في حديث الاسراء أو في النوم كما في بعض الاحاديث الاخرى فالصحيح أن ليس في القرآن منه شيء وكله نزل على الحالات السابقة بوساطة

الملك وان كان بعضهم عد من الكلام المباشر آخر البقرة من ( آمن الرسول )  
وبعضاً من سورتي الضحى والشرح .

وقد نزل القرآن منجماً في بضع وعشرين سنة ولم يتركنا نبحت عن الحكمة  
في تنجيّمه فجاء بها ظاهرة في كثير من آيه قال حكاية عن الذين كفروا وإجابة  
لهم ( وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به  
فؤادك ورتلناه ترتيلاً ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ) وقال  
( وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ) وأول ما نزل من  
القرآن كان في شهر رمضان وهو ( اقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان  
من علق . اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم )  
وآخر ما نزل على الصحيح آيات الربا والدين وبينهما ( واتقوا يوماً ترجعون  
فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ) من سورة البقرة .  
أما القول بأن الآية ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت  
لكم الاسلام ديناً ) ينبغي أن تكون آخر ما أنزل كما هو رأى البعض على أن  
تكون النعمة القرآن فليس حجة إذ المعروف أن هذه الآية نزلت بعرفة  
عام حجة الوداع حين حج المسلمون البيت وحدهم وكانوا من قبل يخاطبهم في  
حجهم المشركون

وللقرآن إحصاءات كثيرة من حيث نزوله أهمها المكي والمدني وقد  
اختلف فيهما فقيل المكي ما وقع خطابه لأهل مكة ولو في المدينة والمدني ما وقع  
خطابه لأهل المدينة ولو في مكة ولكن هذا لا يتفق والغرض من بيان المكي  
والمدني وهو معرفة السابق من المسبوق والناسخ من المنسوخ على أن من القرآن ما نزل  
بغير هذا الخطاب . وقيل المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل  
بالمدينة ولا يكون طبعاً الا بعدها ولكن هذا ليس شاملاً أيضاً لان من

القرآن ما نزل في غيرها . والذي عليه المعول أن المكي ما نزل قبل تمام الهجرة ولو في غير مكة كالذي نزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه الى المدينة مهاجرا والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة كالذي نزل عام الفتح أو في حجة الوداع وأغلب القرآن نزل بمكة لأن البعثة كانت فيها ولطول ما أقام النبي بها .

ويغلب على معاني الآيات المكية الدعوة الى التوحيد وذم الشرك واثبات البعث والترغيب في الثواب والترهيب من العقاب ووصف الجنة والنار وسائر السمعيات وذكر القصص السالف للأنبياء والاداب العامة اللازمة للحياة كما يغلب على ألفاظها شدة الأسر وقوة التبليغ ليشتد بها عضد رسول الله ويقوى جانبه حيث يعز الناصر ويقل المعين . أما الآيات المدنية فقد غلب عليها ذكر الحوادث في الغزوات لاستخلاص العبر منها وتفصيل ما شرع من العبادات والمعاملات لتعمل بها وبيان ما أصبح يحتاجه هذا المجتمع الجديد من النظم الاجتماعية الملائمة في عبارات تلائم ذلك

وفي تمييز المكي من المدني على الرأي الذي تخيرناه آنفاً خلاف كبير غير أن المعتمد عليه أن المدني عشرون سورة وهي : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانفال والتوبة والنور والاحزاب والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والجمعة والمنافقون والطلاق والتحریم والنصر، والمختلف فيه أربع عشرة هي الفاتحة والرعد والحج والرحمن والصف والتغابن والانسان والتطيف والقدر والبينة والزلزلة والاحلاص والقلق والناس . والثمانون الباقية مكية . وإذ نرجح في المختلف فيه مكية الفاتحة والتطيف والقدر والاحلاص والقلق والناس ومدنية الثماني الباقيات يكون المكي ستاً وثمانين سورة والمدني ثمانياً وعشرين وهو الذي جرى عليه التحقيق في المصحف المصري الأُميري الذي تمت مراجعته سنة سبع وثلاثين وثلثمائة بعد



الألف . هذا على أن بعض السور في كل نوع يشتمل على بعض الآي من الآخر وكل ذلك يميز معروف ولكن تقع التسمية للسورة بالغالب فيها

## ٢ - جمعها وروايتها

كانت الآية أو الآيات أو السورة إذا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعها الحاضرين من أصحابه وإذا لم يك منهم حضور أبلغهم إياها وأعلمهم موضعها فيحفظونها وكانوا يتشوفون مثله إلى الوحي تشوف الظمان إلى زلال الماء فكان كل ما ينزل دائم الحفظ في جهرتهم غير أن جملهم كان يحفظ ولا يقرئ وأشهر مقرئهم سبعة هم عثمان وعلي وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري، ولم يك يقتصر رسول الله في المحافظة على القرآن على حفظ الحفاظ بل كان يطلب إلى كتاب وحيه وأشهرهم عثمان وعلي وزيد بن ثابت وأبي بن كعب أن يكتبوا ما نزل في العصب واللخاف والعظام والرقاع فكان القرآن في عهده مكتوبا في هذه الأشياء كما هو محفوظ في الصدور مرتب الآي غير أن تلك الأشياء لم تك مجموعة بعضها مع بعض بل كانت مفرقة عند أصحابه حين لحق بالرفيق الأعلى ولم تزل الحال كذلك حتى كانت حروب الردة واستحجر القتل في واقعة اليمامة بالقراء فقتل منهم نحو السبعين وخشى عمر أن يستحجرهم في سائر المواطن فيذهب كثير من القرآن فأهاب بأبي بكر أن يأمر بجمعه فاستدعى رضى الله عنه زيد بن ثابت فقال له على ما حدث زيد عن نفسه : « إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجعه قال زيد فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن ثم قال فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور

الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصارى لم أجدها مع غيره « يقصد ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم ) إلى آخر السورة فكانت تلك الصحف عند أبي بكر حتى قبض ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين الى أن طلبها منها عثمان رحمه الله لتلجمع اثنان أو الثالث إن سمينا ما حدث في عهد النبي ﷺ جمعا على غير المشهور من عدم تسميته بالجمع إذ لم يعد الكتابة الى جمع الصحف بعضها مع بعض كما كان في جمع أبي بكر وقد تقدم وجمع عثمان وها هو ذا :

تقدم أن حفظة الصحابة للقرآن في عهد النبي ﷺ كانوا كثيرين وأن أشهر مقرئهم سبعة ذكرنا أسماءهم فن هؤلاء السبعة أخذ التابعون وهم كثيرون جدا وعن التابعين أخذ الجم الغفير من المسلمين فامتلات بالقراء على عهد عثمان الامصار وأفضى ذلك الى انفراج مسافة الخلف في رواية الكتاب وحدث أن تنبه لذلك حذيفة بن اليمان وهو يغازى أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزعه هذا الخلاف ولم يكذب يعود من غزوه حتى أسرع الى عثمان يقول له : أدرك الامة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى اليها الصحف ننسخها في المصاحف ثم زدها اليك فأرسلت بها اليه فأمر زيد بن ثابت الانصارى وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشيين أن ينسخوها في المصاحف وكان مما قاله للقرشيين اذا اختلفتم أنتم وزيد في رسم شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانه انما أنزل بلسانهم ففعلوا وكان ذلك في خمسة مصاحف على المشهور بعث بأربعة منها الى مكة والكوفة والبصرة والشام وأبقى عنده بالمدينة خامسها وقيل كانت ستة على أن ما أبقاه لنفسه كان له خاصة غير مصحف المدينة ثم أمر بكل ما عدا ذلك أن يحرق ورد انصحف القسديمة إلى م - ٢ أدب

حُفْصَةُ كَمَا قَالَ وَعَرَفَ مَصْحَفَهُ بِمَصْحَفِ عُمَانَ أَوْ بِالْمَصْحَفِ الْإِمَامِ  
 مِنْ ذَلِكَ يُتَبَيَّنُ أَنَّ الْغَرَضَ مِمَّا سَمِيَ جَمْعًا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ كَانَ تَرْتِيبُ  
 الْآيِ فِي سُورِهَا وَمَنْ جَمَعَ أَبِي بَكْرٍ كَانَ الْمَحَافِظَةُ عَلَى الْقُرْآنِ أَنْ يُضَيِّعَ بَعْضُهُ  
 بِذَهَابِ الْقُرَاءِ وَمَنْ جَمَعَ عُمَانُ كَانَ تَوْحِيدَ الرَّسْمِ لِكَيْلَا يَنْشَأَ عَنِ الْخِلَافِ فِيهِ  
 تَعَدُّدُ الْقُرَاءَاتِ. وَإِذْنُ تَرْتِيبِ الْآيِ فِي سُورِهَا تَوْقِيفِيٌّ بِعَمَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
 مِنْ غَيْرِ مَا خِلَافٍ. أَمَّا تَرْتِيبُ السُّورِ فَخَفِيفٌ كَانَ بِتَوْقِيفٍ مِنْهُ أَيْضًا عَرَفَهُ مِنْ  
 مَعَارِضَةِ جِبْرِيلَ لَهُ فِيمَا كَانَ يُنْزَلُ كُلَّ حَامٍ وَفِي الْقُرْآنِ كُلَّهُ مَرَّتَيْنِ بَعْدَ تَمَامِ نَزُولِهِ  
 فِي السَّنَةِ الْآخِرَةِ. وَقِيلَ كَانَ بِاجْتِهَادِ الصَّحَابَةِ بِدَلِيلِ اخْتِلَافِهِمْ فِي هَذَا التَّرْتِيبِ  
 فَقَدْ كَانَ مَصْحَفٌ عَلَى مَرْتَبِ السُّورِ عَلَى حَسَبِ النُّزُولِ وَكَانَتْ مَصَاحِفُ غَيْرِهِ  
 عَلَى التَّرْتِيبِ الْمَعْرُوفِ مَعَ بَعْضِ خِلَافٍ بَيْنَهُمْ فِيهِ كَمَصْحَفِ أَبِي بَنِي كَعْبٍ وَعَبْدِ اللَّهِ  
 ابْنِ مَسْعُودٍ وَلَا يَتَّفِقُ هَذَا مَعَ التَّوْقِيفِ وَهَذَا هُوَ الْارْجَحُ وَلَا اعْتِدَادٌ بِمَا  
 يَقُولُهُ ذُو الرَّأْيِ الْأَوَّلِ مِنْ أَنَّ التَّرْتِيبَ لَوْ وَقَعَ بِالْاجْتِهَادِ لَتَوَالَتْ التَّسَابِيحُ  
 وَذَوَاتُ الْأَلْفِ وَاللَّامِ وَالْمِيمِ كَمَا تَوَالَتْ الْحَوَامِيمُ وَلَمَّا فَصَّلَ بَيْنَ طَسَمِ الشُّعْرَاءِ  
 وَطَسَمِ الْقَصَصِ بِالْمِثْلِ وَلَا بَيْنَ ذَوَاتِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ وَالرَّاءِ بِالرَّعْدِ إِذْ لَا يَبْعُدُ أَنْ  
 يَكُونَ الصَّحَابَةُ قَدْ اسْتَأْنَسُوا بِشَيْءٍ فِي اجْتِهَادِهِمْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ غَيْرِ التَّوْقِيفِ  
 حَمَلَهُمْ عَلَى مَخَالَفَةِ الظَّاهِرِ فِيمَا سَلَفَ مِمَّا لَمْ يَكْ يَقْضَى بِهِ مَطْلُوقِ الْاجْتِهَادِ كَمَا لَا يَبْعُدُ  
 أَنْ تَكُونَ الْمَعَارِضَةُ وَإِنْ وَقَعَتْ لِمُرَاجَعَةِ التَّرْتِيبِ فِي آيِ السُّورِ لَا السُّورِ نَفْسِهَا  
 قَدْ وَقَعَتْ فِي بَعْضِ السُّورِ مَجْتَمِعَةً عَلَى التَّرْتِيبِ الْمَعْرُوفِ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ كَانَ الْمَصْحَفُ الْإِمَامِ قَدْ ضَبَطَ الرَّسْمَ عَلَى عَهْدِ عُمَانَ كَيْلَا تَنْسَعِ  
 مَسَافَةُ الْخِلْفِ بَيْنَ انْقِرَاءِ فَنَ أَيْنَ تَعَدَّدَتِ الْقُرَاءَاتُ وَحَدَّثَتْ فِيهَا مِنْ التَّنَوُّعِ الشَّيْءِ  
 الْكَثِيرِ وَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنَّ تَعَدُّدَ الْقُرَاءَةِ لَمْ يَكْ مَرْجِعُهُ اخْتِلَافُ الرَّسْمِ وَحَدَّهُ  
 بَلْ كَثِيرُهُ يَرْجِعُ إِلَى اخْتِلَافِ الْعَرَبِ فِي لَهْجَاتِهَا وَفِي نَظَرِهَا إِلَى إِعْمَالِ بَعْضِ

الأدوات أو إهمالها وبخاصة إذ لم يأت القرآن كله بلغة قريش بل أتى فيه ما ليس بالقليل من غيرها وبذلك كان يقرأ رسول الله ويقرىء صحابته . هذا على أن بعض الاختلاف في القراءة كان مرجعه رسم المصحف الامام نفسه لأن الخط العربي لأول الاسلام لم يك بالغا حد التوسط بله الانتقان كما قال بذلك في مقدمته ابن خلدون حيث حكم هذا الحكم ثم قال « وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة بخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها واقتنى التابعون من السلف رسمهم فيه تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه » فهذا مع خلو الكتابة من الاعجام والشكل إذ ذاك ومع ما تقدم من اختلاف لهجات العرب قد فتح أمام القراء أبوابا واسعة للخلاف جريا وراء التجويز والتأويل فلم تكذب المائتان حتى تجاوز الحصر عدد القراء ولكن الناس مع هذا التجاوز كانوا على قراءة سبعة مشهورين هم أبو عمرو بن العلاء وأبو محمد يعقوب ابن اسحق الحضرمي بالبصرة ، وحمزة بن حبيب الزيات وعاصم بن أبي النجود الأسدي بالكوفة وعبد الله بن طامر اليحصبي بالشام وعبد الله بن كثير بمكة ونافع بن أبي نعيم بالمدينة فهؤلاء السبعة هم الذين اشتهروا بالاختلاف أصلا غير أنه قبيل الثلاثمائة حذف منهم يعقوب وأثبت مكانه علي بن حمزة الكسائي فأخطرت يعقوب مع أبي جعفر يزيد بن القعقاع ، وأبي محمد خلف بن هشام وعرفوا بالقراء الثلاثة بعد السبعة المذكورين فكانت القراءات عشرة ثم عرفت القراءات الاربع لمحمد بن يحيى المكي والأعمش الكوفي والحسن البصري ويحيى اليزيدي بعد فكانت القراءات أربع عشرة ، والمشهور أن السبع متوارة والثلاث آحاد والأربع شاذة ولكن هذا الحكم باعتبار الأغلب فيها إذ القراءة تنقسم إلى صحيحة لا يجوز ردها ولا يحل انكارها ويجب على الناس

قيومها وهي ما صح سندها ووافقت العربية ووافقت رسم المصحف الامام وتسمى المتواتر أو المشهور سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن غيرهم ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة فالضعيفة ما صح سندها وخالفت الرسم أو العربية وتسمى الآحاد والشاذة ما لم يصح سندها ووافقت الرسم والعربية . أما الباطلة فهي ما زيدت في القراءة على وجه التعبير كقراءة سعد بن أبي وقاص « وله أخ وأخت من أم » بزيادة « من أم » خلافا للمعروف .

بقي أن نذكر شيئا عن معنى قوله صلى الله عليه ﷺ أنزل القرآن على سبعة أحرف ﷻ وهو حديث متواتر لا مطعن فيه . فبعضهم يفسر الأحرف باللغات ويقول إن القرآن وإن نزل معظمه بلغة قريش قد جاء فيه ما ليس بالقليل من لغات غيرها وإن هذه اللغات لا تتجاوزت قبائل هي كنانة وأسد وهذيل وضبة من إلباس ، وبنو سعد وثقيف من قيس وكل هذه مضرية . وبعضهم لا يحصر اللغات النازل بها القرآن في سبع وإنما يقول إن المراد بالأحرف ما تختلف فيه تلك اللغات وإن وجوه الاختلاف لا تعدو سبعة أشياء هي الإبدال والتقديم أو التأخير والزيادة أو النقصان وعلامات الاعراب وحركات البناء والتفخيم والامالة ؛ وكلها واردة في القرآن . وبعضهم يقول إن المراد بالأحرف وجوه القراءات التي تتقلب على الكلمة الواحدة فإنها لم تتجاوز على كثرة ما عرف بعد حصر وجوه القراءات في أية كلمة سبعة تغيرات . وكل هذه الأقوال مبينة على تفسير معنى الأحرف من جهة الالفاظ

وهناك من يفسرها من ناحية المعاني ويذكر لذلك سبعة أشياء لا يخرج عن دأرتها مراعى القرآن على خلاف في عد هذه الأشياء ثم يرجح هذه الناحية وبين الأغراض السبعة بحديث آخر تنتهي روايته الى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ( نزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف

زاجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله وافعلوا بحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا ) ولكن هذا ليس نصا إذ يجوز أن هذا التفسير للابواب لا للأحرف . على أن فريقا ثالثا قال إن الحديث من المشكل الذي لا يتعين معناه لاشتراك الحرف في معان كثيرة منها ما ذكرنا ومنها غيره مما لا يبعد معه التأويل والله ورسوله أعلم بالمراد .

### ٣ - اعجازه

بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم يحمل الى العرب في غير موارد دعوتهم الى الخروج من دينهم والافلاج عن كثير من عاداتهم وصفاتهم خروجا يتجردون به عما كان يعبد آباؤهم ويغيرون من أجله صفات الاشياء الواقعة بين أيديهم فيحلون كثيرا مما كان حراما ويمرمون أكثر منه كان طلقا حلالا ثم شاء أن تكون معجزته اليهم وفق ما كان للانبياء قبل في الباب الذي يعرفون لانفسهم فيه نبوغا ويدنبون بأن لهم على ولوجه قوة واقتدارا وهو باب الاعراب والبيان . فقد عرف ذلك منهم ولهم منذ اقدم ولم يزالوا يذهبون فيه قدما ويرقون به صعدا حتى جاء الاسلام وقد بلغوا فيه المبلغ الذي لا يداني وعلاوا في الفصاحة والبلاغة علوا كبيرا فعدت لذلك أسواقهم وزخرت به مجامعهم وأنديتهم .

شاء ذلك فأنزل إليه كتابه بأساوب راعهم وبيان بهرهم يدعوهم إن صدقوا الى الخروج عما هو لهم كما بينا آنفا وإنه لعدير على النفس وهي بنت الوراثة والعادة أن تترك ما كان عليه الآباء والاجداد وتخلص من عادات اختلطت فيها بالدماء واللحوم فان أبو الاطفغانا وكفرا وتكذبا لمحمد فيما قال

إنه من عند ربه وبهتاء، كان لهم أن يقرروا على ماورثوا وعلى ومحمد أن يبيع في داره تاركا ما ادعى ولكن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو شيء من مثله إن كانوا صادقين .

تهداهم الكتاب هذا التحدى وأخذ يتنزل في المقدار الذى يتهداهم به من القرآن كله الى عشر سور الى سورة واحدة في عبارة قارصة وسخرية لاذعة وهم ذوو الأثمة والحمية والغضب الجائحة المضرية واضعا هذا الأتيان في كفة واللقاء الى محمد بالسلام في أخرى وما كان محمد بنى العشرة المدافعة ولا الكثرة الرائعة فان عشيرته الأدين كانوا عليه لا له صامدين ضده لامعه وهو ذلك الرجل الذى نشأ يتيا فقيرا لا يملك من حطام هذه الدنيا شيئا ولا من جاهها كثيرا ولا قليلا سوى ماهيأه له المولى جل شأنه من استكمال صفات البرية وتوافر ماتحتاج هذه الدعوة فتركوا الأتيان بشيء من مثل هذا القرآن وهم فرسان الفصاحة ورجال البيان وفضلوا أن يبوءوا بخذولين مقهورين تاركين حميتهم وأنفتهم يناها بالم يك يناها من خزي وطار وأنصارهم وشيعتهم يتسللون الى محمد لو اذا مؤمنين فذا ذلك وعن أى شيء يكون؟ إنه للدليل الناصم والبرهان القاطع على أن أولئك القوم قد عجزوا عن التكلم بمثل هذا القرآن ولو قدروا لتكلموا ولقارعوا محمدا بالحجة وأخذوا حتى تستقط دعواه في يده وتقع نبوته صرعى لا ترى لها من مقيل

على أن محمدا هذا لم تكذ تتجمع حوله الأنصار والاتباع ويمس بشيء من القوة المادية والمتاع حتى انتقل من الدعوة باللسان إلى الدعوة باللسان فشن عليهم الغارات تلو الغارات لا يزال يغادهم بها ويروحهم وهو في كل ذلك يتهداهم فلم يك منهم إزاء هذا الموقف الجديد في خشوته، وشدة وطأته عليهم وقوته، إلا ركوبه أيضا كما يركب المضطر صعاب الأمور ويقبل المرغم عجزا ماتعافه النفوس ثم لم يزل يعمل فيهم السيف وهم كارهون ويقتل منهم

الصناديد وهم راغمون ويحتل عليهم الديار وهم وادعون طيلة من الزمن كافية  
 لإخراج الصدور وإخراج ما عسى أن يكون قد بقي في الكنانة من سهام فلم  
 يجيبوا هذا التحدى على كثرة ما أخرجوا ولم ينثروا من كسنتهم غير ما نثروا  
 وبذا حقت عليهم كلمة الإعجاز وكان الذين آمنوا بها أضعاف من آمنوا بالسيف  
 والقتال وصح لسلك انسان أن يسوق ما قدمنا دليلا عقليا على الإعجاز يخص  
 به العرب أولا وسائر الناس ثانيا دون حاجة إلى التعرض للوجوه الفنية للإعجاز  
 ولا إلى شرط الوقوف على العلوم البلاغية فيمن يساق اليهم هذا الدليل

حدث الحاحظ في هذا الموضوع قال : -

بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا  
 وأحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة، فدمأ أقصاها وأدناها إلى توحيد الله  
 وتصديق رسالته . دماهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذي  
 يمنعمهم من الاقراز الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم بالسيف  
 فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم وأعمامهم وبنى أعمامهم وهوفي  
 ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحا ومساء إلى أن يعارضوه ان كان كاذبا  
 بسورة واحدة أو بآيات يسيرة فكأما ازداد تحديا لهم بها وتقريرا لعجزهم عنها  
 تكشف من نقصهم ما كان مستورا وظهر منه ما كان خفيا فحين لم يجدوا حيلة  
 ولا حجة قالوا له أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا  
 يمكننا قال فها توها مفتريات فلم يرم ذاك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولو طمع  
 فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر  
 فيه ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض . فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع  
 كثرة كلامهم واستجابة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة  
 من هجاه منهم وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته لأن سورة واحدة وآيات



يسيرة كانت أتقض لقوله وأفسد لأمره وأبلغ في تكذيبه وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج من الاوطان وإتفاق الاموال وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأى والعقل :طبقات ولهم التصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ المنشور . ثم تحدى به أقصاهم بعد أن ظهر عجز أدناهم . فحال أكرمك الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الامر الظاهر والخطأ المكشوف البين مع التقريم بالنقص والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة في الامر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة وكما أنه محال أن يطيقوه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط في الامر الجليل المنفعة فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويمجدون السبيل اليه وهم يبذلون أكثر منه..

هذا مقاله إمام المترسلين وزعيم البيانين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في الاستدلال على أن عجز العرب عن مجارة الكتاب كان حقا واقعا نقله الينا التواتر الصحيح الذى لا يتطرق اليه الشك ولا التأويل . ولقد رأيت إثباته هنا عقب ما قدمت عن هذا العجز من الناحية العقلية إداما له وتأبيدا في أنه الحجة البالغة والبيينة القاطعة لمن لم يرد الدخول في تفاصيل الاعجاز وبيان الوجوه التى اعتورها في شأنه العلماء عيامنه عنها أو عجزا من السامع في فهمه ليكون هذا بمثابة مقدمة للاعجاز قبل الخوض في هذى الوجوه.

## وجوه الإعجاز

ليس بين العلماء خلاف في أن العرب عجزوا أمام تحدى القرآن إياهم فلم يأتوا بشئ من مثله ولكن منهم من لم ينسب هذا العجز إلى ضعف فيهم أقعدهم عن المحاكاة ولا إلى قوة بلاغية في القرآن وقفوا أمامها خاسمين وإنما نسبه إلى أن الله سبحانه وتعالى صرفهم مع قدرتهم أن يحاكوه صرفاً وهذا هو القول بالصرنة المنسوب إلى النظام زعمانه أن ذلك أدل على تأييد الله رسوله لأن إعجاز القادر أقوى دلالة على هذا التأييد من عجزه حق ولتصور فيه ولكن ذلك قول ظاهر الفساد واضح البطلان لم يقل به غير صاحبه ولولا أنه النظام أحد شيوخ المعتزلة وأستاذ الجاحظ وإن كان الجاحظ لم يرتض منه هذا القول على ما ذكرناه، ما تعرض لبقده أحد من الباحثين وهذى أدله الفساد إن كان في حاجة إلى تدليل

أولاً : - لو كان عجز العرب بالصرفة ولم يكن القرآن نفسه معجزاً مثلاً من كل فضيلة له على غيره من الكلام والصدور عن كثير من العرب عجب ودهش من تلك القوة الخفية التي تحول بينهم وبين أن يقولوا ولا تزال في صدورهم أفئدة لم تزل وفي أفواههم ألسنة لم تعقد فما بال ذلك لم يصدروا وما بهم كان الظاهر عليهم وهم نقدة الكلام وصيارفة القول العجب العجاب من فصاحة القرآن والدهشة الآخذة من بلاغته حتى كان الكثير منهم على عناده وكفرانه يسجد لفصاحته وبيانه وقد أثر في ذلك الكثير وله أسلم الجهم الغفير . روى أن أعرابياً سمع قوله تعالى « فلما استيأسوا منه خامسوا نجياً » فقال أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام . وروى أن آخر سمع قارئاً يقرأ ( فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ) فسجد وقال سجدت لفصاحته ، وهذا صبر على قسوته وشدة قبل إسلامه دخل على أخته وزوجها وهما يقرآن سورة

طه فرق قلبه لما سمع وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم من ساعته، وانا لنسوق هنا حديث الوليد بن المغيرة وقد سمع من النبي عليه الصلاة والسلام ( إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ) فرق قلبه لهذا البيان وعلمت بذلك قريش وهو فيهم من هو فأناه أبو جهل فقال له يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه كيلا تأتي محمدا تعرض لما يقول فقال قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك كاره له فقال « وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا والله ان لقوله الذى يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمنمى أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته » قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعنى حتى أفكر فلما فكر قال ( هذا سحر يأثره عن غيره ) ذلك ما قال الوليد بن المغيرة ذو المال والولد والقوة والعدد وأحد رجلي القريتين اللذين تمنى قريش أن لو كان القرآن نزل على أحدهما كما حدث الله عنهم بقوله ( وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ) فهو رجل مكه ورجل الطائف عروة بن مسعود ، نعم ذلك ما قل بعد تفكير وتقدير وإصرار على ما به من جحد وعناد وهو يدل على ما لم يقدر على إخفائه فقد صرح فى حديثه أن القرآن لا يشبه شيئا مما يقولون ووصفه بما وصفه مما دل على هذه المغايرة وأخيرا كان حكمه عليه قوله فيه ( هذا سحر يأثره عن غيره ) فجاء ذلك الحكم حاملا فى ثناياه أن بالقرآن قوة خارقة تنظر قريش اليها فنظرتها الى السحر وكفى بهذا من المعاندين اذنانا وتسليما . وما دمنا قد سقنا هذا

الحديث من عدو طاغ ، شهادة منه على الاعجاز والفضل ما شهدت به الأعداء  
فلنسق تصوير القرآن لهذا الحادث شاهداً آخر في الموضوع إياه فقد جاء قصصه ،  
رائعاً معجزاً قال سبحانه لنبيه وقد ساءه صلى الله عليه وسلم صد قريناً للوليد أن يسلم واستسلام  
الوليد لها في رميه القرآن بالسحر قال يؤسبه ويصبره ويهدد هذا المفتون ويزجره  
« ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبين شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم  
يطمع أن أزيد . كلا . إنه كان لا يأتنا عنيداً سارهاقه صعوداً إنه فكر وقدر  
فقتل كيف قدر ثم كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر  
فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سألني سقر وما أدراك  
ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحده للبشر عاينها تسعة عشر » فهذه الآيات قد  
صورت الحادث تصويراً شاملاً أطرافه في بلاغة وقوة أداء ، من بيان مكانة الوليد ،  
ومقدار ما شمله لذلك ، من غرور جعله يقول ما يقول ، وأن ذلك لم يغه شياً فإيا  
أراد الله له من سعير .

وثانياً لو كان إعجاز القرآن بالصرفة كما يقول النظام وليس ذلك تفضيلة  
فيه زالت الصرفة بزوال زمن التحدي ولأصبح في مكنة الفصحاء والبلغاء  
أن يقولوا مثله خلوه في ذاته من صفة الإعجاز ولكن شيئاً من ذلك لم يكن  
ولن يكون فقد تبارى بعد ذلك فرسان الكلام وأتى رجال النثر بنغاية ما في  
طوقهم من بيان ومع هذا بقي بينهم وبين ما جاء به القرآن البون الشاسع  
والمدى البعيد على ما أمدهم به من هدى وأنالهم إياه من رشاد فتأيد بهذا  
ما كان من إجماع الصدر الأول على أن معجزة الرسول العظمى باقية ما بقي  
الزمان وأن لا معجزة له باقية سوى هذا القرآن ثم كان ما كان من تدوين  
علوم الفصاحة والبلاغة وتعبيد الطريق اليهما لكل طالب لها راغب فيهما  
ولكن بدلاً من أني يعين ما وضع لهما من قواعد وفصل من فصول ، رجال

الكلام الى أن يشبهوا فيها يقولون شيئاً من القرآن أراهم الشقة بعيده عنهم  
والمحاولة مستحيلة عليهم لما تكشفت عنه تلك القواعد من مزايا القرآن التي  
لا تحصى وفضائله التي لا تستقصى حتى لقد عمد إمام المؤلفين ورئيس البلغاء  
والمتكلمين عبد القاهر الجرجاني الى تسمية ما ألقه في هذا الباب « دلائل  
الاعجاز » وليس بعد اقرار مثله اقرار ولا ينبئك مثل خبير وإنما يعرف الفضل  
من الناس ذوه

ومن العلماء من قال إن التحدى جاء في كلام الله القديم انقائم بنفسه  
وهو إحدى صفاته العشرين ومن ثم وقع العجز لأنه محال أن يتهيأ للبشر في  
صفة من هذه الصفات ما لله جل شأنه فيها وليس هذا بأقل غرابة من القول  
بالدرفة إن لم يكن أغرب منه فإن الكلام القديم قبل صوغه في هذه الصورة  
التي بلغ بها لا مثل له ولا وقوف للعرب على كنهه فكيف يتحداهم الى شيء غير  
معروف لهم والتكليف بغير المعروف لا تسبغه العقول ولا تقبله الافهام، فإن  
قيل إن المراد تحديهم بما تضمنته هذه الصورة بعد تبليغها قلنا أذن الاعجاز  
في المعاني لا الالفاظ وإذن تكون سائر الكتب المنزلة، معجزة كالتوراة والانجيل  
لأنها صور معبرة عن كلام الله القديم وما قل بذلك انسان ولا ذكرت تلك  
الكتب عن نفسها شيئاً من هذا كما ذكر وردد القرآن، على أن في القرآن نفسه  
ما يفهم أن التحدى كان يطلب الى العرب الاتيان بمثل هذه الصورة اللفظية في  
نظمها وتأليفها دون النظر الى معانيها فانهم حين قالوا رسول الله ﷺ كما حدث  
الجاحظ أتفا أنت تعرف من أخبار الامم ملا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا  
ورمود بافتراء الكتاب على الله قال لهم فها توها مفتريات كما هي الآية « أم يقولون  
افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله  
ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا

هو فهل أنتم مسلمون « ومع هذا لم يرم ذلك منهم خطيب ولا طمع فيه شاعر  
كما أسأفنا وفي ذلك دلالة كافية على أن القرآن أعجز بنظمه البديع وتأليفه  
العجيب الذي أنتج البيان الرائع وأتى بالسحر الجلال

وذهب فريق من العلماء إلى أن القرآن أعجز بما تضمنه من التنبؤ بالغيوب  
والكشف عما في الضمائر مصيبا في ذلك كله الاصابة جميعها، وبما اشتمل عليه  
من الفصص الحق لسير الأولين وأخبار الماضين مما لا يقف على مثله عالم بالسير  
دارس للآثار ولكن ذلك لا ينهض وحده دليلا على الاعجاز لأنهم إن كانوا  
يريدون منه أن العرب عجزت عنه لعدم قدرتها على أن تنبأ صادقة واستحالة  
وقوفها على مثل ما جاء به قصص القرآن، لخروج التنبؤ عن طوق البشر ولأنها  
من حيث القصص لم تك على علم بالسير ولم تسلك لها سبيل التحصيل فاننا لنترضى  
ذلك أيضا دليلا على الاعجاز الذي يجب أن يكون للقرآن وإلا كان ماورد في  
الكتب المنزلة قبله مخبرا عن غيب أو قاصا لتعصروا وما أكثر هذا الأخير فيها  
معجزا كذلك وقد سبق أن هذا لم تذكره تلك الكتب عن نفسها مثل ما ذكر  
القرآن وأنه لم يقل به إنسان . كما سبق أن رسول الله حين قالوا له أنت تعرف  
من أخبار الأمم ما لا نعرف ورمود بالافتراء قال فها توها، ففتريات وتحداهم بذلك  
انقرآن فما أقدموا ولا حاولوا ، بل كان ماورد في القرآن نفسه بعيدا عن التنبؤ  
والقصص وهو معظمه فاقدا صفة الاعجاز وفي مقدور العرب أن يحاكوه  
مع أن الاعجاز ثابت لكل كم منه تحقق فيه اقدر الذي تنازل إليه التحدي  
من السورة القصيرة أو الآيات اليسيرة كما هو منطوق الكتاب وعليه يكاد  
ينعقد الاجماع .

أما إذا أرادوا أن محمدا وهو بشر لا يمكن أن يكون مصدر هذه الغيوب  
كما لا يمكن وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب أن يكون جعبة هذه الأخبار وخاصة

إذ لم يعرف عنه في الحال الأولى سحر ولا كهانة ولا في الثانية اتصال بمن كانوا على بعض العلم بهذه الآثار وأنه وهذا شأنه لا بد أن يكون صادقا في نسبته هذين إلى الله الذي هو وحده المستأثر بعلم الغيوب ودون غيره الملم بتواريخ الأولين وبذلك تثبت نبوته وينسحب الصدق إلى سائر النواحي من القرآن تقول أما إذا أرادوا هذا قانا لا يقبله دليلا على الإعجاز أيضا بالمعنى المراد لأنه ينتهي بنا إلى ما انتهى إليه الأمر الأول إذ كل ما بينهما من فارق أنا اتخذنا في الأول عجز العرب وفي الثاني عجز محمد كليهما دليلا على أن بعض الكتاب يحتم عن طريق معناه أنه من عند الله وبذلك تثبت نبوة محمد ويتناول الصدق سائر الكتاب ولكننا لا زلنا على هذا وعلى ذلك بعيدين عن إثبات الإعجاز للقرآن إثباتا ينال جميعه بالذات لا بعضه بالنظر إلى معناه ثم يأتي على سائر كما تقدم بطريق الاستنباط .

إلى هنا اتهمنا من ذكر الوجود الثلاثة التي لم نرضها دليلا على الإعجاز ومنه يتضح أن الأولين مرفوضان جملة وتفصيلا أما الثالث فمع عدم نهوضه وحده دليلا على إعجاز الآيات لذات الآيات صالح أن يساق حجة للغرض من الإعجاز على النحو الذي بيناه ولهذا لا يفوتنا أن نذكر شيئا عن انقصص والنبوءات . أما القصص فن أهم مظاهر القرآن وهو الكثير الغالب فيه فلندع التمثيل له الآن اعتمادا على هذا الظهور ولنكتف هنا ببعض ماورد فيه من الآيات المفهمة استحالة على رسول الله إن لم يكن من عند الله والموضحة مدخله إلى الإعجاز، قال الله تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتاب المبتلون » وقال « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين » وقال أيضا « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون »

وقال والقول في هذا الباب كثير « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » . وأما النبوءات فعلى قلمها في القرآن أدل من القصص على الغرض من الاعجاز وهذا شطر منها حيث لا عودة إليها فيها سيأتي من كلام . قال الله تعالى ( ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من غلبهم سيغلبون في بضع سنين ) وقد غلبوا في هذا البضع وقال ( لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا يتخافون ) فدخلوا كما قال ، وقال في قصة بدر ( سيهزم الجمع ويولون الدبر ) كما قال فيها ( واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ) فصدق في ذلك كما صدق في إخباره عما في قلوبهم من ودهم أن غير ذات الشوكة تكون لهم ومن تحقيق ما أراده هو من أنها لهم ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ، وهذا من تنبيهه عما في الضمائر ومنه أيضا قوله على لسان رسوله فيمن تخلفوا عنه في إحدى الغزوات ( أحد ) ( لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا ) فانهم لم يخرجوا معه بعد وكذا قوله لليهود ( قل إن كانت لكم الديار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ) فانتاه أحد منهم تحقيقا لقوله بعد ( ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ولنجدنهم أحصر الناس على حياة ومن الذين أشركوا ، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون ) لهذا ذكر الباقلاني في كتابه ( إعجاز القرآن ) عن أصحابه وغيرهم ثلاثة أوجه للاعجاز جعل أولها الاخبار عن الغيوب وثانيها الاخبار عن قصص الأولين وثالثها ما آن أن نشرع فيه مرتضين إياه الوجه الحق



للاعجاز فقد قال ( والوجه الثالث أنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في  
البلاغة إلى المدى الذي يعلم عجز الخلق عنه ) وهو ما يزيد ولكن على خلاف  
معه في التفاصيل .

## الوجه الحق للعجاز

قلنا إن الوجه الحق الذي نرضيه دليلا على الاعجاز هو الوجه الثالث من  
الوجوه التي ذكرها الباقلاني في كتابه ( إعجاز القرآن ) وهو أنه بديع النظم  
عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه وإنما رتضينا  
هذا الوجه دون غيره لأنه الثابت لجميع القرآن في كل قدر تنازل إليه التحدى  
من السورة انقصيرة والآيات اليسيرة ثبوتنا ذاتيا له دون نظر إلى ماعسى أن  
يكون فيه من تنبؤ أو قصص مما صلح على مامر آتقا لأن يكون دليلا  
على الاعجاز من ناحية الغرض لالناحية التي نريد . إذ الاعجاز الذي نريد هو  
إعجاز الأسلوب الذي قد جاء في ألفاظه بديع النظم عجيب التأليف وفي معناه  
متناهما في الابانة والاعراب لجمع بذلك بين طرفي الفصاحة والبلاغة جمعا أنتج  
البيان الرائع الذي أتى في كل غرض قصد اليه بما ليس في مقدور انسان من بيان،  
فان للبيان في الكلام بعد اشتماله على مايجب لتحقيق الفصاحة والبلاغة درجات  
متفاوتة تفاوت مراتب المروءة بعد الواجب لا تزال يعلو بعضها بعضا كما تتعالى  
طبقات الاجواء حتى يكون فرق ما بين الدنيا والعليا كفرق ما بين الارض  
والسماء ، وفي هذا الميدان الفسيح يتبارى الفصحاء والبلغاء فترى فيهم المسف  
الداني والمخلق الرفيع وما منهم من ترى في كلامه عيبا يسلمه صفة الفصيح  
البليغ . ألا ترى الى الشعارين يكون كلاهما مبرزا يرمى بشعره فصيحيا بليغا  
فاذا ماوازنت بينهما في قصيدتين لم تظفر بعيب فيهما ولكنك مع هذا

تضع قصيدة أحدهما في منزلة غير التي تضم فيها الأخرى صعوداً أو هبوطاً لما تحسه وقد لا تعرف كيف تعلم من تفاوت درجة البيان واختلاف قوة الرمي إلى المقصود . وبقدر ما يكون للشاعر أو الخطيب أو الكاتب من قدرة فوية على تلك زمام الألفاظ وتصرف واسع في المعاني يبعد في بيانه عن أقرانه الآخرين . فالقرآن الكريم أتى في هذين البابين للألفاظ والمعاني في كل غرض رمى إليه بالعجب العجيب الذي عمدت دونه الألسنة وحاتر أمامه العقول فلم يفكر أحد في مجاراته بله الاقدام على تلك المجازاة . فجاء هذا دليلاً على الإعجاز أى دليل . وإلا فن في مقدوره أن يكون له كلام بهذا القدر الباسق من الطول ثم هو يخلو في ألفاظه ومعانيه على اختلاف أغراضه ومرامييه من كل ما يعاب ويشتمل بعد هذا على آيات من الحسن الفائق بينات وسورات من الجمال الرائع باهرات قال عز من قال ( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ) نعم لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه هذا الاختلاف فان قول البشر بالغاً ما بلغ في قوة البيان لا بد أن تجذب به السقطات والزلات في الألفاظ والمعاني على السواء وإن عز عليك ذلك في غرضه تهيأ له المتكلم وطبع عليه حتى صار فيه صفى الخاطر رخي العنان كالوصف لدى امرئ القيس والمدح عند زهير والاعتذار في شعر النابغة وبعيد هذا أن يكون فالتحسه في أغراض له آخر تجده بيننا موفوزاً .

هذه هي ناحية الإعجاز ومنها عينها استحالة على رسول الله نفسه كما استحالة على غيره أن يكون من كلامه القرآن لأنه بشر وما كان لبشر أن يقول هذا ، على أن له صلى الله عليه وسلم قبل أن يكون رسولا كلاماً وله بعد الرسالة كلاماً وكلاماً بين شديد الشبه بأخيه بينماهما معا بعيدان عما لم ينسبه إلى نفسه ونسبه إلى الله سبحانه

وهو القرآن بعد كلام العرب عنه في بلغاء قريش وسائر عدنان وفي قحطان .  
 وإذا كان من المحال عقلاً أن يكون للرجل الواحد في كلامه لونا مختلفان وأسلوبان  
 متباينان فكيف يتفق هذا لمحمد لو أراد على فرض المستحيل وأسلوب المتكلم  
 قطعة من نفسه وما جعل الله لرجل من قابين في جوفه . ثم إذا كان هذا العجز  
 بادي في المحسات كما تراه في عدم تمكن الكتاب، مما حاول إخفاء خطة في التوقيعات  
 فهو في باب المعنويات أبدى وبنسبته إلى الاستحالة أولى ولعل قريشا لهذا  
 كانت تصف رسول الله بالكهانة والسحر حين كانت تقول إن هذا قوله لا اعتقادها  
 أنه يستحيل على بشر لم يعتمد على قوة خفية تؤيده فتجعله يقول ما ليس في  
 مقدورها ولا في مقدور غيرها أن يقول .

هذا وإن لنا بعد كل ما تقدم أن نتلمس بمضامين آيات الفصاحة والبلاغة  
 المعجزة في القرآن حتى نحس بعض الاحساس بالناحية التي قلنا إنها الوجه الحق  
 للإعجاز فلا يكون كل إيماننا به عن تقايد شأن من ليس لهم بعلوم العربية  
 حذق ولا في فنون بيانها افتنان راجين من الله فيما نحاول التوفيق إذ المطلب  
 عزيز المنال يكاد يكون خارجاً عن مكنة التصوير قال السكاكي « اعلم أن شأن  
 الإعجاز عجيب يذرك ولا يمكن وصفه » .

ولما كان هذا الإدراك لا يكون إلا بالدوق والدوق إنما يتهيأ لدوى الفطر  
 السليمة الذين قد راضوا أنفسهم بالخطب والرسائل والشعر واشتغلوا بعلوم  
 البلاغة من بيان ومعان وبديع حتى صار لهم بذلك ملكة ودراية يمكن  
 أن يعتمد عليها في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض فاني سأأخذ هذه  
 العلوم الثلاثة نبراساً أهتدى به إلى تصوير ما أريد وعلى الله الاعتماد .

## القرآن معجز بفصاحته وبلاغته

كان في العرب ذو الفصاحة والبلاغة وفي كلامهم الفصيح البليغ، واتفصاحة  
تتحقق للمتكلم بمقدرته عن ملكة على إيراد كلامه معبراً عن المعنى الواحد  
بتعابير مختلفة في مراتب الوضوح دون تعرض المعنى في أحدها لظفاء . وإنما  
يجيء اختلاف التعابير في مراتب الوضوح عن طريقين طريق الحقيقة المبالغ  
فيها بالتشبيه وطريق الخروج عنها خروجا يمكن من إرادتها ولكن لا تراد  
وهذه هي الكناية أولاً يمكن وإن حوول ذلك وهذا هو المجاز فهذه الثلاثة هي  
مباحث علم البيان دون الحقيقة المجردة حيث لا تفاضل فيها في مراتب الوضوح  
غير أن الفصاحة لا تبحث عما تقدم في أي كلام إلا إذا خلصت مفرداته قبل  
ذلك من تنافر الحروف وغرابة المعنى ومخالفة القياس وتراكيبه من تنافر  
الكلمات وضعف التأليف وتعقيد الالفاظ حتى لا يكون للبيان بعد ذلك سوى  
تخليصه من اتعقيد المعنوي تحقيقاً للوضوح الذي تبحث في مراتبه تلك الأشياء  
الثلاثة من تشبيه وكناية ومجاز . ومن ثم كان لا بد لمن يريد مزاولة البيان أن  
يكون صحيح الذوق ليتقى التنافر في الحروف والكلمات على علم يمتن اللغة ليكون  
صادق الحكم على الغريب . ملماً بالصرف والنحو ليعرف مخالفة القياس وضعف  
التأليف والتعقيد من جهة الالفاظ، إذ كل هذه وسائل للبيان وان لم تك من علم  
البيان . أما البلاغة فتتحقق للمتكلم بمقدرته عن ملكة أيضاً على جعل كلامه  
الفصيح مطابق المعنى لمقتضيات الاحوال خبراً كان أو انشاء بتحقيق ما تستلزمه  
تلك المطابقة فيه كأن يوجز أو يطنب في غير المساواة كل في الموضع الذي  
يقتضيه وكأن يفصل أو يصل، ويقصر أو يطلق، ويؤكد أو يرسل غير ذلك  
من مباحث علم المعاني الذي يحقق البلاغة في الكلام بعد أن يحقق الفصاحة فيه .

البيان، وليس لعلم البديع معهما سوى وجوه تحسين الكلام ولكن سميت الثلاثة  
بعلم البلاغة على سبيل الاصطلاح .

ذلك ما كانت تتحقق به في مجموع كلام العرب لاجمعيه الفصاحة والبلاغة  
ووجوه التحسين، وقد جاء كله في جميع القرآن بحال أوضح ظهورا وأبعد مراما  
وأكثر مقدارا بعيدا عن التكاف والاستكراه سهل المأخذ عذب الایقاع،  
فبذ العرب فيه من جميع النواحي ثم بذم في ناحية أخرى فريدة ليس لهم فيها  
شيء هي ناحية تفصيله بفواصل الآي وسنتكلم عليها الآن لأنها أظهر شيء  
في بدع الاسلوب ثم نعود إلى فضل القرآن فيما تقدمها مما جاء مشاركا للعرب  
فيه بقدر ما يسمح المقام .

## فواصل القرآن

تكلمت العرب الشعر والنثر فجاء في شعرها الرجز والتقصيد وفي نثرها  
المسجوع واللفظ المزدوج والمنثور وبدهى أن القرآن جاء نثرا لا شعرا ولكنه  
لم ينضو تحت أقسامه السالفة لا مجموعة ولا فرادى، فهاهو باللفظ المنثور يرسل  
كله إرسالا خاليا من كل قيد يراه القارئ أو يلحظه السامع في التقفية والوزن  
ولا هو بالمزاج الجمل والعبارة بحيث ترى كل اثنتين منهما أو أكثر على  
خلوها من التقفية متعادلتين تقريبا في الاقيسة والموازن كما أنه ليس بذى  
التقفية الحرفية التي تراها في الاسجاع، وإنما هو كلام فصله الله آيات كما قال « كتاب  
أحكمت آياته ثم فصات من لدن حكيم خبير » فجاءت آياته متلاحقات تختم في  
في كل سورة غالبا بمقاطع متشابهات نشعر بالانتهاء دون أن تتقيد بحرفية السجع  
أو موازنة الازدواج ودون أن تخلو كل الخلو من مظاهر التقيد . هكذا جاء  
معظم القرآن فلم يقبل أن يطلق عليه اسم من هذه الاسماء بل عرف وحده  
باسم خاص هو التفصيل وهي مقطع الآية كقرينة السجع في النثر وقافية

البيت في الشعر أما قليله فقد جاء فيه ما يشبه المزاوج أو المسجوع وكان يصح أن يسمى بهما لولا أنه قد خرج في كثير منهما بالطول خروجاً لم تكن تألفه العرب في غير سجع الكهان وقرب بذلك من التفصيل الذي وسعها ولم ياب منها القصير فقصر التسمية عليه دون الممروف من أقسام المنثور وعلى ذلك تعارف العلماء .

هذه هي الفاصلة في القرآن ولقد كان يهد لها في آية تمهيدا تقع به مستقرة في مقرها وتأتي متعلقا معنى الكلام بمدلولها . انظر قوله تعالى « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » كيف وقع اللطيف لما لا يدرك والخبير لما يدرك بالترتيب وقوله على لسان قوم شعيب « قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد » كيف جاء الحلم مناسبا لما تقدم في الآية من ذكر العبادة، والرشد ملائما لما تلا ذلك من التصرف في الاموال وكذا قوله « أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأولادهم أفلا يبصرون » فانه ختم الآية الأولى بالسمع لأنها معنوية تهدي وختم الثانية بالبصر لأنها محسوسة ترى .

من أجل ذلك كانت الآية ترشد الى فاصلتها كل ذي قلب مفكر وبيان معبر قال زيد بن ثابت أملى علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية « ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر » فعند ذلك قال معاذ بن جبل ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ فضحك رسول الله فقال له معاذ مم ضحكك يا رسول الله قال بها ختمت .

وكانت الفاصلة إذا غيرت أمام من تلك صفته أبي هذا التعبير على محدثه ولو لم يك حافظا للقرآن روى أن أعرابيا سمع قارئاً يقرأ « فانزلتم من بعد ما جاءكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم » ولكنه جعل الفاصلة « غفور رحيم » ولم يك العربي يقرأ القرآن فقال أما إن كان هذا كلام الله فلا ، إن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزل بعد البينات لأنه إغراء عليه .

هذا اختلاف الفاصلة لاختلاف الآيات . على أن من الفواصل ما كانت تختلف لتغير لفظة واحدة في آيتين قال الله تعالى « وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون » فجعلها بعد الشعر من الايمان لأن مخالفة القرآن له ظاهرة تدعو إلى سرعة التصديق وبعد قول الكاهن من التذكير لوجود مشابهة تدعو إلى بعض تدبر وتفكير . بل كانت تختلف انفاصلة في الآية الواحدة تأتي في موضعين لاعتبارين قال الله تعالى في سورة ابراهيم « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان اظلم كفار » وقال في سورة النحل « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم » فأتى بها في الآية الأولى من صفات المنعم عليه وفي الثانية من صفات المنعم وكتأنيدها مناسبة للآية في ذاتها لتعلقها بالله والانسان ولكن الحديث في ابراهيم كان مسوقا قبلها لتعديد نعم الله على الناس وهم لا يشكرون حيث يقول بعد هذا التعداد وهو طويل ( وآتاكم من كل ما سألتموه ) وفي النحل كان في ذكر صفات الله ألا تراه قبل ذلك يقول ( أفمن يخفق كمن لا يخفق أفلا تذكرون ) ومن هذا النوع ما جاء في ثلاثة مواضع مثل قوله تعالى في سورة المائدة ( ومن لم يحكم بما أنزل الله ) فقد قطعها بثلاث فواصل مختلفة هي ( فأولئك هم الكافرون ) ، ( فأولئك هم الظالمون ) ، ( فأولئك هم الفاسقون ) لأن الحكم في الأولى يقصد من جحد ما أنزل الله وفي الثانية يقصد من خالفه على علم وفي

الثالثة من خالفه عن جهل . فلا غرو إذن أن تتحد الفاصلة متى بقيت المناسبة ولو كان المحدث عنه مختلفا كما في آيتي الاستئذان من سورة النور فقد ختمت كلتاها بما ختمت به الأخرى وهما هاتان لترى وجه ما تقول ( بأيتها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يباغوا الحلم منكم ثلاث مرات . من قبل صلاة الفجر . وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة . ومن بعد صلاة العشاء . ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضهم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ) .

هذا وقد يفيد ظاهر الفاصلة عدم ملاءمتها للآية ولكن تدبرا قليلا في المعنى يدفع هذا الظاهر ويكشف عن ملاءمة وثيقة الصلة شديدة الارتباط . من ذلك مثلا مجيء ( العزيز الحكيم ) فاصلة لا آيات يقضى ظاهرها أن تكون الفاصلة ( الغفور الرحيم ) كما في قوله تعالى ( إن تعذبهم فأنهم عبادة وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ) فإن قوله وإن تغفر لهم يقتضى ظاهره مجيء الفاصلة من الغفران غير أن من يعلم أنه لا يغفر لمستحق العذاب في نظر الناس إلا ذو العزة الذي ليس فوقه عزيز ثم هو مع ذلك يعلم أن الله يرى ما يرى الخلق من حكمة يجهلونها في الغفران لا يتردد في أن فاصلة الآية هي ما ختمت بها لا ما لوح به ظاهرها . وآيات هذا النوع كثيرة وكل واحدة منها توحى أنها بفاصلتها وفاصلتها بها أحق وأولى من غيرها :

إلى هنا كل ما تقدم من فواصل كان يهدى إليه المعنى العام للسياق وفي القرآن فواصل أخرى كثيرة كان يهدى لها فوق ذلك بالالفاظ نفسها أو بلازم ومعناها . فمن النوع الأول ما وافقت فيه الفاصلة أول المصدر مثل « وهب لي من



لديك رحمة انك أنت الوهاب « أو آخره مثل ( أنزله بعلمه والملائكة يشهدون  
وكفى بالله شهيدا ) أو كلمة تخللته مثل ( قال لهم موسى وياكم لآفة أتروا على الله  
كذبا فيسحبتكم بعذاب وقد خاب من افترى ) والنوع الثاني كثير ومنه قوله  
تعالى ( وآية لهم الليل نساخ منه النهار فإذا هم مظالمون ) لان اسلاخ النهار  
من الليل يستأزه الظلمة فجاءت الفاصلة منها، ووقعت بالمد والنون الجارية عليهما  
فواصل السورة

هذا وقد راعى القرآن في معظم فواصله انتهاءها بحروف المد واللين والنون  
وهاء السكت لأنها تمكن القارئ من أنترنم والترتيل كما راعى في حروفها التماثل  
أو التقارب وافتن في ذلك افتنانا بديعا، فكانت منها المتفتقتان رزنا لا تقفية مع  
عدم تمام المقابلة كما في قوله « يوم يكون الناس كالفرش المبثوث وتكون الجبال  
كالعهن المنفوش » أو مع تمامها كما في قوله « وآتيناها الكتاب المستبين وهديناهما  
الصراط المستقيم » وقوله ( ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة )، والمتفتقتان تقفية  
لا وزنا مع عدم تمام المقابلة مثل ( إلا حميا وغساقا جزاء وفاقا ) أو مع تمامها مثل  
( والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس )، ثم المتفتقتان تقفية ووزنا مع عدم تمام  
المقابلة نحو ( فيها مرمر مرفوعة وأكواب موضوعة ) أو مع تمامها نحو ( إن  
الينا إياهم ثم إن علينا حسابهم ) ونحو ( إن الأبرار إني نعيم وإن الفجار إني  
جحيم ) ومنه ما كان يجمع فوق ذلك الى حرف انفصلتين المتحد اتحاد حرف  
أو اثنين أو ثلاثة قبله فلا يشعر القارئ بشيء من التكلف مطلقا، مثال الحرف  
( فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ) و ( ألم نشرح لك صدرك ووضعنا  
عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك ) ومثال الحرفين ( والطور  
وكتاب مسطور ) و ( ما أنت ينعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون،  
ومثال الثلاثة ( إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم

مبصرون وإخوانهم يمدونهم في النى ثم لا يقصرون)

ولقد تصرف القرآن في تهيمته التراكيب للفاصلة تصرفا واسع المدى وكان مع ذلك محتفظا أيضا احتفاظا بتبعية اللفظ للمعنى بل كثيرا ما آناه هذا التصرف ما آرب أخرى وهذان شيئان امتاز بهما على سائر أجناس الكلام وبرع فيهما. فمن ذلك تقديم المفعول على العامل في قوله ( أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ) وقوله ( إياك نعبد وإياك نستعين ) ومنه تقديم الصفة الجملة على المفردة نحو ( ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ) وإيراد الجملة الاسمية دون الفعلية نحو ( ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ) أو المفرد لا الجملة ( نحو وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ) والظاهر بدل الضمير مثل ( والذين يسكنون الكتاب وأقاموا الصلاة إننا لنضيق أجر المصالحين ) وصيغة المفعول بدل الفاعل نحو ( حججا مستورا ) أو الفاعل بدله نحو ( من ماء دافق ) وحذف المفعول نحو ( فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ) والاتبان بهاء السكت نحو ( ما أغنى عنى ماله هلك عنى سلطانيه ) . ومنه تذكير اسم الجنس أو تأنيده مثل ( أعجاز نخل منقعر ) و ( أعجاز نخل خاويه ) ومثله في ذلك الصفة نحو ( وكل صغير وكبير مستطر ) و ( لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ) ومجىء صيغة المبالغة بدل الوصف نحو ( وما كان ربك نسيا ) . أو بدل صيغة غيرها نحو ( إن هذا لشيء عجاب ) بدل عجيب . واختيار مرادف على آخر مثل ( سأصليه سقر ) أو حركة على أخرى نحو ( فأولئك تحروا رشدا ) وإنباء حرف عن آخر نحو ( بأن ربك أوحى لها ) إلى غير ذلك مما مائت به كتب الشواهد ونهبت على كثير منه أسفار التفسير . وفي هذا القدر عن انفاصلة ما فيه الكفاية فلم يعد إلى غيرها مما وعدنا بالكلام فيه .

## فصاحة القرآن

إذا تكلمنا عن فصاحة القرآن يجب أن يكون كلامنا فيها راجعا إلى أمرين أحدهما يتعلق بالأسس التي لا بد منها في تحقيق الفصاحة للمفردات والتراكيب على الوجه الذي بيناه ، والثاني يتعلق بالكلام من حيث اختلاف طرائق التعبير فيه إلى ما سبق من تشبيه وكناية ومجاز وقد اخترنا أن يكون عنوان الأول مميزات الفصاحة وعنوان الثاني درجة الفصاحة كما رأينا أن نسوق الكلام فيها على هذا الترتيب

### أولا - مميزات الفصاحة

اشتمل القرآن الكريم على ما يقرب من ثمانين ألف كلمة لم نخرج واحدة منها عن حد الفصاحة الذي رسمه العلماء ، فلا تنافر حروف ولا مخالفة قياس ولا غرابة معنى ، كما اشتمل على أكثر من ستة آلاف آية لم تنافر فيها الكلمات ولم يعترها ضعف التأليف ولم يعيب معناها التعقيد ، ومهما أجهد الإنسان نفسه باحثا منقبا ليظفر بشيء يخالف لهذا كما هي الحال في كلام أفصح الفصحاء على طول القرآن وقصر ما قال كل فصيح فإنه لاشك راجع صفر اليدين مما يحاول مملوء القلب يقينا بصدق ما نقول ، وهذه ثلاث نبذ تتناول أطراف الموضوع .

#### ١ - تنافر الحروف وتنافر الكلمات

تخف الكلمة أو تنقل أو تكون بين بين بحسب الانتقال في مخارج حروفها من مخرج إلى آخر بلائمه أو لا بلائمه أو يكون وسطا ، فان مخارج الحروف إما من الخلق وتسمى العليا أو من الشفة وتسمى الدنيا أو من القم وتسمى الوسطى وهذه الثلاثة تنوع النطق بالكلمات الثلاثة اثني عشر نوعا لا يلتقي في

أحدهما مخرجان، لأن البدء بكل مخرج يتناوب عليه أربعة أنواع، اثنان يشتمل كلاهما على الخارج الثلاثة واثنان يختان بالمخرج المبدوء به، ولكن ليست كل هذه الأنواع مع خلوها من التنافر الحرفي متحدة في خفة النطق بل منها الكثير الخفة والمتوسط والقليل، فتكون الكلمة كثيرة الخفة مثلا إذا انحدر فيها النطق من الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى كعلم وقيلتها إذا كان بالعكس كعلم ومتوسطتها إذا كان من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى كعلم أو من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط كعلم وعلى هذا تقاس بقية المخارج. أما إذا توالى الحروف من مخرج واحد فان الخفة تزول وينشأ الثقل ولكنه يكون قليلا في المخارج الدنيا ومتوسطا في الوسطى وشديدا في العليا وهنا يحدث تنافر الحروف الذي يسلب الكلمة فصاحتها ويزداد شدة إذا زادت الكلمة عن الثلاثة وتردد في حروفها. وعلى مثل هذا يكون تنافر الكلمات ولكن بتنزيل الكلمة في الجملة منزلة الحرف في الكلمة ولو كانت كل مفردة في ذاتها بعيدة عنه ولذلك اشترط في فصاحة الكلام فصاحة كلماته، على أنه قد يجتمع التنافر فيهما في آن وليس هذا في حاجة إلى ضرب أمثال فليتمس في كتب البلاغة

هذا هو التنافر بنوعيه ومع دورانه في كلام الفصحاء مختلف الألوان قد خلا منه بنوعيه القرآن كما خلا من اللهجات غير المستحسنة في المفردات وهي الآتية من طريق الأبدال، كالتاء بدل السين في التاء والتاء بدل الطاء في سلتان والكاف بدل التاء في عصيك والنون بدل العين الساكنة قبل الطاء في أنط والطاء بدل المضاد أو العكس في قول الاعرابي لعمر (أيطحى بضجى) والجيم المشددة بدل الياء المشددة وقفا في عاج وهي العجمجة والشين من كاف المأوث في كشكشة تيم والسين من كاف المذكر في كسكسة بكر والميم من لام التعريف في طمطمانية حمير إلى غير ذلك مما كانت القبائل تستعمله وعف عن استعماله القرآن، ثم تحقق فيه بعد الخلو من هذه الأشياء أن جاءت جملة كلماته ثلاثية والثلاثي

أخف أنواع الكلمات ثم وقعت حروفها شديدة الائتلاف بعضها مع بعض بقدر ما وقعت هي قوية الانسجام مع أخواتها في التراكيب واحصاءات القرآن تدل على أن مالا تكثر خفته من كلماته نادر في حكم المعدوم، فمثلا ليس فيه كافان متعاقبان الا في لفظتي (مناسككم) و(سللككم) ولاحاء بعد حاء في كلمة واحدة مطلقا ولا في كلمتين إلا في موضعين هما (عقدة النكاح حتى) و(لا أبرح حتى) ولا غينان كذلك في كلمة مطلقا ولا في كلمتين الا في موضع واحد هو (ومن يتنغم غير الاسلام) ولا شدتان متواليتان نتيجة الغن والادغام الا في أربعة مواضع هي (نسيارب السموات) و(في بحر لجى يغشاه) و(قولا من رب) و(زيننا السماء)

ولقد كان القرآن يجمع كثيرا من الحروف المتحددة المخارج في الآية الواحدة أو يردد فيها حرفا بعينه فلا يغير هذا من صفة الفصاحة شيئا لما كان يودعه نظم الحروف من حسن السبك وجمال الائتلاف، فن ذلك أنه جعم في الآية (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) على قصرها ثمانية عشر ميمًا في النطق، وجعم في آية الدين ثلاثة وعشرين كافًا وهي أشد من الميم، وهذه سورة العصر، وهي ثلاث آيات قصار قد أتى فيها بعشرة واوات، وآية الكرسي قد بدأها بلفظ الجلالة وهو مركب من اللام والهاء ثم دارت اللام فيها ثلاثا وعشرين مرة والهاء أربع عشرة مرة، فلم يشعر القارئ في ذلك ولا في أمثاله ومعى كثيرة بشيء من النقل بل بالعكس قد شعر بأن له وقعا كوقع الرنة الموسيقية تتردد في لحن من الألحان فتربط بين أجزائه وتكسوه من الحسن ما تستلذه الأسماع. ومن هنا يدرك السر في اختيار حروف الفواصل متماثلة أو متقاربة وفي التزام القرآن في كثير من المواطن حرفا واحدا أو نوتا من الحروف المتحددة المخارج بكثرت منه، كالتزامه القاف في سورة قاف، وبعض حروف الخلق في مثل قوله (فإن أعرضوا فقل

أندرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وشمود) كما يدرك في أنه إذا ساق التركيب سهلا لم يساقط فيه شيئا من السكلم الفخام وإذا فخمه لم تجد أثرا لريق السكلمات إلى غير ذلك مما تكامل فيه فجعل له في هذا الباب اثتلا فاليس من: اثتلاف وانسجاما دونه كل انسجام.

## ٢- مخافة القياس وضعف التأليف

وضع العرفيون قواعد علمهم فجاءت منطبقة على ما اتفق على النطق به بمجموع العرب في بنية السكلمات غير أن من تلك القواعد ما وضع للتقريب لاللقياس فلم يسلب ماخالفه صفة التفصيح وإن سمي باسم الشاذ كما في أفعال الثلاثي ومصادره الخارجة عن ضوابط الأبواب. ومنها ما وضع ليقاس عليه بحيث إذا خالقه لفظ عد مخالفا للقياس وخارجا عن دائرة التفصيح كالفك في موضع الادغام في قول الشاعر:

مهلا أماذل قد جربت من خلقى أنى أجود لأقوام وان ضمنوا  
وكلا زيادة المؤدية الى. ما ليس أصلا في الكلام كقول الآخر (من حوثبا  
نظروا أدنو فأنظرو) وحوثبا لغة في حيثبا، وكالنعص المجحف مثل (درس  
المنابماتل فأبان) يريد المنازل، وكالعدول عن صيغة معروفة الى أخرى غير  
معروفة مثل سلام يراد به سليمان في قول الخطيب.

فيها الزجاج وفيها كل سابعة جدلاء محكمة من نسج سلام

الى غير ذلك مما لم يخجل منه كلام الفصحاء.

وكذلك وضع النحويون قواعدهم فجاءت منها المطردة التي يعد المخالف لها لحنا لا يجوز في الكلام أو بعبارة أخرى لا يسمى ما دخله اللحن كمنصب  
الفاعل ورفع المفعول ونحوهما في عرف البيانين كلاما، إذ الكلام ماكانت له صفة

واعتبار . ومنها الغالبة المشهورة عندهم وهذه هي التي يعد ماخالقها ضعيف  
التأليف غير فصيح كعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة كما في قول الشاعر ،  
لما رأى طالبوه مصعبا ذعروا وكاد لو ساعد المقدور ينتصر  
وكمجي ه الضمير المتصل بعد إلا في قول الآخر .

ليس إلاك يا على هام سيفه دون عرضه مسلول

ونحو ذلك مما خالف المشهور الفصيح

فالقرآن الكريم قد خلا كل الخلو من مخالفة القياس وضعف التأليف وتجاوز  
ذلك مما هو من سقطات الأفراد التي ترك غير المستحسن من اللهجات على شيوخها  
في كثير من قبائل العرب المعروفة بالفصيح صرفية كانت أم نحوية إلا ما كان  
على سبيل تعدد القراءات .

فن الصرفية ثلثة بهراء وهي كسر حروف المضارعة الالهزة إخال فانها عامة  
الكسر عند الجميع . وثلثاوية الازد وهي حذف بعض الحروف من غير علة  
كشاه الله . ووهم كلب ووكها والاول كسرها الغائب دون أن يسبقها كسر  
ولاياء سا كنة، والثاني كسر كاف المخاطب بعد الكسرة أو الياء الساكنة أو  
قبل ميم الجماعة . وقصر أولاء الاشارية ومد إلى الموصولة عند تميم . وقلب  
ألف المقصور ياء اذا أضيف الى ياء المتكلم مع ادغامها فيها عند هذيل .

ومن النحوية إزام المنى الألف عند كلب وكنانة وبنى الحارث . واستعمال ذو  
وفروعها بمعنى الذي وفروعها عند طيء . وحذف نون اللذين واللتين رفعا  
عند بلحارث من مذحج . وإجراء الذين مجرى جمع المذكر السالم رفعا عند عقيل  
وهذيل . والزمام الاسماء الخمسة الألف قصرا أو إعرابها بالحركات على النقص .  
وحذف ياء المنقوص نصبا كحذفها رفعا وجرا . والحق الضمائر بالافعال على أنها  
علامات تثنية وجمع . الى غير ذلك مما هو معروف عن النوعين في اللهجات .

وإنه ليجمع بنا هنا أن نذكر شيئاً عما ظهر بمظهر الخروج على بعض ما قدمنا في القرآن مثل قوله تعالى (إنّ هذان لساحران) وقوله (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتمنون الزكاة) وقوله (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابغون) فبعض الباحثين ينسبه إلى خطأ كتاب المصحف الإمام مستنداً على ما حدث به هشام بن عروة عن أبيه قال سألت عائشة رضي الله عنها عن لحن القرآن (وذكر هذه الآيات) فقالت «يا بن أخي هذا عمل الكتاب أخطئوا في الكتاب» ثم يؤيد هذه النسبة بما رواه عكرمة عن نفسه قال لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال لا تغيروها فإن العرب ستغيرها بالسنتها أو قال ستعربها بالسنتها ثم قال لو كان الكاتب من ثقيف والمعلم من هذيل لما وجدت فيه هذه الحروف .

غير أن اسناد هذا إلى عثمان على تفسير اللحن بالخطأ ضعيف مضطرب وإلا فكيف يجعل للناس إماماً ويترك فيه لحناً في حين أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يلحنون في الكلام فضلاً عن القرآن الذي تلقوه عن النبي ﷺ كما أنزل وحفظوه وضبطوه وأتقنوه وكيف يظن بهم اجتماعهم على الخطأ في كتابته وعدم تنبيههم إليه ورجوعهم عنه ، ألا إن ذلك بعيد التصديق عن عثمان عقلاً وشرماً وعادة على معنى أن اللحن كما تقدم هو الخطأ الذي لا يجوز ولذلك يطعن فيه بضعف الاستاذ . أما حديث عائشة فلا يقال فيه بالتضعيف لصحة الرواية وإنما يقال إنها تريد الخطأ في عدم كتابة الأولى لا أن ما كتبه خطأ في ذاته لا يجوز فإن ما لا يجوز مردود بالاجماع . ويقال فيما ذكره عروة في سؤاله من كلمة اللحن إنه إنما يعنى بالدعوى القراءة واللغة لا الخطأ بدليل أن هناك براءات أخر على مقتضى السياق فيما تقدم ونحوه ، ولهذا لا نقول بما سبق من



خطأ الكتاب خطأ ذاتيا بل بما انتهىنا اليه من أنه خطأ في عدم كتابة الاولى .  
وهناك تأويل لكل خارج عن الظاهر من آيات . فيقال في الآية الاولى هنا مثلا  
إنها على لغة من يلزم المثني الألف من كلب وكنانة وبني الحارث ، أو إن هذان  
ايس بمثنى لأن مفرد المثني يشترط فيه أن يكون معربا فهو على صورته ولذلك  
يبني ، أو إن اسم إن ضمير شأن محذوف والجملة بعدها خبرها أو خبرها لفظ هذان  
واللام داخله على مبتدأ محذوف أى لها ساحران ، أو إن الألف في هذان  
أتى بها لمناسبة الألف في لساحران وفي يريدان ، أو إن بمعنى نعم . ويقال في  
الآية الثانية إن المتيمين منصوب على القطع للمدح ، أو معطوف على مجرور  
قبله هو ما أو الكف في اليك أو في قبلك أو الضمير في منهم . أما الصابئون  
في الآية الثالثة فيقال إنه مبتدأ حذف خبره أى كذلك ، أو معطوف على محل  
إن مع اسمها وهو الرفع أو على الفاعل في هادوا ، أو إن بمعنى نعم والذين مبتدأ  
والصابئون معطوف عليه .

### ٣ — الغرابة والتعقيد

قد ضمنا فيما سبق تنافر الكلمات الى تنافر الحروف لأن مرجعها  
الاثنين الذوق السليم ، وجمعنا بين مخالفة القياس وضعف التأليف لأن اتقاءهما  
يكون بقواعد النحو والتصريف ، وكان الظاهر أن نضم اليهما تعقيد الالفاظ  
لانه الى قواعد النحو يرجع كما يرجع الضعف لولا أنه لم يخالف مثله مشهور  
القواعد وانما جاء من اجتماع عدة أشياء لاغبار على شيء منها حين الانفراد  
ولكن اجتماعها هو الذي يحدث الاضطراب في التركيب فيصيب المعنى من  
هذه الناحية بالتحفاء كما يصيبه التعقيد المعنوي من حيث التصوير مع استقامة

الالفاظ وكما تصيب الغرابة معانى المفردات لعدم معرفة المدلول ، فمناسب لذلك أن نسلك الثلاثة في عنوان .

أما الغرابة فقد انتشرت في كلام كثير من الفحول في حين أن اختار القرآن كلماته ظاهرة المعنى واضحة المراد فأصبح بذلك مفهوما حتى لغير الخاصة من الدهماء ، ولقد كانت اللفظة ترد في ثناياها غير بارزة المعنى في ذاتها للسواد فيشع عليها أسلوبه شعاعا يكشف عن معناها ويصوب اليها نورا يبين من غرضها ومرماها فاذا هي أمامه كفتاق الاصباح . وكثيرا ما كان يعدد الأسلوب من معانى اللفظة الواحدة تعدادا لا يخرج على كثرته عن معناها الاصيل خذ لذلك مثلا كلمة الهدى فقد جاءت في قوله تعالى ( أولئك على هدى من ربهم ) بمعنى البيان وفي قوله ( ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ) بمعنى الايمان وفي قوله ( ولقد جاءهم من ربهم الهدى ) بمعنى انقرآن وفي قوله ( وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ) من الدعاء وفي قوله ( أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ) من الالهام وفي قوله ( إن الله لا يهدي كيد الخائنين ) من الاصلاح الى غير ذلك من معانيها التي قاربت العشرين معنى ومنها في تلك كلمات كثيرة كالصلاة والرحمة والسوء والفتنة والروح واتقضاء والذكر والدعاء وغيرها مماورد متنوع المعانى باختلاف الأساليب على مثل تلك الكثرة أو يزيد .

وكما كان الاسلوب يسبغ على اللفظة الواحدة معانى تختلف باختلاف السياق كان كذلك يقبل من الكلمة في الموضوع الواحد جملة معان يحتملها التفسير دون أن تخرج عن السنة وسائر الكتب من ذلك قوله تعالى ( انقروا خفافا وثقالا ) فقد احتمل تفسيره شبانا وشيبا أو أغنياء وفقراء أو أعزبا ومتأهلين أو نشاطا وكسالى أو أصحاء ومرضى وكل ذلك سائغ مقبول ، ومنه

قوله تعالى ( تم أو رثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ) فقد قيل الظالم المضيع للواجبات المنتهك للحرمان والمقتصد فاعل الواجبات تارك الحرمان والسابق الذي يزيد عن المقتصد فيتقرب بالحسنات ، وقيل بل الظالم مؤخر الصلاة الى نهاية وقتها والمقتصد مصليها خلاله والسابق مؤديها أولا ، بل قيل الظالم مانع الزكاة والمقتصد مؤتيها وحدها والسابق الزائد عليها بالصدقة . وقد تختلف القراءة في كلمة فتفسر على كل قراءة تفسيرا فيكون كل ذلك صالحا وهذا كثير من أمثله ( لقالوا انما سكرات ابصارنا ) فقد قرئ بتخفيف سكرت على معنى أخذت وبتشديده على معنى سدت ومن أمثله أيضا قوله تعالى ( سراييلهم من قطران ) على أن القطران كلمة واحدة لما تهنا به الابل أو كلمتان احدهما القطر اسم للنحاس والثانية أن بمعنى ذائب من شدة الحرارة ولكن سهلت ههزته

وأقصى ما ذكر في القرآن من غريب لم يعد أمثال ما كان يسأل عنه ابن عباس زعما من السائلين أنه لم يرد في الأشعار فكان يأتي له بالنظائر والامثال كيبأس بمعنى يعلم في قوله تعالى « أفلم ييأس الذين آمنوا » ومثله قول الشاعر  
لقد يئس الاقوام أنى أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشير نائيا  
ونحاس بمعنى دخان في قوله ( يرسل عايكما شواظ من نار ونحاس ) ومثله

يضىء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

ونحسونهم بمعنى تقتلونهم في قوله « إذ تحسونهم بأذنه » ومثله

ومنا الذي لاقى بسيف محمد نحس به الاعداء عرض العساكر

ومقيت بمعنى قادر في قوله ( وكان الله على كل شيء مقيتا ) ومثله

وذى ضغن كفت النفس عنه وكنيت على مساءته مقيتا

وينغضون بمعنى يحركون في قوله ( فسينغضون اليك رءوسهم ) ومثله

أتنغض لى يوم الفخار وقد ترى خيولا عليها كالاسود ضواريا

الى غير ذلك مما قد سئل عنه وهذا أوغل ما فيه في الغريب ومنه يتضح أن لا غرابه تسلمه صفة الفصيح كما يتضح أن سياق ما ورد فيه من آيات كان مقربا لمعناه أيما تقريب على أنه مع الاغضاء عن إيضاح السياق لا يمكن أن يقاس بأمثال ما ورد في فصيح الكلام ما جئنا بقرابته القايء على أدبه إلى استصحاب معاجم اللغة للوقوف على معناه .

وأما التعميد فقد عرا بنوعيه كثيرا من كلام الفصحاء والبلغاء تخفيت معانيه خفاء كبيرا لاضطراب الترا كيب بتعميد الالفاظ أو خفاء أكبر منه لسوء التصوير بعدم استقامة التفكير حتى أصبح تلمسها عسيرا على الجهايزة المتبحرين، والشواهد على ذلك تملأ كتب البلاغة ومواطن النقد والمحاكمات اذ لم يكذب يسلم من التعثر فيهما علم من أعلام البيان على قلة ما قال، وقد سلم القرآن منهما على طوله المديد وعلى كثرة ما عالج من معان زادت في عددها عن عدد الآيات وقد تقدم أن آياته جاوزت ستة الآلاف . فكان في كل غرض قصد إليه مستقيم اتركيب عذب الاسلوب واضح المعنى صحيح التفكير وهذا حكم يصدق على جميع انقرآن من حيث سلامة اتركيب دون الاستثناء وعلى معانيه من حيث الوضوح الاما أتى متشابهها كما سيأتى لحكمة أرادها فيه . ولقد راعى القرآن في معانيه الجزئية فوق ما تقدم من صحة ووضوح، وجود الروابط والصلات بين كل طائفة يجمع بينها معنى عام حتى أصبح التلاؤم شديدا والانسجام بينا وصارت أغلب سوره تتصل فواتيحها بخواتيمها اتصالا تناسبا أول اتحاد في حسن ابتداء وجماء انتهاء وتجمع بينها كلا متعاشق الاجزاء يرمى إلى غرض واحد أو أغراض فيها على تعددها تناسب واتئلاف وهذا شيء واضح للعيان . فمن الربط بين الفاتحة والخاتمة عن طريق الاتحاد ما رآه في سورة الحشر من تسبيح وفي الممتحنة من نهى المؤمنين عن والالا

الكفار وها قصيرتان، وما تراه في سورة النحل من ذكر القرآن وفي الاحزاب من ذكر الكافرين والمنافقين والمشركين وها متوسطتان، ثم ما تراه في سورة البقرة عن الايمان وفي آل عمران عن الكتاب وأهل الكتاب وها طويلتان، وعليك الرجوع الى هذه الآيات كما عليك التماس الربط فيه عن طريق التناسب فهو يتناول معظم القرآن ولذا آثرنا التمثيل دونه للاتحاد. على أن المناسبة في كثير من السور كانت تتعدى السورة الى غيرها فتظهر أحيانا واضحة بين فاتحتها وخاتمة ما قبلها أو بين خاتمتها وفاتحة ما بعدها فتلمس ذلك أيضا فهو كثير يبديه مجرد التماس.

أما التناسب بين ما تضمنت كل سورة من آيات فقد بلغ القرآن فيه درجة الأعجاز اذ جاءت كل آية في سورتها تابعة لما قبلها متبوعة لما بعدها على اختلاف هذه التبعية من وجوه. فمنها ما يظهر فيها الارتباط بين الآية اللاحقة والآية السابقة من حيث تعلق الكلم فيها بعضه ببعض لعدم تمام السابق من غير اللاحق أو تمامه بدونه ولكن يقع منه اللاحق موقع التأكيد أو البديل أو البيان أو الاعتراض وهذا كثير جدا ولا يحتاج الوقوف على التناسب فيه الى تأمل. ومنها ما يكاد يظهر بمظهر المستقل ولكن قليلا من التأمل يكشف عن جهة جامعة من أنواع العلاقات ولهذا كان من عادة القرآن ذكر الرحمة بعد العذاب. والرغبة بعد الرهبة. والوعد والوعيد أو التوحيد والتنزيه بعد بيان الأحكام ليكون ذلك باعثا على العمل أو مبينا عظم الأمر الناهي كما كان من عادته أن يخرج من شيء إلى شيء لمناسبه تسمح بهذا الخروج ثم تارة يعود الى ما كان فيه فيكون ما خرج إليه استطرادا وتارة لا يعود فيكون انتقالا، مثال الأول خروجه في قصة ابراهيم من سورة الشعراء وكان الحديث قبلها في قصة موسى الى وصف المعاد عقب قوله على لسان ابراهيم (ولا تخزني يوم

يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون) الى آخر ما ذكره في وصف اليوم فانه ما  
بعده الى قصص الانبياء بالدخول في قصة نوح وهذا هو الاستطراد : ومثال  
الثانى انتقاله في سورة صاد من ذكر الانبياء الى ذكر المتقين بقوله ( هذا ذكر  
وإن للمتقين لحسن مآب ) فانه أنهى السورة ولم يعد الى ذكر الانبياء وهذا  
هو الخروج . ومع ذلك فالمناسبة دائما ثابتة فيه لأن لكل سورة أمرا كلياً  
يهيمن على حكم الربط بين آياتها متى عقله القارىء بالنظر الى الغرض العام الذى  
سيقت له وما يحتاج اليه ذلك الغرض من أغراض خاصة تبين له وجه النظم مفصلاً  
واضح الروابط بين الاحكام .

هذا على أنه قد تخفى المناسبة أحيانا فتحتاج فى تلمسها الى فضل علم  
بأسباب التنزيل ومن أمثلة ذلك وهى قائلة قوله تعالى « لا تحرك به لسانك  
تعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه » فان  
هذه الآية قد وردت فى سورة اقامة بين أوصاف اليوم الآخر ولها خاتمة  
السورة دون هذه الآية ولكن السبب فى وجودها ظاهرة الخروج راجع الى  
أسرار التنزيل فقد حدث أن رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ما أنزل من  
أول السورة الى قوله تعالى « ولو ألقى معاذيره » بادر الى تحمظه فحرك بما نزل  
لسانه متعجلاً به ولما كان فى هذا الشغل له عما هو نازل من سائر السررة لفته  
المولى سبحانه وتعالى بهذه الآية ثم عاد الى تكملة ما بدأ به . وفى الآية  
مناسبات آخر فضلت عليها ما اخترت كما فضلت التمثيل بها دون غيرها لانها  
أبعد الآيات فى ظاهرها تعلقاً بسورتها .

وكما تخفى المناسبة أحيانا وهى موجودة فتكون الآية محل كلام، كذلك  
قد تظهر بعض الآيات بمظهر الاختلاف ولا اختلاف ، فمن ذلك ما ذكره الله  
سبحانه وتعالى عما خلق منه آدم ، فقد جعله التراب والطين والحما والصلصال

في كثير من الآيات فأشعر ذلك بالمخالفة ولكن لاختلاف لأن مرجعها كلها الى جوهر واحد هو التراب الذي منه تشكلت هذه الأشياء . ومنه قوله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » مع قوله « اتقوا الله حق تقاته » ووجه عدم المخالفة أن الأولى في الاعمال والثانية في العقائد وكذا قوله ( فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة ) مع قوله ( ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل ) فان الأولى في توفية الحقوق والثانية في ميل القلب ومن أمثلة هذا النوع في الآية الواحدة قوله تعالى ( قل أنتم كنتم تكفرون ) بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ) فان ظاهرها يقتضى أن خلق الارض والسماء استغرق ثمانية أيام وهذا يناقض المجمع عليها من أنها ستة لاغير ولكن التدبر فيها يرى أن اليومين الأولين الخاصين بخلق الارض داخلان في الأربعة بعدها اذ كان جعل الرواسي وتقدير الاقوات في يومين أتمهما أربعة ثم كان خلق السموات في يومين ثالثين أكمل سلفيهما ستة أيام كما هو المعروف . وهناك آيات أخر من هذا النوع لا يخفى اتوجيه فيها على ذوى البصائر والعقول .

أما الاختلاف بمعنى التناقض فلا وجود له ألبتة في القرآن

تلك كلمة أسلفناها عن معاني القرآن في صحتها ووضوحها وتلاؤمها وعدم اختلافها وإنه لم يضرورى وقد امتد بنا الحديث هذا الامتداد أن نشفع تلك الكلمة بأخرى موجزة عن مبهمات القرآن ومتشابهاته . فأما المبهمات

فإنقصدها الآيات ذوات الحاجة الى إيضاح وهي نوحان نوع فسرهما القرآن في موضع غير موضعه فيه كقوله تعالى « صراط الذين أنعمت عليهم » فإنه بين هؤلاء في آية أخرى هي « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » وكقوله « وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا » فقد فسره في سورة النحل بقوله ( وإذا بشر أحدهم بالأنثى ) وكذا قوله ( أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم ) فإنه مفسر بقوله ( حرمت عليكم الميتة ) الى آخر الآية . ونوع ترك تفسيره لاسباب ظاهرة منها اشتهاؤه نحو « اسكن أنت وزوجك الجنة » فعرف أنها حواء . ومنها انتستر عليه نحو ( ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ) فقد نزلت في الاخنس بن شريق ولم يذكر الله اسمه تصرا عليه لما علم من أنه سيسلم ويحسن اسلامه . ومنها ألا يكون في ذكره فائدة كما في الآية ( أو كالذي مر على قرية ) ومنها سوقه سوق العموم وان كان في الاصل خاصا كما في قوله تعالى عن ضمرة بن جندب ( ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ) ومنها تعظيمه بالوصف كما في قوله تعالى ( والذي جاء بالصدق وصدق به ) يقصد النبي وأما بكر الى غير ذلك من الاسباب .

وأما المتشابهات فهي ما استأثر الله تعالى بعلمها اذ ليس في قدرة العقول الوصول الى حقائقها ولعله لا شيء منها في القرآن الا أوائل السور المبدوءة بالحروف، والحكمة في وجودها مع استغلاق معناها هي اختبار العباد في درجات الايمان فان لم ترسخ عقائدكم يقفون عندها وقفة الزينغ والاحاد كما قال الله سبحانه وتعالى ذا كرا ذلك ( هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون



ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ) اذالمختار أن الوقف في هذه الآية على لفظ الجلالة والكلام بعده مبتدأ وخبر . وبعض العلماء لا يقف بل يعطف فيشرك الراسخين في العلم في التأويل ولكن ذلك غير مؤيد فإن المؤولين لم يصلوا الى مقنع في تأويلهم كما ستري مما يقولون . فبعضهم يجعل هذه المبادئ الحرفية مأخوذة من مبادئ أسماء الله تعالى أو من مبادئ جمل ينسبها سبحانه الى نفسه ويقول إن ذلك اختزال جرت على بعضه العرب في نحو قول القائل

بالخير خيرات وان شرافا ولا أريد الشر الا أن تا

يريد وان شراف فشر ، الا أن تشاء . وبعضهم يجمعها أسماء للسور أو أسماء الله لما روى من أن عليا رضي الله عنه كان يقول « يا كهيص اغفر لي » أي يامسح بهذا الامم أو ياقائل هذه السورة من سورك . وبعضهم يقول إنها مركبة على حساب الاعداد في « أبجد » لأشياء موقوتة في علم الله . وكل هذا لم يفته بنا إلى معنى معروف كما رأيت . وأخيرا هناك رأى لا بأس من إرادته وان كان لا يوضح عن سوابقه ذلك قول من يقول إنها إعلام للعرب ومن بعدهم بتركيب القرآن الذي أعجزهم من حروف لغتهم وإشارة إلى شيء من النظام الذي ورد عليه ذلك التركيب في أنواع الكلمات ونسبة دورانها فيه وغلبة الحروف التي بدئت بها كل سورة على غيرها فيها ولذلك كثر ذكر الكتاب بعد كل حروف بدئت بها سورة حتى شمل كل السور الا ثلاثا هي العنكبوت والروم ونون . على أن أصحاب هذا الرأي قد ظفروا بأشياء غاية في العجب انتهوا اليها بعد بحثهم . فقد وجدوا مثلا أن السور التي بدئت بالحروف ثمان وعشرون بعدد حروف الهجاء . وأن الحروف التي دارت فيها هي نصف تلك الحروف .

وأنها مشتت على هذه المناصفة في تقاسيم كثيرة للحروف ففيها نصف الحروف المهموسة وهي عشرة التاء والتاء والحاء والحاء والسين والسين والصاد والفاء والكاف والهاء ونصف الجهورية وهي الباقية . وفيها نصف الحروف الشديدة وهي ثمانية الهمزة والجيم والذال والطاء والظاء والقاف والكاف والهاء ونصف الرخوة وهي الباقية وفيها نصف حروف الحلق وهي ستة الهمزة والحاء والحاء والعين والغين والهاء ونصف غير الحلقية وهي الباقية وكذا نصف حروف الاطباق الاربعة وهي الطاء والظاء والصاد والصاد ونصف غير المطبقة وهي الباقية .

إلى هذا الحد وصلت البحوث ولكن العلم الحق عند الله فهو علام الغيوب « يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور » .

ذلك ما رأيت إثباته هنا عن مبهمات القرآن ومتشابهاته وإنه ليجمل أن أذكر معهما الحكمة في وجود ناسخ ومنسوخ بالقرآن وهي لا تعدو أنها ضرورة من ضرورات التشريع ساقط اليها الظروف والأحوال وأوجب وجودها ما اقتضاه أخذ العرب بالاسلام من تدريج وإنما بقي المنسوخ بمد نسخته كي يتعبد بتلاوته وكي يعرف الناس ما كان من خطوات التشريع

وبعد فقد انتهى ما أردنا إجماله عن الامر الأول وهو مبادئ الفصاحة في القرآن، إجمالاً يفتح أمام القارئ الأبواب التي يلجها في التفصيل. وهذا ما نريد أن نذكره عن الامر الثاني وهو درجة الفصاحة نفسها على هذا المنوال .



## ثانيا - درجة الفصاحة في القرآن

قد بان مما تقدم أن ميدان الفصاحة ذو غايات ثلاث هي التشبيه والمجاز والكناية، وقد جرى القرآن الكريم في كل غاية أشواطاً تقطعت بالفحصاء دون بلوغها الأسباب فوقوا أمامها حائرين لا يجدون إلى شق غبارها من سبيل وهذى بعض الامثلة على ما نقول

### ١ - تشبيهات القرآن

اشتمل القرآن الكريم على كل ما حسن من أنواع التشبيهات

فجاء فيه تشبيه المحسوس بالمحسوس كقوله تعالى في وصف الحوز ( كأنهن بيض مكنون ) و ( كأنهن الياقوت والمرجان ) وفي عظام السفن ( وله الجرارى المنشآت في البحر كالأعلام ) وفي أصحاب الفيل « فجعلهم كعصف مأكول » وفي بعض أهوال الساعة « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » وفي عصا موسى « تهتز كأنها جان » و « فآلقها فإذا هي حية تسعى » وفي هذين التشبيهين الأخيرين تصرف بديع فإنه أراد من الأول سرعة الحركة فشبه بالجآن وهو ولد الحية إذا هو أسرع منها حركة وفي الثاني أراد العظم فشبه بالحية نفسها ولكنه عقبها بالفعل « تسعى » لكيلا تنقص الحركة على إطلاقها

وجاء فيه تشبيه المعنوي بالمحسوس كقوله تعالى في أعمال الكافرين يحبطها الاشرار فلا تغنى عنهم من الله شيئاً « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال

البعيد» وكتوله فيها أيضا «مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون» فكنا الآيتين توضيح الغرض أتم أيضا من حيث اقتضاء الشامل الذي لا يبقى شيئا يمكن أن يكون به انتفاع . وكتوله تعالى فيمن آتاه آياته فانسلخ منها فأصبح لا يحيب بعنف ولا لين « وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانساخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فنله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون » فهؤلاء والكاب سواء لا يحبونك إلى الإيمان فسوت أم لت كما لا يطيعك الكاب إلى ترك الآث حمت عايه أم تركت . وكتوله تعالى في عدم انتفاع المشركين بمن يدعون على حاجتهم إلى الانتفاع « وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما دو يبالغه ومادعاء الكافرين إلا في ضلال

وجاء فيه التشبيه المعنوي الطرفين كقوله تعالى «أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» ولكن هذا على عكس سابقه في القرآن قليل لأن المعنويات لا تطاوع على تحقيق الغرض من التشبيه ولذلك نجد أن قرآن لا يزال يحبو هذا النوع بما يخرج به إلى ناحية الحس، ألا تراه في هذه الآية مثلا، والقصد من التشبيه فيها التفريق بين حالي الضال يهدى والضال يبقى في ضلاله، قد استعمل للضلال والهدى على سبيل التجوز الإماتة والاحياء وأثرهما في الحس أوضح من أثر هذين.

وعطف عليهما وهما الطرف الأول من التشبيه ماقربهما من الحس وهو قوله « وجعلنا له نورا يمشى به في الناس » ثم لم يكتب بذلك بل جعل الطرف الثاني ظاهرا كماه بمظهر الحس إذ حذفه ولم يبق دالا عليه سوى المحسوس المناظر في الطرف الأول للمعطوف وهو قوله « كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » وبهذا التصرف البديع الجبار خرجت الآية على أحسن مخارج التشبيه إذ كادت تكون من تشبيه المعنوي بالمحسوس أو المحسوس بالمحسوس

أما الصورة الباقية عقلا وهي تشبيه المحسوس بالمعنوي فلم يرد منها في القرآن شيء لما يعترى التشبيه فيها دائما من الحمل الضعيف أو المبالغة الممقوتة وهذا خروج على الأصل في التشبيه لأن العقل مستفاد من الحس والمحسوس أصل للمعقول والتشبيه على هذه الصورة يستلزم جعل الأصل فرعا والفرع أصلا وهو قبيح . ولذلك حاد القرآن أيضا عن أن يرد به شيء من التشبيه المعكوس إلا إذا كانت شركة الطرفين في وجه الشبه لدى المخاطبين تبيح هذا التعبير كقوله تعالى « أفمن يخناق كمن لا يخناق » لأن المشركين سووا في استحقاق العبادة بين آلهتهم والآله الحق وعكفوا عاينها من دون الله يعبدون فكانت عندهم أصلا يقع به الالحاق ولذلك وقع التشبيه متلوبا ولكنه جاء في صفة تظهر خطأ التسوية باديا وعجز آلهتهم مكشوفاً وهي صفة الخناق والانشاء ، وكذلك قوله تعالى « إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا » فإن العرب أولعت بالربا وأقبات عليه أكثر مما تقبل على البيع فألحقه الله به ولكنه عقب على ذلك بما يفك هذا الالحاق وهو تحمليه البيع وتحريم الربا .

على هذه الصور الثلاث جاءت تشبيهات القرآن مع إدغام الثالثة بنحو ما قدمنا عن الآية الممثل بها هناك فهو دائما يخرج ما لا تقع عليه الحامسة إلى ما تقع عليه ويقدم الناقص ليلحقه بالكامل ، إلا أنه كان يجري في تشبيهاته

كثيرا على الترفع بالكامل أن يتساوى بالناقص فيقدمه عليه حينئذ وذلك في حالات النفي مثل قوله « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء » أى فى التنزل والامتهان أو فيما يجرى مجرى النفي كما فى قوله « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » أى فى سوء الحال والنفي هنا آت عن طريق الاستفهام الإنكارى وعلى هذا يمكن أن تخرج الآية السابقة ( أفن يخلق كمن لا يخلق ) فلا تكون كآية البيع والربا نصا فى التشبيه المقلوب

على أن القرآن كان اذا لم يجد فى بعض التشبيهات المشبه به الفائق على المشبه حقا وواقعا، تخيره مما هو المثل الأعلى فى نظر المخاطبين وان لم يكن من هذا العلو على القدر المطلوب ومن ذلك قوله تعالى ( الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاج كإنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولولم تمسه نار، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم ) فان المشبه به أمام المشبه ضئيل نحيل ولذلك ترى الآية قد أطالت فى وصفه بما عساه يفيض عليه السطوع والاشراق فجعلت المصباح فى زجاجة لامعة لمعان الكوكب الدرى وجعلت زيته مبالغة فى نقائه معتصرا من زيتونة مباركة يكاد زيتها يضىء ولولم تمسه نار ثم جعلت مشرقه كوة صغيرة غير نافذة وهى المشكاة ليملاها بضوئه ويشتد فى جوانبها شعاعه، ولما كان الغرض من نور الله أنما هو الهدى بشع فى قلب المؤمن إشعاع ذلك المصباح فى المشكاة ذكر فى الآية بعد أن تكون المشكاة فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وهى المساجد لعظم مصابيحها وليكون فى ذلك ضمنا تشبيه قلب المؤمن بملأه الايمان بمشكاة المسجد يشع فيها مصباحه وسأر

جسده بسائر المسجد طهارة وقد سما . ولتماسك التشبيه على النحو الذي بينا وجب  
أن يوصل بين الآيتين قراءة، فلا جواز للوقوف على نهاية الأولى  
ولعل القرآن وقد عدل عن التشبيه المقلوب وتشبيه المحسوس بالمعنوي  
فزارا من الضعف والخفاء قد عدل لهذا أيضا عن التشبيه المعتمد على الخيال  
مالم تك الصورة الخيالية قد بلغت في نفوس العرب مبلغ الصورة الحقيقية وأشد  
بما توالى عليها من صنع الخيال الذي يذهب بها في التصوير الى مدى بعيد .  
انظر قوله تعالى في شجرة الزقوم (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلوعها  
كأنه رهوس الشياطين) كيف اعتمد في المشبه به على ما تتخيله العرب في  
الشياطين من قبح المنظر الذي عمها وتناهى في رهوسها حتى صار لها في نفوسهم  
من الشناعة والبشاعة ما ذهب الخيال في تصويره كل مذهب واسترسل في تجسيم  
هوله أيما استرسال وكذا قوله تعالى فيما يعاكس هذا التشبيه على لسان النسوة  
وقد أخرجت عليهن يوسف امرأة العزيز ( فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن  
وقلن حاش الله ما هذا بشرا إن هذا الا ملك كريم ) فان للملك في النفوس  
صورة بلغ الخيال في تحسينها المبلغ الفائق وأبدع في تجميلها ما شاءه الابداع .  
ولم تقف قوة القرآن في إخراج تشبيهاته عند الحدود التي رسمنا بل تعدتها  
الى درجات آخر ذات روعة وجلال . من ذلك أنه كان اذا أتى بالمشبه أمرا  
غير معتاد انزع المشبه به مما جرت به العادة فكان كثير الوقوع قال تعالى في  
قصة عاد ( كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم ريحا صريرا  
في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ) والعارف أن بلاد  
العرب بلاد نخيل وأن من رياحها ما كان دهورا مدمرا وأنهم كانوا يعلمون  
أن منازل عاد كانت أكثر بلادهم نخيلا يدرك مبلغ هذا التشبيه من نفوسهم ،  
وقال في السماء تشقق عن حمرة ولين ( فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان )

أى حمراء ذاهبة كالدهن، أو كالوردة تكون في حمرةا وطراءتها كالجلد الاحمر المدبوغ، فيكون هنا تشبيه داخل تشبيه وكلا الشئيين كان للعرب به عهد واختبار، وقال (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) وليس أظهر في بيان السهولة في نتق الجبل من جعله كالظلة يرفعها الانسان فوق رأسه دون كلفة ولا عناء، ومنها أنه كان اذا أتى بالمشبه أمرا غائبا عن العيان وإن كان من شأنه أن يحس أو معنويا يحتاج في تصويره الى تدبر وتفكير، أعقبه بالمشبه به معروفا بالبداهة دون إعمال روية ولا إجهاد مثال الأول قوله تعالى يصف سعة الجنة (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) فقد أخرجها على غيبها مخرج المعائن المالىء للآفاق، ومثال النأى قوله تعالى في قصة عاد أيضا (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) فان خواء النخل بتأكل أجوافها يخرج الى البديهة إدراك حال الاجساد وقد غادرتها الارواح وكذا قوله فيمن اتخذوا من دون الله أولياء (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) وقوله فيمن حملوا التوراة ولم يفتقروا بها كأنهم لم يحملوها (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) وليست الآيتان في حاجة الى تعليق

ولقد كان القرآن يتصرف في الحال الواحدة بالتشبيه تصرفا واسع الافق وحب الميدان فيكون في كل حالة مصيبا للغرض أشد اصابة موفيا ما يريد أكمل إيفاء، خذ لذلك مثلا تشبيهه المنافقين تشبيهم متتالين حيث يقول (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات



لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون . أو كهيب من السماء فيه ظلمات ورعد و برق يجعلون أصابهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير )  
 وخذ لهذا أيضا تشبيهه لأعمال الكافرين كذلك حيث يقول ( والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ، أو كظلمات في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب . ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ) فقد سلمها التشبيه الأول المنفعة على ظنهما ، وجردها الثاني من أن تكون محل هداية وإرشاد . وانظر تشبيهه في الشرك وما يفعل بالمشرك حيث يقول ( فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ) فهو لا محالة إلى هلاك ليس مثله هلاك . وكذا تشبيهه في التفرقة بين الله جل شأنه وبين ما أشركوا به من أصنام إذ يقول ( ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله . بل أكثرهم لا يعلمون . وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أيتما يوجهه لآيات بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ) . ثم انظره في هذه الناحية يشبه المشرك تتنازعه الآلهة والموحد يخلص إلى الواحد . وازنا بينهما حيث يقول ( ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ) بل انظره يشبه كلمة التوحيد في نتائجها وكلمة

الشرك في عقمها إذ يقول « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » . وعلى هذا النحو يقول فيمن ينفق ماله رياء الناس وفيمن ينفقه ابتغاء مرضاة الله ( يأبىها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ، ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وثنيبتا من أنفسكم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأنت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ) ثم يعود ثانية إلى تمثيل ما يصنع المن والرياء بالصدقات من سحق وتدمير فيقول عقب هذه الآيات ( أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ) وانظر تشبيهه قبل ذلك فيمن ينفقون أموالهم في سبيل الله وما قدر لهم من مضاعف الأجر حيث يقول ( مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ) ولهذا المناسبة انظر كيف تدرج من هذه الآية إلى الآيات السابقة في المن والأذى حيث قال بينهما وما أشده التحاما وأوثقه رباطا ( الذين ينفقون

أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أتقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حلیم .

بل لقد كان القرآن يتصرف في التشبيه في المعنى الواحد لا في الحال الواحدة تصرفا يجري بين قبض وبسط وتساو، فيبلغ في كل ذلك الغرض الذي يريده والمرمى الذي يقصده في قوة وسداد ومن ذلك ما جاء في وصفه هذه الحياة وأن كل ما فيها من زخرف وغرور إن هو الامتاع لا بد مستسلم إلى فناء . قال فيها موجزا في سورة الكهف « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا » وقال فيها مساويا في سورة الحديد « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » وقال فيها في سورة يونس مطنبا « يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إنا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك تفصل الآيات ليعلم المتفكرون » فهذه الآية الأخيرة قد أتت في تشبيه المفرد بالمركب بما ليس له مثيل ولا مقارب في كلام الناس، وأنى للناس أن يذللوا هذا النوع وبه ما ترى من شدة الشكيمة وصعوبة الاقبياد وهو في القرآن أكثر من أخويه تشبيه المفرد بالمركب والمركب بالمركب . أما تشبيه المركب بالمفرد فليس في القرآن منه شيء لأنه

يتنافى والطريق الصحيح للتشبيه إذ ليس في قوة مفرد أن يزيدك بيانا على ما تفهمه من تركيب اللفظ إلا إذا جاء على سبيل الاستعارة التمثيلية في ضرب الأمثال حيث يعتمد المثل على قصة تجعل المشبه به على قصره أطول من المشبه معها امتد به التركيب على أن هذا ليس من التشبيه بالمعنى المصطلح عليه في شيء وإذن فهو خارج بذاته لا بما تلمسناه له من أسباب فلاحجة به علينا ولا ضمير علينا منه .

والقول في تشبيه القرآن حافل طويل يعجز الانسان عن الاطاعة بأمثاله ويحار في تعدد المزايا لكل مثال فلنقف منه عند هذا القدر خاتمين إياه بأية كريمة تلاحق فيها التشبيه بقوة وغزارة كالموج يدرك بعضه بعضا في شدة دفع وحسن انتظام وهي قوله تعالى « قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفأخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار . أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال » .

## ٢ - مجازات القرآن

قد وردت جميع المجازات المعروفة في القرآن الكريم بكثرة وفوق وابتكار وهذه كلمة موجزة عن كل نوع .

## ١ - انجاز الاستعارى

فالجزاز الاستعارى وهو المبني على التشبيه جاء فيه بالكثرة التى عليها التشبيه نفسه قال تعالى فى استعارة الموج للجلبة والتلاطم « وتر كنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض » والمرأة التى لاتلد للريح غير اللاقحة « إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » والسايخ لخروج النهار من الليل « وآية لهم الليل نساخ منه النهار » واشتغال النار للشيب يأتهم السواد « فاشتعل الرأس شيئا » إلى غير ذلك من الاستعارات المحسوسة الطرفين . وقال فى استعارة القذف والدفع للتسلط والقهر « بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » والمس للنيل والزلزلة للأنزاج « مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله » والصدع للجهر بالدعوة « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » والنبذ للاهمال « فنبذوه وراء ظهورهم » والأودية لمقاصد الشعراء « ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون » والظلمات للكفر والنور للايمان « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » إلى غير ذلك مما استعير فيه محسوس لمعنوى . وقال فى استعارة الرقاد الموت « من بعثنا من مرقدنا » والسكوت للزوال « ولما سكت عن موسى الغضب » والقدم للجزاء بعد الامهال « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » إلى غير ذلك من استعارة المعنوى للمعنوى . أما استعارة المعنوى للمحسوس فلم يك يقدم عليها إلا إذا جاء وجه الشبه فى بعض المعنويات أقوى منه فى بعض المحسات على خلاف المتعود المعروف ومن ذلك قوله فى استعارة الطغيان لزيادة الماء « إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية » والعتو لشدة الريح « فاهلكوا بريح صرصر طائفة » وايس من شك فى أن إحساس الناس بطغيان الطاغى وعتو

العاتى أشد ايلاما لنفوسهم وهم أكثر له خوفا من الزيادة فى الماء والشدة فى الريح .  
ولقد كان القرآن يعنى بالترشيح فى الاستعارة لما فيه من تقوية الحمل  
وتعزيز المعنى قال تعالى « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشىناهم  
فهم لا يبصرون » وقال « إذا ألغوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفرور تكاد تميز  
من الغيظ » وقال « وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا »  
وقال « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » وقال « أولئك الذين اشتروا  
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » . ولم يقف عند حل التخييل  
فى اترشيح بل جاءت فيه استعارات مبينة كلها على التخييل لاستحالة التشبيه  
فيها على سبيل التحقيق كما فى قوله تعالى « بل يدهام مبسوطتان ينفق كيف يشاء »  
وقوله « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » وقوله « الرحمن على العرش  
استوى » وقوله « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة  
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » إلى غير ذلك من  
آيات الصفات المناظرة لصفات الاحداث، وإنما لم يحسن تخريجها على التجوز  
الارسالى لأن مبناه كما سيأتى على غير التشبيه فهذا موطن الفرق ومحل الخلاف  
بين أمثال هذه الآيات وبين المجاز المرسل من جهة ثم بينها وبين الاستعارات  
التحقيقية من أخرى . وكثيرا ما كان ينساق فى باب التخييل حتى يكون الكلام  
فى مجموعه مثلا مضروبا وقصة متخيلة بقطع النظر عما فى داخله من استعارات  
جزئية فمن ذلك قوله تعالى « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها  
رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف  
بما كانوا يصنعون » وقوله « أفأرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم  
وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا  
تندكرون » إلى غير هذين من قصصه التخيلية البكيرة التى كانت تستغرقى

الواحدة منها أحيانا السك الكبير من القول . ولقرآن افتنان في الاستعارة  
التهكمية وهي التي تستعمل فيها الألفاظ الدالة على المدح والتكريم في نقائضها  
من الدم والتهجين كما في قوله « خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق  
رأسه عن عذاب الجحيم ذق إنك أنت العزيز الكريم » وقوله « فبشرهم بعذاب  
آليم » وقوله « فاهدوهم إلى صراط الجحيم » إلى غير ذلك

### ب - المجاز الارسالى

وهو ما لم ين على التشبيه، ولم يقل دورانه في القرآن الكريم عن المجاز  
الاستعاري فهو فيه كثير الأمثلة متعددة الانواع إلى درجة بلغت علاقاته فيها  
نحو الأربعين

فنه إطلاق السك على الجزء، وعكسه نحو « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم »  
( فولوا وجوهكم شطره ) ومثل هذين وصف الجزء بصفة السك والعكس مثل  
( ناصية كاذبة خاطئة ) ، ( ولملت منهم رعبا ) ومنه إطلاق الخصاص على العام  
وعكسه مثل ( أنار سول رب العالمين ) أى رسله ، ( ويستغفرون لمن فى الأرض  
أى للمؤمنين بدليل ( ويستغفرون للذين آمنوا ) وبدليل ( ما كان للنبي والذين  
آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربنى من بعد ما تبين لهم أنهم  
أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له  
أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ) ومنه إطلاق المسبب على السبب  
وعكسه نحو ( قد أنزلنا عليكم لباسا ) ، ( ما كانوا يستطيعون السمع ) وقد يتركب  
سبب على سبب نحو ( فأخرجهما مما كانا فيه ) لأن المخرج هو الله للأكل  
من الشجرة الناشئة عن وسوسة الشيطان ومنه تسمية الشيء باعتبار ما كان  
أو ما يكون مثل ( فلا تعضوهن أن ينكحن أزواجهن ) ، ( فلا تحمل له  
من بعد حتى تنكح زوجا غيره ) ومنه تسمية الحال باسم المحل والعكس مثل

« فليدع ناديه » ، ( إذ يريكمهم الله في منامك قليلا ) على معنى الرؤية البصرية  
 أى فى عينك وقد اجتمعا فى قوله تعالى ( خذوا زينتكم عند كل مسجد ) أى  
 ما تزينون به عند كل صلاة وكذا منه تسمية الشيء باسم آله نحو ( وما  
 أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ) واطلاق الفعل والمراد مقارنته نحو  
 ( فاذا بلغن أجلهن ) أى قاربته وبذلك يندفع ما يعترض به على قوله ( فاذا  
 جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) من أنه لا معنى للتأخير  
 والتقديم إذا جاء الأجل لأن المراد فاذا اقترب أجلهم، وكذا اطلاقه والمراد  
 ضده مثل ( ما منعك ألا تسجد ) أى مادراك على أن لا غير زائدة ومنه قلب  
 الاسناد نحو ( ويوم يعرض الذين كفروا على النار ) أى تعرض النار عليهم لأن  
 المعروف عليه هو العاقل كما أن منه أيضا إقامة صيغة مقام أخرى كالمصدر مقام  
 فاعل أن مفعول والعكس فيهما نحو ( أن أصبح ماؤكم غورا ) ، ( لا يحيطون بشيء  
 من علمه ) ، ( ليس لوقعتها كاذبة ) ، ( بأيسكم المفتون ) على أن الباء غير زائدة  
 وكيف فعل مقام مفعول والعكس مثل ( جعلناه حراما آمنا ) ، ( إنه كان وعده  
 مأتيا ) وكواحد من المفرد والمثنى والجمع مقام آخر منها نحو ( والله ورسوله  
 أحق أن يرضوه ) ، ( إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا ) ، ( يخرج منهما  
 اللؤلؤ والمرجان ) ، ( ثم ارجع البصر كرتين ) ، ( قال رب ارجعون ) ، ( قالتا  
 آتيننا طائعين ) والماضى على المستقبل وعكسه نحو ( ونفخ فى الصور فصعق من  
 فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ) ، ( ويقول الذين كفروا لست  
 برسلا ) والخبر مقام الانشاء والعكس نحو ( والمطلقات يتربصن ) ، ( ألم يأن  
 للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ) وبعض أنواع الخبر  
 مكان بعض خلافا للظاهر نحو ( ولا تخاطبني فى الذين ظلموا إنهم مغرقون )  
 فقد نزل فيه الجاهلي منزلة السائل وبعض أنواع الإيشاء مكان بعض نحو ( فهل



أنتم منتهون) أى انتهوا وجم القلة مكان جمع الكثرة والعكس نحو (وهم في الغرفات آمنون) ؛ (ثلاثة قروء) والمذكر في موضع المؤنث والعكس نحو (وأحيينا به بلدة ميتا)؛ (الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) ومن هذا المجاز أيضا بابان واسمان هما التضمين ويكون في الحروف والأفعال والأسماء نحو (عينا يشرب بها عباد الله) أى يروى بها أو يشرب منها، (حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق) أى حريص ثم التغليب ويكون لكل مادو ذو مزية على سواه نحو (إلا امرأته كانت من الغابرين) للمذكر على المؤنث ونحو (بل أنتم قوم تجهلون) للخطاب على الغياب وغير ذلك مما لاداعى إلى الاطالة فيه بعد الذى قدمناه

### ج - المجاز العقلي

والتجوز فيه عقلي بالاسناد لا لغوي في المفردات كما في المجازين السابقين، وهو صالح لأن يخرج عليه كثير من أمثلتهما ولا سيما المرسل منهما إذا أبقينا الالفاظ على حقائقها وتجوزنا في الاسناد دونها ولهذا كان كثير الوقوع في القرآن أيضا ومنه قوله تعالى (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) ، (وأخرجت الأرض أثقالها) ، (فوجد فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه) لأن الأرض لا تأخذ ولا تخرج والجدار لا يريد ونحو هذا مما طرأ الاسناد فيه حقيقتان ، على أنه يوجد من المجاز العقلي في القرآن ما الطرفان فيه أو أحدهما من المجاز اللغوي كما في قوله ( أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم) أى فما ربحوها في تجارتهم وهذا هو التجوز العقلي ثم الريح والتجارة مع ذلك مجازان لغويان وكما في قوله ( تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى) لأن الدماء من النار بمعنى الجمع مجاز لغوي وإسناد الجمع إليها مجاز عقلي وكما في قوله ( فاه هاوية) لأن إطلاق الأم على الملقب والكافة تجوز لغوي والاخبار عنها بالهاوية مجاز إسنادي،

والشواهد عليه من القرآن كثيرة واسناني حاجة إلى تعدادها بعد أن بينا إمكان تطبيق الكثير من أمثلة المجازين السابقين عليه وبخاصة المرسل منها

### ٣ - كنايةات القرآن

لقد كثرت الكناية في القرآن الكريم وتنوعت أغراضها وكان من أكثرها دررانا فيه الكناية عن الألفاظ التي لا يحسن النطق بها وسنعتبر نحن هنا عنها على سبيل الكناية أيضا . فن ذلك أنه كنى عن قضاء الحاجة بأكل الطعام وعن التبول بالحيء من الغائط وهو المظلم من الأرض في قوله « كانا يا كلان الطعام » وقوله « أو جاء أحد منكم من الغائط » وكنى عن المأني الخصاص في المرأة بالحرث في قوله « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » . وكان إذا كثرت الكناية عن الشيء الواحد لا يجمد على لفظ معين يستعمله كلما أراده بل يستخدم عدة ألفاظ تتكاد تفي بمواضع ذلك الاستعمال، ومن هذا أنه كنى عن المخالطة الجنسية بالملامسة والمباشرة والافضاء والدخول والغشيان والرفث والمرأودة وغيرها مما نطقت به الآيات على ما هو معروف . ولم يقف بالكناية عند حد الألفاظ القبيحة فكان كثيرا ما يغادر اللفظ مع عدم قبحة إلى ما هو أجمل منه مجازاة للعرف والعادة ومن ذلك أنه حاد عن ذكر أسماء النساء إلى الكناية عنها لأن العرب كانت لا تذكر من أسماء نساء سوى أسماء الاماء فلم يرد فيه ذكر امرأة باسمها إلا مريم للنسبة عيسى إليها بل إن لفظ النساء نفسه لم يك يذكره صريحا إذا كان المراد المتعة كما في قوله « وفرش مرفوعة » فقد قيل إنه كناية عن النساء بدليل قوله تعالى بعده « إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا » وكما في قوله « وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها » فقد قيل إن المراد بالأرض الثانية النساء أيضا

وللكنية في القرآن أغراض غير ما تقدم . منها قصد المبالغة للتبشيع كما في قوله « أيجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » أولبيان القوة نحو « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » أو الضعف نحو « أو من نشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » . ومنها التنبيه على عظم القدرة كما في قوله « هو الذي خلقكم من نفس واحدة » أو على حقيقة المصير كما في قوله ( ثبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامراته حمالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد ) فقد اختار هذه الكنية لأبي لهب وكنى عن امرأته بحمالة الحطب إشارة إلى أن مصيرها النار ذات اللهب ، فاللفاظ متعاشقة ، متناسبة وقد رشح الكنية في قوله حمالة الحطب بقوله ( في جيدها حبل من مسد ) والسورة على قصرها ذات قوة متينة وإعجاز شديد ثم هي ذات انطباق تام على ما زلت من أجله فقد كان سبب نزولها أن أبا لهب وهو عبد العزى بن عبد المطلب لما سمع قول رسول الله في صدق دعوته وقد جمع الناس على الصفا قال له تبا لك إنما جمعتنا لهذا ، ثم كانت امرأته حمالة الحطب وهي أم جميل بنت حرب تمشى بين الناس بالوقعة ، والعرب تكنى عن هذا بحمل الحطب لانه وسيلة إلى إيقاد النار . ومنها التمكن من التعبير عن الدقيق كما في قوله تعالى ( وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ) فانه ليس هناك أدق من أن يكنى عن أول بدو النور بالخيط الأبيض . وقد يكون الغرض من الكنية الاليجاز في التعمير كما في قوله ( فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ) أي فإلم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله وهو كثير جدا في القرآن مثل « ولبئس ما كانوا يفعلون »

التعريض — هذا وما يعد قسما للكناية التعريض وهو كثير في القرآن أيضا وله أغراض كالكناية أغراض . وأهم أغراضه الذم والتنقيص إما بالاهانة والتوبيخ

كما في قوله تعالى ( وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ) فإنه تعريض بسؤال قاتلها لاهانتها وتوبيخه وكما في قوله ( أحسبتم أنما خلقناكم عبنا وأنكم إلينا لا ترجعون ) فإنه تعريض بالكفار في إنكارهم الرجعة والمعاد، وإما بالسخرية والاستهزاء كما في قوله على لسان قوم نوح له ( فقل الملائ الذين كفروا من قومهم ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين )، وإما بالتوضيح والتحقيق كما في قوله ( ذلوا أن أنت فعات هذا بألهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ) فهو تعريض بألهتهم على جهة التوضيح والتحقيق للضعف البادي عليها في عدم النطق والعجز عن الدفاع . ولقد أتى القرآن بهذا العجز بينا على سبيل التصريح في آية جعل الآلهة فيها أدنى مرتبة وأقل قدرة من الذباب هي قوله سبحانه ( يأبها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسابهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضف الغالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز ) . على أن التعريض قد يأتي للذم خالصا كما في قوله ( إنما يتذكر أولو الألباب ) ، ( إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ) وهو كثير جدا في القرآن . وهناك أغراض أخرى له أتت في القرآن أيضا . منها استدراج الخلق بمخاطبة غيره كقوله تعالى لرسوله ( لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ) فإنه تعريض بالكفار لاستحالة الاشراف عليه صلى الله عليه وسلم . ومنها التلطف في المحاوره كما في قوله على لسان رسوله ( وما لي لا أعبد الذي فطرني ) أي وما لكم بدليل قوله بعد ( وإليه ترجعون ) وقد يضل التلطف إلى أن يكون مجرد لفت نظر كما في قوله تعالى على لسان الملكين لداود وقد تسورا عليه المحراب وقال أحدهما عن الآخر ( إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة

واحدة فقال أ كفلنيها وعزني في الخطاب ) إلى آخر القصة فإنها تعريض به عليه السلام لما جال في خاطره من ضم امرأة (أوريا) الواحدة إلى نسائه التسع والتسعين بتطليقه إياها أو بعد وفاته عنها وقد فطن لهذا التعريض بعد حكمه بظلم السائل ( فاستغفر ربه وخررا كعا وأناب ) وقبل الله استغفاره بقوله ( فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلنى وحسن مآب ) .

هذا ومما ينبغي ذكره هنا صلاحية كثير من آي القرآن لاستخدامها على سبيل التعريض وإن لم تك واردة لذلك أصلا وأمثلة هذا كثيرة منها ما روى من أن أبا العيناء سئل عن ابني وهب، الحسن وسليمان، أيهما أفضل فقال ( وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ) سليمان أفضل ف قيل له وكيف فقال ( أفن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم ) .



## بلاغة القرآن

كما ترسمنا خطا البيانين في الأصول التي بنينا عليها كلامنا في فصاحة القرآن كذلك سنقفو أثر المعنويين في الكلام على بلاغته وهم قد رجعوا ضروب القول على كثرتها إلى أصلين ترجع إليهما كل فروعه وتنشعب منهما جميع فنونه، ذانك هما الأخبار والمنشآت . وقد ورد كلاهما في القرآن مراعى فيه جميع مقتضيات الأحوال التي من أجلها وضع علم المعاني وبعبارة أخرى علم البلاغة في أخص معانيه وكل ما سندكر في هذا إنما هو إظهار بعض من تلك المقتضيات، أما محاولة الالمام بها جميعا فليست في مقدور انسان. وقبل البدء فيما نحاول يحسن أن نذكر النقط التي سيتناولها الكلام ليكون القارىء على بينة منها وهي لاتعدو كلمتين موجزتين عن كل من الخبر والانشاء لابد منهما في التعريف بهما من حيث أصل الوضع وطرق الاستعمال وبعدها نسوق ما تبيناه من المقتضيات في هذه الأمور .

- ١ - الجمل فعلية واسمية ومتعلقاتها .
- ٢ - التنكير والتعريف .
- ٣ - الأفراد والتذكير وفرعها .
- ٤ - الذكروعدم الذكرو .
- ٥ - التقديم والتأخير .
- ٦ - الاطلاق والقصر .
- ٧ - الفصل والوصل .
- ٨ - الايجاز والاطناب والمساواة .
- ٩ - خروج الكلام عن مقتضى الظاهر .

- ١٠ - الدقة في استعمال الألفاظ والتراكيب من حيث المناسبة للمعاني  
 ١١ - تنوع القسم في القرآن وحكمته .  
 ١٢ - الجدل في القرآن .  
 ١٣ - بدائع القرآن .  
 ١٤ - مزايا القرآن بوجه عام .  
 هذا ما نريد أن نعرض له ببند يسيرة بعد كلتي الخبر والانشاء .

## الخبر

جاءت أخبار القرآن في كثير منه على المقصد الأول من الخبر وهو إفادة الحكم بأعلام المخاطب إياه أو لازم الفائدة بأعلامه أن المتكلم عارف به، ثم هي قد جاءت خالية من كل تأكيد ما انعدمت دواعي هذا التأكيد من تردد أو إنكار نحو (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) ، (ونادينا أن يا إبراهيم) ، (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) ، (ولا تزر وازرة وزر أخرى) إلى غير ذلك من الآيات حتى المنبئة عن غيب لأن تحقق وقوعه يجعله في غير حاجة إلى تو كيد قال تعالى (غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) وقال (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) . فإن كانت محل تردد رأيت بها من المؤكيدات بعضها نحو (إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر) ، (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) ، (إنا أخاصناهم بخالصة ذكرى الدار) ، (إنا أنزلناه في ليلة القدر) أما إذا كانت موطن إنكار فانك تجد فيها من المؤكيدات ما يتلاءم ودرجات الإنكار نحو (وإنهم عندنا لمن لمن المصطفين الأخيار) ، (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع

وهو شهيد) ، (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) وانظر هذه الضروب الثلاثة يعقب بعضها بعضا لتجدد المقتضيات في قوله تعالى (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين) .

وقد يخرج الخبر عن هذا المقصد الاصيل الى مقاصد أخرى. منها ما يبقى فيه الخبر خبرا فيكون للوعيد نحو (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) أو الاسترحام كقول موسى (رب انى لما أنزلت إلى من خير فقير) أو اظهار الضعف كقول زكريا (رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا) أو التحسر كقول مريم (رب انى وضعتها انى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى) الى غير ذلك مما لا تتأق في فائدة أو لازمها. ومنها ما يتحول فيه الى إنشاء كالامر في قوله (والوالدات يرضعن) ، (والمطلقات يتربصن) أى ليرضعن وليربصن ، والنهى في قوله (لا يمسه الا المطهرون) أى لا يمسسه ، والدعاء نحو « وإياك نستعين » أى أعنا، والتعجب نحو « فما أصبرهم على النار »

وكما يكون الخبر مثبتا يكون منقيا نحو « ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ويخص باسم النفى اذا كان النافي صادقا كهذه أما اذا كان كاذبا فانه يسمى بالجحد كنفى فرعون وقومه على غير حقيقة، آيات موسى في قوله « فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين » ولذلك قال سبحانه بعدها « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعتوا » . وعلى ذكر النفى نقول إنه لما كان نفى العام يدل على نفى الخاص وإثباته لا يدل على إثباته،



وكان اثبات الخاص يدل على اثبات العام ونفيه لا يدل على نفيه، جرى القرآن الكريم - الا فيما خالف فيه الظاهر لداع كقوله تعالى ( وما ربك بظلام للعبيد) وقوله (وما كان ربك نسيا) - على نفي العام لينفي الخاص وعلى اثبات الخاص ليثبت العام. فمن الاول قوله ( فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ) ولم يقل بضوئهم وان كان الظاهر أنه أنسب لقوله أضاءت لأن النور أعم من الضوء فنفيه ينفيه ولا عكس ولذلك قال ( وتركهم في ظلمات لا يبصرون ) ومن هذه الناحية أثبت الضوء للشمس ولم يثبت للقمر سوى النور في قوله ( هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا )، ومن الثاني قوله ( وجنة عرضها السموات والارض ) ولم يقل طولها لان هذا يثبت له أكثر مما ثبت للعرض ولا عكس

### الانشاء

ومنشآت القرآن شملت كل أنواع الانشاء في أصل استعمالها وفي خروجها عن هذا الاصل لدواع تقضى بهذا الخروج وهذه الانواع هي الامر والنهي والتمنى والنداء والاستفهام

فالامر أصله لطلب الفعل على جهة الاستعلاء والاصل في صيغته إفادة الوجوب نحو ( فاذكروني أذكركم واشكروا لي ) ، ( ادعوني أستجب لكم ) ، ( اتقوا الله حق تقاته ) ، ( أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) ، ( فليصلوا معك ) وقد يرد لمعان آخر نحو ( واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ) للندب ، ( واذا حللتم فاصطادوا ) للاباحة ، ( فاصبروا أو لاتصبروا ) للتسوية ، ( رب اغفر لي ) للدعاء ، ( وأشهدوا إذا تبأيتهم ) للارشاد ، « ادخلوها بسلام آمنين » للتكريم ، « كلوا من ثمره » للامتنان ، « كلوا مما رزقكم الله » للانعام ، « انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه » للاعتبار ، « قل تمتعوا فان مصيركم الى النار » للانذار ، ( كن فيكون ) للتكوين ، ( كونوا فردة خاسئين ) للتسخير ،

، (اعملوا ماشعتم) للتهديد ، (ذق انك أنت العزيز الكريم) لللاهانة ، (فأتوا بسورة من مثله) للتعجيز ، (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها) للتكذيب ، « فانظر ماذا ترى » للمشورة ، (انظر كيف ضربوا لك الامثال) للعجب

والنهي أصله لطلب الكف على وجه الاستعلاء والاصل في صيغته إفادة التحريم نحو (ولا تقتلوا اولادكم) ويرد لاشياء آخر مثل (ربنا لاتزغ قلوبنا) في الدعاء ، (اصبروا أو لاتصبروا) في التسوية ، (ولا تمس في الارض مرحا) للكرامية ، (اخسئوا فيها ولا تكلمون) لللاهانة ، (ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم) للاحتقار ، (لاتعتذروا اليوم) لليأس ، (لاتسألوا عن أشياء ان تبدلحكم تسؤكم) للارشاد ، (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء) لبيان العاقبه

والتمنى توقع أمر محبوب ومثله الترجى ولكن يغلب في الاول عدم امكان الوقوع وفي الثانى امكانه، وحرف التمنى ليت وحرف الترجى لعل وهما كثيرا الوقوع في القرآن فمن التمنى قوله (ياليتنا نرد) ، (ياليت قومي يعلمون) ، (ياليتنى كنت معهم) ومن الترجى قوله (لعل الساعة قريب) ، (لعلى أبلغ الاسباب) وقد يجيئان بغير هذين الحرفين مثل (فلو أن لنا كرة) ، (عسى أن يكون قريبا)

والنداء طلب إقبال المدعو إلى الداعى حسا أو معنى نحو (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) ، (يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين بدى الله ورسوله) ، ويغلب أن يعقب النداء فى القرآن الكريم أمر أو نهى كما فى الآيتين السالفتين وقد يتقدمه نحو (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون) كما قد يكون التالى جملة خبرية يلها الامر فعلية كانت نحو (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له)

أو اسمية مثل ( يا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها ) على أنه قد لا يليه شيء من هذا نحو « يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون » إذ التالى هنا خبر ليس بعده انشاء ولكن اكتفى به لأنه فى معنى الطلب إذ المعنى لا تخافوا ولا تحزنوا ، ثم قد يكون التالى جملة إنشائية استفهامية نحو « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً » هذا . وقد يستعمل النداء فى غير طلب الاقبال مثل « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت » للاختصاص ، « يا حسرة على العباد ما يأتيتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » للتعجب ، « يا ليتنى كنت معهم » للتحسر

أما الاستفهام فأصل معناه طلب الفهم والاستخبار عما يطلب بأدواته الكثيرة كالصفة والذات والحقيقة المطلوبة بما فى أقواله تعالى « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها » ، « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى » ، « قال فرعون وما رب العالمين » إلى غير ذلك مما يطلب بسائر أدواته وهو كثير فى القرآن وأكثر منه خروج الاستفهام عن أصل وضعه الى معان أخر تفهم من سياق الكلام كالانكار فى قوله « أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا » وقوله « أنزل مكموها وأنتم لها كارهون » والتوبيخ نحو « أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير » والتقرير نحو « هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون » والتعجب مثل « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » والعتاب مثل « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » والتذكير فى « ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان » والافتخار نحو « أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتى أفلا تبصرون » والتفخيم مثل « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » والتهويل نحو « الحاقة ما الحاقة » والتسهيل نحو

« وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر » والوعيد نحو ( ألم نهلك الاولين )  
 والتكثير مثل « وكم من قرية أهلكناها » والامر نحو ( أأسلمتم ) ، ( فهل  
 أنتم منتهون ) والنهي نحو ( أتخشونهم ) والتنبيه مثل ( ألم تر إلى ربك كيف  
 مد الظل ) والترغيب نحو ( من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له )  
 والدعاء نحو ( أتهدونا بما فعل السفهاء منا ) والاسترشاد نحو « أجمعل فيهما من  
 يفسد فيها ويسفك الدماء » والتمنى نحو ( فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا )  
 والاستبطاء نحو ( مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين  
 آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ) والبعد نحو « أنى لهم الذكرى »  
 والعرض نحو ( ألا تحبون أن يغفر الله لكم ) والتحضيض نحو ( ألا تقاتلون  
 قوما نكثوا أيمانهم ) والتجاهل مثل ( أنزل عليه الذكر من بيننا ) والاستهزاء  
 نحو ( قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا ) والتحقير نحو  
 ( أمذا الذي يذكر آلهتكم ) والتعظيم مثل ( من ذا الذي يشفع عنده إلا  
 باذنه ) وغير ذلك .

وبعد فهذه كلمة موجزة عن كل أمر من الامور السالفة المقصودة لذاتها  
 بعد هذا التمهيد في الخبر والانشاء

### ١ - الجمل فعلية واسمية ومتعلقاتها

وضعت الجملة الاسمية للثبوت والاستمرار والفعلية للتجدد والحدوث والمراد  
 بالتجدد في الماضي الحصول وفي المضارع التكرار فالجملة الاسمية أكد وأقوى .  
 وقد روى هذا في القرآن الكريم أدق مراعاة قال تعالى « ومن الناس من  
 يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » فأنى في إسنادهم الايمان إلى  
 أنفسهم بالفعلية وفي سلبه هو عنهم بالاسمية لأنهم منافقون في قلوبهم ، كما أتى

بالاسمية حين يعبرون عن أنفسهم مكابرة ومجازاة إذ قرعوا بالسؤال في قوله « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قال إنما نحن مصلحون » ولذلك رد عليهم زعمهم بجملة اسمية مؤكداًتها أقوى من مؤكداًت جملتهم حيث يقول ( ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ) . وعن هؤلاء أيضاً يقول سبحانه ( وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزون الله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ) فجعل قوهم للمؤمنين بالفعلية لأنه عن غير عقيدة وجعله لشياطينهم بالاسمية المؤكدة لأنه يقينهم واعتقادهم وكذلك جعله في امتهزأهم بالمؤمنين لأنه كذلك ثم لم يترك الآية حتى استهزأ بهم بالاسمية كما استهزءوا ولكن أتى بها خلوا من التأكيد لأن كلامه سبحانه ليس محل تشكك وارتياب . وقال ( وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ) فجعل إسنادهم الايمان إلى أنفسهم بالفعلية وكذلك نسبة الكفر اليهم وهم داخلون لأن الأول عن غير حقيقة والثاني غير مشكوك فيه من المخاطبين أما خروجهم بالكفر فقد جاء بالاسمية إذ يجوز على المخاطبين أن يتوقعوا خروجهم مؤمنين وكذلك قوله ( فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون ) وقوله ( ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون . وقال عن أخوة يوسف ( قالوا ياأبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرأى له معاغدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ) فأ ، بالاسمية فيما هو محل اتهام لهم من أيهم وبالفعلية فيما عداه

على هذا جرى القرآن ولذلك كان إذ أراد الاختصاص حول الكلام إلى الاسمية كما في قوله ( وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمني ) ولعله من المناسب لمناسبة هذه

الآية أن تقول إن من بالغ أسرار القرآن إذا كان الفعل المسند إلى الله سبحانه مظنة اشتراك ولو على سبيل المجاز أن يزيد على الجملة ضمير الفصل كما في جملتي الاضحاك والابكاء والاماتة والاحياء وإذا لم يك مظنة اشتراك لا يأتي بهذا الضمير لعدم الحاجة اليه كما في جملة خاق الزوجين الذكر والانثى وكذلك فعل في تمام الآيات بعد حيث يقول ( وأن عليه النشأة الاخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعري وأنه أهلك عادا الاولى وتعود فما أبقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأظنى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فبأى آلاء ربك تمارى ) . ومن هذه الناحية ناحية استخدام ضمير الفصل وعدم استخدامه وفيه فوق ذلك مراعاة استخدام الماضي مجرد الحصول والمضارع للتكرار قوله تعالى على لسان ابراهيم ( الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعنى ويسقئنى وإذا مرضت فهو يشفين ) فقد أتى في المخلوق بالماضى لانه مفروغ منه وجرده من ضمير الفصل لانه ليس مظنة اشتراك ثم أتى فيما بعده من الهدية والاطعام والسقى والشفاء بالمضارع مثبتا معه الضمير لانه منكر ومحل شبهة في الاشتراك ثم هو فوق ذلك لم يكرر الضمير مع يسقئنى اكتفاء بضمير طعمنى لأن كلا الفعلين متمم للآخر كأنهما بدل يغذين كما أنه أخلى كل ما تقدم من القيود في حين قيد الشفاء بحال المرض لأنها عادية تطلب في كل آن وهو لا يطلب الا في تلك الحال . وإذا كانت الجملة الاسمية غير فعلية المسند مع اشتماله على الحدث كانت أقوى مما اذا كان مسندا فعلا وهذا جانب معمول به في القرآن ألا ترى قوله تعالى ( أفرايتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون كيف أتى بأسناد المخلوق اليهم فعلا واليه سبحانه اسما في معنى الفعل وكذلك قوله ( أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ) وقوله ( أفرايتم الماء الذى تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ) وقوله ( أفرايتم النار التى توردون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ) وهذه آيات فيها من

المحاجة على سبيل الموازنات المعقبة كل موازنة منها بوجود التفضيل ما يدحض الخصيم ويفتح اللدود ولذلك ختمها بقوله « فسيح باسم ربك العظيم » إشارة الى أنه لا يستحق التسبيح سواه فليرجع إليها من الكتاب الكريم .

هذا ومضمر الفعل في إفادة ما تقدم كظهره ولذلك قالوا في قوله تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) إن سلام الخليل أو كدمن سلام الملائكة لأنه رفع على الابتداء وسلامهم نصب على تقدير الفعل وليس معنى ذلك أنا لو رفعنا السلامين لكان أبلغ كلا فان لكل موطنه من البلاغة إذ أن ابراهيم لما كان حيث هبطوا عليه وجلا يقول قوم منكرون كان الانسب أن يستشعر الحدث في لحظة الخوف وي طرح الدوام جانباً ولذلك أتوا بالسلام منصوباً بالفعل لأنه أدل على الحدث من الاسم أما هم فلما لم يتصور ابراهيم وهو خائف منهم خوفاً عليهم أتى بسلامه مرفوعاً دلالة على أن السلام ثابت لهم وليسوا في حاجة منه إلى تجديد . ولما كان في هذه الآية الكريمة تحية وردها وكانت التحية مندوبة والرد واجبا استنبط أن المصادر إذ أتت في القرآن مرفوعة كانت للوجوب بخلاف ما إذا أتت منصوبة فإنها تكون للندب قال تعالى ﴿ فامسك بعروف أو تسريح باحسان ﴾ وقال (اتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان) وهذا للوجوب والمصادر فيه مرفوعة ثم قال (فضرب الرقاب) والمصدر منصوب وهو للندب ولهذا اختلف في الوصية للزوجات أو اجبة هي أم مندوبة لأن قوله تعالى (وصية لأزواجهم) قرئ بالرفع وبالنصب

هذا طرف يسير مما يقال عن القرآن الكريم في مفاضلته بين الجمل في الاستعمال من حيث الفعلية والاسمية ، والجمله تتحقق بركنيتها المسند إليه والمسند أما متعلقاتها فهي ما عدا هذين الأصلين من المنصوبات والمجرورات والمرفوعات

والكلام في المتعلقات سيتضح في كثير من المباحث الآتية التي ستشملها مع  
الطرفين من مسند اليه ومسند لأن ما يعتريهما يعتريهما

### ٢ - التنكير والتعريف

جاء التنكير في إنقرآن الكريم بمقامات تتطلبه كأن يراد واحد من أفراد  
الجنس فيؤتى بلفظه مفردا منكرًا نحو ( وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى )  
فالتنكير هنا للوحدة أما إذا أريد التكثير فإنه يؤتى بلفظ الجنس مجموعا كما في  
قوله تعالى ( وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ) أى كثير وقد يكون  
في مثل هذه الحالة للتعظيم كهذا المثال نفسه أى عظام كما يكون في الحال الأولى  
لهذين من تعظيم وتنكير وهو كثير فيهما نحو ﴿ فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾  
أى عظيمة ونحو ﴿ أن لنا لأجرا ﴾ أى وفيرا ، على أن التنكير يكون في  
المفرد أيضا للتقليل نحو « ورضوان من الله أكبر » أى قليل رضوانه أكبر  
من جناته وللتحقير مثل ( من أى شيء خلقه ) أى من شيء حقير معين هو  
ما بينه بقوله ( من نطفة خلقه ) ونحو ( إن نظن إلا ظنا ) أى حقيرا ، وللنوعبة  
كما في قوله ( هذا ذكر ) أى خاص وقوله ( وعلى أبصارهم غشاوة ) أى معينة وقوله  
( ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ) أى طويلة وقوله ( ولستم في القصاص حياة )  
أى مستقبلة ومن النوعية أيضا قوله تعالى ( والله خالق كل دابة من ماء ) أى كل  
نوع ولا يبعد أن يكون للوحدة أى كل فرد ، وقد يكون القصد من التنكير  
التجاهل كما في قوله ( هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ) ولذلك أبنها  
بقوله ( تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ) . وإذا  
وقعت النكرة في سياق النفي كانت لقصد العموم كما في قوله تعالى ( ذلك الكتاب  
لا ريب فيه ) وقوله ( فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ) وهذا لما ذكرنا من  
أن التنكير يكون للتعظيم كثيرا فاجاء السلام الصادر عن الله سبحانه وتعالى في



القرآن منكرا دائما نحو (سلام على نوح في العالمين) ، (سلام على آل ياسين) ،  
 (سلام قولا من رب رحيم) ، (اهبط بسلام منا) أما الصادر عن غيره  
 فانه جاء معرفا كسلام عيسى حين يحدث عن نفسه في قوله تعالى (والسلام  
 على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) بخلاف سلام يحيى فقد جاء  
 منكرا لأنه من الله عنه حيث يقول (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت  
 ويوم يبعث حيا)

هذا والتعريف تتنوع فيه الدواعي بثنوع المعارف

١ - فان جاء بالعلمية يكون المراد إحضاره في الذهن ابتداء كقوله تعالى  
 « الله لا إله إلا هو الحى القيوم » وقوله « محمد رسول الله والذين معه أشداء  
 على الكفار رحماء بينهم » وهذا كثير جدا في القرآن وقد يعدل عن العلمية  
 بالاسم إليها باللقب إشعارا بما يكون فيه من مدح أو ذم كاسرائيل ليعقوب  
 ومعناه صفوة الله ولذا كان خطاب بنبيه به فطالما ناداهم القرآن (يا بني اسرائيل)  
 تذكيرا لهم بلقب أبيهم على سبيل العظة والاعتبار وكما أجوج ومأجوج لأولئك  
 القوم من ولد يافث في قوله تعالى « قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج  
 مفسدون في الأرض » وهما من أجن الظليم إذا هرول في مشيه وهذا يشعر  
 بما كانوا عليه من هجية وفوضى وكذلك الحال في الكنية نحو (ياأخت  
 هرون ما كان أبول امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) ونحو (تبت يدا أبي  
 لهب وتب)

٢ - وان جاء بالاشارة يكون الغرض تصويره حسا كما في قوله (هذا خلق  
 فأروني ماذا خلق الذين من دونه) أو بيان حاله في القرب أو البعد مع ما قيد  
 يكون فيهما من تحقير أو تعظيم والأصل في القرب التحقير كقوله تعالى -  
 (أهدنا الذي يذكر آلهتكم)؛ (أهدنا الذي بعث الله رسولا) وفي البعد التعظيم

كقوله (وتلك الجنة التي أوردتموها)، (فذلكن الذي امتنني فيه) وقد يشعر السياق بالعكس نحو (فليعبدوا رب هذا البيت) ونحو «أنا ذلكم الشيطان يخوف أولياءه» أما حال التوسط فتستعمل للأمرين سواء كما في قوله «أولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون» وقوله (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)

٣ - وان جاء بالموصول يكون ذلك لعدم المائدة من ذكر العلم نحو (أو كالذي مر على قرية) أو للتستر عليه نحو (ومن الناس من يذبحك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه) أو لتعظيمه بالصلة نحو (والذين آمنوا) وعللوا الصالحات في روضات الجنات)؛ (والذي جاء بالصدق وصدق به أو تحقيره بها نحو (والذي قال لوالديه أف لكما) ونحو (والذين كفروا لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) أو لزيادة التقرير نحو (وروادته التي هو في بيتها عن نفسه) أو للنفخيم مثل (فغشيتهم من اليم ما غشيتهم) أو للتعميم نحو (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا! تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تمشونوا) ونحو (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أو الاختصار نحو (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) وقد يكون الأتيان بالموصول للتمكين من الاسترسال في استيفاء الصفات حيث لا يغني عنه في هذا غيره كما في قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم الخ) وقوله (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم الخ) وقوله (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي الخ) وقوله (الذي خلقني فهو يهدين والذي الخ)

٤ - فان عرف بالجنسية أو العهدية، تكون الجنسية إما لاستغراق أفراد الجنس نحو (وخلق الإنسان ضعيفا) ونحو (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)

ونحو ( ولا يفلح الساحر حيث أتى ) إلى غير ذلك مما هي فيه بمعنى كل ، حقيقة ولذلك يستثنى منها بالانحو ( إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا ) وتوصف بالجمع نحو ( أو الظنل الذين لم يظهوروا على عورات النساء ) ، وإما لاستغراق خصائصه وهي التي بمعنى كل مجازا نحو ( ذلك الكتاب ) أى كل الكتاب في استكمال خصائصه فيه ، فان لم تخافها كل لاحقيقة ولا مجازا فهي لحقيقة الجنس نحو ( وجعلنا من الماء كل شيء حي ) أى من جنسه وحقيقته .

وتكون العهدية للمهود حضورى نحو ( اليوم أكملت لكم دينكم ) ، ( اليوم أحل لكم الطيبات ) أو ذكرى نحو ( كما ارسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ) ، ( فيها مصباح المصباح ) أو ذهنى نحو ( إذ هما في الغار ) ، ( إذ يبأيعونك تحت الشجرة ) ، ومن الذكر الضمنى أو الذهنى قوله تعالى ( إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنتى ) أى المعهود ذهنا أو المذكور ضمنا فى قولها ( إنى نذرت لك مافى بطنى محررا ) لانه ما كان ينذر إلا الذكور أما أل فى الانتى فهى ذكرية صريحة .

٥ - وإن عرف بالاضافة يكون التقصد تعظيم المضاف نحو ( ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ) أو تحقيره نحو ( أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ) وقد يقصد بالاضافة التعميم نحو ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره ) أى كل أموره سبحانه .

٦ - أما إذا قصد التعريف بالضمير فان ذلك يكون حيث المقام مقام تكلم أو خطاب أو غيبة نحو ( اننى انا الله ) ، ( هل أنتم مطلعون ) ، ( هو الذى بعث فى الأميين

رسولا منهم) هذا إلى ما في استعمال الضمائر من الاختصار الشديد والارتباط المتين اللذين يفقدهما الكلام إذا أحلنا الظواهر فيه محل المضمرات وهذه آية تصورك كيف يكون حالها لو فعلنا فيها ذلك قال تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نساءهن أو مملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن). وهذه أمور في الضير تذكر

١ - لما كان ضمير الغيبة في حاجة دون أخويه إلى مرجع يبينه فقد عني القرآن الكريم بهذا المرجع عناية جعلته معينا معروفاً، فهو إما مذكور صريحا مع تقدمه على الضمير ولو رتبة نحو (وعصى آدم ربه فغوى)، (إذا أخرج يده لم يكذبها)، (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أو ضمنا نحو (وإذا حضر القسمة أو لو القرى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) أى المقصوم أو التزاما نحو (فلولا إذا بلغت الحلقوم)، (كلا إذا بلغت التراقي) فإن الضمير للنفس أو الروح لزوما لكلمتي الحلقوم والتراقي وكذلك (كل من عليها فان) (ما ترك، لا على ظهرها من دابة) للدنيا والأرض

ب - والضمائر تعود في القرآن على أقرب مذكور ولهذا أخرج المفعول الأول في قوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الأنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا). والأصل فيها إذا تعددت أن تتوافق في مرجع جامع ولو صالح مرجع معه لبدونها ولذلك طاب بعض رجال البلاغة

كالنخسرى إرجاع الضمير الثاني للتأبوت مع أن الأول وضائر أخرى بعد الثاني لموسى في قوله تعالى ( أن اقدفيه في اتأبوت فاقدفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له ) وحتموا أن يرجع معه إلى موسى محافظة على تمام نظم القرآن وإعجازه كما أرجعوها كلها لله في قوله ( ليؤمنوا بالله ورسوله ويمزروه ويوقروه ويسبحوه ) إلا إذا اقتضى المعنى تعدد الموضوع نحو ( ولا تستفت فيهم منهم أحدا ) أى فى أهل الكهف من اليهود

ج وكثيرا ما يعمد القرآن إلى المخالفة فى الضائر إذا تعدد المرجع لسهولة التمييز كما فى قوله ( ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ) فضمير منها وهو لاثنى عشر شهرا أتى به مفردا وضمير منهن وهو للأربعة أتى به جمعا وكلا الأمرين جائز فى كليهما ولكن سنة القرآن إذا أعاد الضمير على جمع ما لا يعقل إعادته مفردا إذا كان لا أكثر من عشرة وجمعا إذا كان لأقل منها ولهذا سر لطيف هو مشاكلة التمييز فى الحالين

د وللقرآن غير ذلك من محاسن استعمال الضمير أنه إذا كان مرجعه مفرد اللفظ جمع المعنى راعى حين التعدد اللفظ أولا والمعنى ثانيا لأن المعنى قوى يمكن الرجوع إليه بعد اللفظ بخلاف العكس ومن أمثلة ذلك قوله ( وممن ) الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ) ، ( ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا ) ، ( ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا )

ه وللقرآن إكثار من استعمال ضميرين آخرين هما ضمير الفصل وضمير الشأن وسيأتى الكلام على أسرار استعمالها فى القصر لأنه من أهم أغراضهما

هذا وما يتعلق بالتعريف والتنكير على وجه عام تكرار الاسم الواحد  
 نكرة أو معرفة وقد جرى فيه القرآن الالقرائن على سياق واحد هو أنه إذا أراد  
 بالثاني الأثرل أعاده معرفة كما في قوله (وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ  
 فقد رحمته) «كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعضى فرعون الرسول» وإذا أراد  
 غير الأول أتى به نكرة كما في قوله (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا)  
 «الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة  
 ضعفا وشيبة) وقد اجتمع الامران في قوله تعالى (فان مع العسر يسرا إن مع  
 العسر يسرا) فالعسران واحد واليسران اثنان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في تأييد هذه  
 الآية الكريمة (لن يغلب عسر يسرين)

### ٣ - الافراد والتذكير وفروعهما

قد كان لنا ألا تقول شيئا عن هذين الأمرين فيما تصدينا له هنا من أبحاث  
 أو نقصر الكلام إذا قلنا على أنهما يأتیان مراعاة للمطابقات اللازمة بين  
 المسند إليه والمسند ونحوها ولكن لما كان في هذه المطابقات ما هو جائز  
 وكان للقرآن أمرار في اختيار أحد الجائزين دون الآخر رأينا أن نذكر  
 هنا بعض هذه الاسرار، أولا عن الأفراد والتثنية والجمع، وثانيا عن التذكير  
 والتأنيث.

الأفراد والتثنية والجمع - استعمل القرآن الريح مفردة ومجموعة، وباستقصاء  
 مواضع استعمالها فيه وجد أنه يخص حال الأفراد بالشر وحال الجمع بالخير قال  
 تعالى (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وقال (وهو الذي يرسل الريح بشرا بين  
 يدي رحمته) والسبب في هذا أن رياح الرحمة تأتي متعددة المناحي والصفات  
 والمنافع والهيئات فناسب جمعها ولكن ریح العذاب لا تأتي إلا لوجه واحد  
 لا معارض له ولا دافع فناسب أفرادها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في

دعائه بالخير ( اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ) وأما قوله تعالى في سورة  
يونس ( هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجربن بهم  
ريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا  
أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتننا من هذه لنكونن من الشاكرين  
فلما أنجيتهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق ) فقد جاء بافراد الريح فى الخير  
لتقابل نفسها فى مجيئها عقبه للشر والمقابلة يحسن فيها مالا يحسن فى غيرها ألا  
تراه سبحانه وتعالى يقول ( ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ) على أنه  
يقال إنه حين أفردتها فى موطن الخير وصفها بقوله طيبة كما يقال أيضا إن أفراد  
الريح مع السفن خاصة هو الرحمة بعينها لأنها إذا لم تهب عليها واحدة وجاءتها  
من كل مكان أغرقتها ولذلك جعل هذا تهديدا لأرباب السفن أكثر من تهديدهم  
بضكون الريح إذ فيه الأيلاق وليس فى السكون إلا الركون قال تعالى ( ومن  
آياته الجوارى فى البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكدها على  
ظهره إن فى ذلك لآيات لسلك صبار شكور أو يوبقهن بما كسبن ) ، ولعله  
لهذا أو نحوه اختار الأفراد للنار وجهن دائما لأنهما عذاب وأكثر من جمع  
الجنة لأنها رحمة ، والآيات الشاهدة على ذلك كثيرة فال تعالى « إن الذين فتنوا  
المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فإهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق إن الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير »  
وقال فى أفراد الجنة « وتلك الجنة التى أوردتموها بما كنتم تعملون »

واستعمل القرآن الأرض مفردة فحسب فى حين استعمل السماء مجموعة ومفردة ،  
فأما الأول فلتأمل جمع الأرض وهو أرضون ولذلك لما اقتضى السياق منه الجمع  
أتى به من ناحيه ثانية فقال « سبع سموات ومن الأرض مثلهن » ولا يبعد أن  
تكون هناك حكمة ثانية لأفراد الأرض وجمع السماء هي أن الأرض عالم واحد

والسموات عوالم عدة ولذلك كان يأتي بهما هكذا حيث يريد السعة للدلالة على العظمة والقدرة كما في قوله «تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن» وقوله «قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب إلا الله» أما إذا أراد مطاق الجهة فإنه كان يأتي بالسماء مفردة كالأرض كما في قوله «وفي السماء رزقكم وما توعدون» وقوله «أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور». هذا. وكما حاد عن جمع الأرض لثقل الجمع حاد كذلك عن بعض المفردات إلى الجمع لثقلها عنه كما في الأبواب حيث لم يستعمل مفردا وهو اللب لثقله خصوصا في الوقف، ومثل الأبواب في ذلك، النهى جمع نهي.

ومن دقائق القرآن في هذا الباب اختياره أفراد السبيل مع الحق وجمعه مع الباطل لأن سبيل الحق واحدة وسبيل الباطل متعددة قال تعالى «ولاتبعوا السبيل فتفرق بكم عن سبيله». ومن هذه الجهة بعينها مجيء النور مفردا للهدى والظلمات جمعا للضلال، وكلمة ولي بالأفراد مضافة إلى المومنين وبالجمع مضافة إلى الكفار قال تعالى «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات»

ومنه أيضا أفراد السمع وجمع البصر كما في قوله «وجعل لكم السمع والابصار» لأن متعلقات البصر، أوسع من متعلقات السمع هذا على ما بالسمع من غلبة المصدرية عليه بخلاف البصر، والمصدر يستعمل بلفظ واحد له مفرد وقسيميه وكذا منه مجيء المشرق والمغرب مفردين للجهة كما في قوله «ولله المشرق والمغرب» وجمعين لتعدد المشرق والمغرب بتعدد الأيام إذا قصد ذلك كما في قوله «فلا أقسم برب المشارق والمغرب» ومثنيين قصد مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما كما في قوله من سورة الرحمن «رب المشرقين ورب المغربين» هذا على أن تثنيتهما في هذه السورة يتنزيها السياق تمام الاقتضاء فقد بدأت بنظام التثنية.



في أشياء عدة كالشمس والقمر للسراجين، والنجم والشجر لنوعى النبات، والسماء والارض والحب والريحان والانسان والجان ثم المشرقين والمغربين وبعدهما استمر السياق على نظام التثنية أيضا

ثم كان القرآن يراعى تناول الكلمات من حيث الكثرة والقلة فيجمع في الاولى ويفرد في الثانية ومن ذلك قوله « فمالنا من شافعين ولا صديق حميم » جمع الشافع لانه كثير وقد يوجد عن غير معرفة وأفرد الصديق لندرته . بل كان يراعى لطائف أدق في اختيار صيغة جمع على أخرى كقوله البررة في وصف الملائكة والابرار في وصف المؤمنين لأن مفرد الاول وهو بار أكثر دلالة على معناه من البر مفرد الثاني لزيادة مبناه ومن ثم كان أشبه بالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

التذكير والتأنيث - لاجمال للابانة عن شيء في هذين إلا حيث لا يجب أحدهما فواطن الجواز هي الجبال . ولما كان من مبيحات الجواز وجود فاصل بين الفعل والفاعل مثلا كان القرآن يتخير التأنيث على التذكير في المؤنث الحقيقي نحو « فجاءته إحداهما » ما لم يكن الفاعل جوا فانه كان يفضل عدم التأنيث كما في قوله « لا يحمل لك النساء من بعد » كما كان يفضل مع المؤنث المجازي نحو « فن جاءه موعظة من ربه فانتهى فلة ما سلف » وكما أكثر الفصل ازداد عدم التأنيث حسنا كما في قوله « وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصيبوا في ديارهم جاعين » وأما قوله بعد هذه الآية من السورة نفسها وهي سورة هود « وأخذت الذين ظلموا الصيحة » فلأن تقدم ذكر الصيحة أشعر بأن الفعل كاد يسند إلى ضميرها والاسناد إلى الضمير يوجب التأنيث فاطاد الفعل مؤنثا وإن كان أظهر فاعله لأن الاظهار لم يقع إلا بعد هذا الأشعار ، وبعض العلماء يستدل من تنابع هاتين الآيتين بالتذكير في الاولى والتأنيث في الثانية على أن

التذكير أولى لأنه بدأ به . أما قوله تعالى « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة » وقوله ( فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ) فالسبب في هذا التخالف أن من واقعة في الآية الأولى على أمة وهي مؤنثة فأنت لها الفعل كأنه قال ومنهم أمة ضلت ، والضمير في الآية الثانية جار على فريق وهو مذكر كأنه قال ، فريقا ضل ، على أن حروف انفصال في الآية الأولى أقل من حروفه في الثانية وذلك يرجح التأنيث هناك والتذكير هنا وهذا وقد كان القرآن أحيانا لا يجرى ابتداء على خبره تذكيرا وتأنينا إذا كان له مرجع قريب يخالفه كما في قوله بعد عمل السد « قال هذا رحمة من ربي » أما إذا بعد المرجع فانه كان يرعى المطابقة كما في قوله « فذانك برهانان من ربك » لأن المرجع وهو اليد والعصا بعيد

#### ٤ - الذكروعدم الذكروعدم

يتعاق هذان أول ما ينعتان بطرفي الجملة من مسند اليه ومسند ، والمسند اليه المبتدأ أو الفاعل أو ما يقوم مقامهما ، والمسند خبر المبتدأ أو الفعل أو ما يقوم مقامهما والأصل فيهما التذكير ما لم يقم دليل عليهما فاذا قام وجب الحذف أو جاز ولا علاقة لنا بحال الوجوب إذ المزاي لا تتبين في ترجيح أحد الأمرين على الآخر إلا في حال الجواز وللقرآن الكريم في ذلك مزايا كثيرة . منها في المسند اليه المذكور التعظيم كما في قوله تعالى « هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى » ، وزيادة الايضاح والتقرير كقوله ( الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ) . وبسط الكلام تلذذا كقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام وقد سأله سبحانه ( وما تملك

بيمينك يا موسى قال هي عصاي ) ولذلك أعقب هذا بقوله ( أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ) زيادة في البسط ورغبة في تكرار السؤال مما لم تقتضه الاجابة عن السؤال الأول . والتنبية على مكانة المسند اليه وفضله كقوله ( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ) . وزيادة التأكيد لغرابة الاسناد كقوله تعالى ( وأخرجت الارض أتقالها ) بعد قوله « إذا زلزلت الارض زلزالها » وأنه الاصل كقوله « والله خلق كل دابة من ماء » وقوله « وعد الله الذين آمنوا منكم وعمالوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض » إلى غير ذلك

ومنها في المسند المذكور زيادة البيان كقوله « الله لا إله الا هو الحي القيوم » . واظهار التشفي والانتقام كقوله « ولهم عذاب أليم بما كانوا يكفرون » بعد قوله ( في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ) . وأنه الاصل كقوله تعالى ( ورد الله الدين كفروا بغيبهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ) وقوله ( الله نور السموات والارض ) وغير هذا

ومنها في المسند اليه غير المذكور الرغبة في الايجاز اتكالا على القرينة المذكورة كقوله تعالى ( هدى للمتقين ) بعد قوله ( ذلك الكتاب لا ريب فيه ) على أن هدى خبر لمبتدأ محذوف أي هو هدى لا مبتدأ مؤخر لكلمة فيه والجملة تكون خبرا للا . ومن ذلك أيضا قوله تعالى ( مالك يوم الدين ) على قراءة الرفع في مالك أي هو مالك يوم الدين ، أو اتكالا على القرينة المفهومة كقوله تعالى ( ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ) فان فاعل بدا محذوف تقديره أمر أو رأى مثلا ، ونحو ذلك

ومنها في المسند غير المذكور وقوعه جوابا كقوله تعالى ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ) أي خلقهن الله ومثله ( ولئن سألتهم

من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله ( أى نزله الله وهو كثير . وكثرة الاستعمال كقوله تعالى ( بسم الله الرحمن الرحيم ) دون ذكر المتعاق مع بقاء الحرف . ووقوعه شرطا لأداة مذكورة كقوله تعالى ( قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذن لأمسكنم خشية الاثاق وكان الانسان قتورا ) وهذا كثير . ومما يحتمل حذف أحد الطرفين دون تعيين قوله تعالى ( وجءوا على قبيصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ) اذ التقدير يحتمل فأمرى صبر جميل ويحتمل فصبر جميل أجل ، وتقدير حذف المسند أولى لانه أكثر جريانا في كلام العرب

وكما تعرض هذه الامور لطرفي الجملة تعرض كذلك لمتعلقاتها ، فهى تذكر لاغراض من أجلها يؤتى بها وتحذف لاغراض ثانية حيث يقوم الدليل على تقديرها . فمثلا المفعول به يذكر لتأكيده تمدى الحدث اليه كقوله تعالى « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه » ويحذف للتقرينة اللفظية التي تجعله في حكم المذكور كقوله تعالى « ذلوا شاء لهداكم أجمعين » أى فلوشاء هدايتكم أو غير اللفظية كما قوله ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم ﴾ كما يحذف للتعميم نحو ﴿ والله يندعو الى دار السلام ﴾ أى كل أحد وللهمبة وقيل للابحاز كقوله « أرني أنظر اليك » أى ذاتك . ولتحقيق الفاصلة كقوله « ماودعك ربك وماقلا » أى ماقلاك . وقد يفتى الغرض الاسامى من الجيء به حيث لا يراد تمدى الحدث اليه فلا تكون هناك فائدة في ذكره كقوله تعالى « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » اذ المعنى لا يستوى العلماء والجهلاء دون تعرض لما يعلم وما لا يعلم ومثل هذا قوله تعالى أيضا « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى » لانه يقصد من اتصف بالاغطاء والتصديق بحسب .

وكذلك الحال في سائر المتعلقات بالقرآن الكريم ذكرا وحذفا

### ٥ - التقديم والتأخير

إذا نظرنا إلى التقديم والتأخير في القرآن الكريم فاننا لا نقف عند المسند إليه والمسند بل نتجاوزها إلى غيرها من سائر ما يدخل في بنية الكلام لأنه جاء فيه أوسع مدى وأعم أسبابا

فن هذه الاسباب السبق وهو إما زمني حقيقي كتقديم الليل على النهار والظلمات على النور والسنة على النوم والملائكة على الناس وعاد على نوح، وأدم على نوح ونوح على ابراهيم و ابراهيم على موسى وموسى على عيسى، وداود على سليمان وغيرها فيما وردت فيه من آيات . أو غير حقيقي ولكن باعتبار الانزال كقوله ( وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ) وقوله ( صحف ابراهيم وموسى ) أو باعتبار التكليف نحو ( اركعوا واسجدوا ) ، ( فاعسلوا وجوهكم وأيديكم الخ ) ، ( ان الصفا والمرورة من شعائر الله ) ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ( نبدأ بما بدأ الله به ) وإما ذاتي كقوله ( ما يكون من نجومى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ) وقوله ( منى وثلاث ورباع ) وأما قوله ( أن تقوموا لله منى وفرادى ) فقد جاء على خلاف الظاهر لان الآية مسوقة للحث على الجماعة والاجتماع على الخير

ومنها السببية ولاجلها يرد الحكيم من الحكم بعد العزيز لأن السلطان نتيجة العزة ومن الحكمة بعد العليم لان الاتقان نتيجة العلم وإنما قدم بهذا المعنى على العليم في قوله تعالى « سيجزيهم وصفهم . ا . حكيم عليهم » في سورة الانعام على خلاف الظاهر لأن الآيات كانت لتشريع الاحكام وجاء في آيات آخر من نفس السورة وان لم يكن فيها تشريع للمشاكله كقوله تعالى ( نرفع

درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ) ومن أجل السببية أيضا قدمت العبادة على الاستعانة في الفاتحة والتوبة على الطهارة في قوله ( إن الله يحب التوابين ومنكم ويحب المتطهرين ) وغض البصر على حفظ الفروج في آية النور ، والافك على الأثم في قوله ( لـكل أفك أثم وعلى هذا القياس سبقت الآية ) ولا تطعم كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثم عتل بعد ذلك زنيم )

ومنها الكثرة ولهذا قدم السارق على السارقة لأن السرقة في الذكور أكثر والزانية على الزاني لأن الزنا في النساء أكثر والظالم على المقتصد والمقتصد على السابق في الآية الماضية بممهديات الفصاحة والكافر على المؤمن في قوله ( فنكم كافر ومنكم مؤمن ) والازواج على الأولاد في قوله ( إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ) لأن العداوة في الأزواج أكثر منها في الأولاد ، والأموال على الأولاد من حيث الفتنة في قوله ( أنا أموالكم وأولادكم فتنة ) إذ الفتنة لا تكاد تفارق الغنى كما قال ( ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ) وكذلك قدمها في الزينة عليهم في قوله ( المال والبنون زينة الحياة الدنيا ) ولكنه في الشهوة قدم النساء والبنين عليها في قوله ( زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ) وعلى هذا جرت آيات كثيرة نحو ( وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا ) ، ( عالم الغيب والشهادة ) ، ( عالم الغيب لا يغرب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ) أما قوله ( وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ) فعلى خلاف الظاهر لأن الحديث مسوق قبلها لأهل الأرض حيث يقول ( وما تعاملون من عمل الا كنا عايكم شهودا إذ تفيضون فيه ) وإن لنا لهذا السبب

أن نطمئن إلى رحمة الله من غير غرور لأنه سبحانه يقدمها دائماً على العذاب في قرآنه تأييداً لقوله القدسي ( إن رحمتي غلبت غضبي )

ومنها شرف المقدم لعلو رتبته عما بعده ولذلك قدم الله ذكر على الانثى والحر على العبد والحي على الميت والسمع على البصر والمهاجرون على الأنصار فيما وردت فيه، والانعام وهي الابل على الخيل والخيل على البغال والبغال على الحمير في قوله ( والانعام خلقها الخ ) ورسول الله ﷺ على نوح ومن معه في قوله « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وسنك ومن نوح » الخ وسماعيل على اسحاق لان رسول الله من نسله وموسى على هرون إلا في سورة طه للفاصلة وجبريل على ميكائيل والانس على الجن ، غير أنه أحياناً يقدم الجن لسبب كافي قوله « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » إذ المقام طلب الثقلين للعبادة والمعصية في الجن أكثر وكما في قوله « يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا » لأن المطلوب إظهار عجزهما والقدرة في الجن أكثر وكذلك الحال في تقديم المؤمنين على الكافرين إذا لم يرد الكثرة كما تقدم وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال والسماء على الأرض والغيب على الشهادة والعقلاء على غيرهم، وأما تقديم الانعام على الناس في قوله ( تأكل منه أنواعهم وأنفسهم ) فلأن الكلام كان في النبات وقد جاء به على الاصل في قوله ( متاعاً لكم ولانعامكم ) لان الكلام قبله في الانسان حيث يقول ( فلينظر الانسان إلى طعامه الخ ) . ولهذا الشرف والعلو في الرتبة قدم اسم الله سبحانه في كثير من الآيات نحو ( شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ) ، ( واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الخ ) ، ( إن الله وملائكته يصلون على النبي ) ، ( والله ورسوله أحق أن يرضوه ) ، ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر

منكم) وهذا فضلا عما يكون من التبرك به في أمثال هذه الامور ذات الشأن. ومنها المناسبة وهي إما في اللفظ ذاته حيث يشعر بالسبق كقوله ( هو الأول والآخر ) ، ( لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ) ، ( لله الامر من قبل ومن بعد ) وإذا خالف فلسبب لا يكون أقل من مراعاة الفاصلة كقوله ( جمعناكم والأولين ) . وإما في شيء سابق يناسبه المقدم كقوله تعالى عن الانعام ( ولستم فيها جمال حين تريمون وحين ترحون ) لان الجمال في الرواح أظهر منه في السراح إذ تكون آخر النهار بطانا وأوله خماسا وقوله ( والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ) لأن السرف في الاتفاق، وقوله ( يريكم البرق خوفا وطمعا ) لأن علامة الخوف وهي الصواعق تظهر قبل علامة الطمع وهو الغيث وقوله ( وكلا آتينا حكما وعلما ) لسبقه بقوله ( وداود وسليمان إذ يحكمان في الحث ) ولولا ذلك لقدم العلم لانه سابق للحكم وقوله ( وجعلناها وابنها آية للعالمين ) لأن الكلام السابق لها حيث يقول ( والتي أحصنت فرجها ) ولذلك عكس في قوله ( وجعلنا ابن مريم وأمه آية حيث كان الكلام لموسى لهما

ومنها أشياء آخر كثيرة كالحث على المقدم والحض عليه حذرا من التهاون فيه إذ ليس له رتبة المؤخر كقوله تعالى ( من بعد وصية يوصى بها أو دين ) وكونه أدل على القدرة كقوله ( والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع ) وقوله ( وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ) وكالترقى من الأدنى الى الأعلى نحو ( ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدي يبسطون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ) لان الغرض من الغاية هنا أن تكون تصاعدية وهذا هو الطبيعي وهذه الآيات فضل السمع على البصر، وكعكسه في موضعيه أيضا نحو:



( لا تأخذه سنة ولا نوم ) لانه أراد هنا الترتيب الوجودى وان كانت المبالغة تقتضى العكس الى غير ذلك مما لا يدع متدما فى القرآن ايس له سبب اقتضى هذا التقديم ولو كان على خلاف الظاهر . ولا يفوتنا التنبيه هنا على أن من أهم أسباب التقديم الاختصاص كما سيأتى فى البحث التالى

### ٦ - الاطلاق والقصر

جرى القرآن الكريم على الاطلاق وهو الاصل فى الكلام غير عادل عنه الى القصر إلا لحال تقتضى الاختصاص والحصر وهو على سعمته لم يقع فيه قصر موصوف على صفة على سبيل الحقيقة حقا لان محاولة ذلك ضرب من العبث إذ يستحيل أن يكون لشيء ما صفة واحدة يحبس عليها ولكنه جاء حقيقيا على سبيل الادعاء اعتدادا بصفة يفضى عما سواها كما فى قوله « وما محمد إلا رسول قد خات من قبله الرسل » وانما حسن الادعاء هنا لأن المخاطبين كانوا يستبعدون موته صلى الله عليه وسلم فناسب لذلك أن يقصره على الرسالة على معنى أنه لا يتعداها الى صفة الخلود التى هى من شأن الله وحده ايدانا لهم بأن من استبعد موت محمد استبعد رسالته لان نفي الموت ينفي البشرية ونفى البشرية لا يبقى من الرسالة شيئا ولذلك أتى سبحانه عقب هذا الحصر بما يشعر بالعرض منه اذ قال « أفأئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » وقد اختار لهذا القصر أقوى أدواته وهى النفي والاستثناء

أما قصر الصفة على الموصوف الحقيقى حقا فكثير فى القرآن نحو « وما من آله الا الله » فقال للموحد أما اذا قيلت لغيره من الشاك والوثنى والمشارك فان القصر فيها يكون اضافيا تعيينا للشاك وقلبيا للوثنى وإفراديا للمشارك وهذا هو المراد لان غالبية العرب كانت تشرك الاصنام مع الله ، وقد أوقع القصر هنا بالنفي والاستثناء أيضا لأن الكلام فى الوجدانية التى كانت اذا وقعت

في كلام على غير طريق القصر الاصطلاحي عوض عنه بصيغ أخرى كقوله « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » وقوله « فاعبدوا الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص » . وكذلك كثير فيه هذا القصر على سبيل الادعاء ومنه قوله « قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به فن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم » وإنما جاءت هذه الآية على هذا السياق وإن لم يك القصر فيها حقاً لأنهم كانوا يحلون هذه الأشياء من المحرمات فناسب أن يقصر التحريم فيها على ما يحلون مضادة وعناداً وبالغلة في الدحض والازهاق كأنه قال لا حرام إلا ما أحللتموه ثم هو لتقويته أو قبحه عن طريق النسب والاستثناء أيضاً ومن هذا النوع قوله سبحانه على لسان عيسى « ما قلت لهم إلا ما أمرتني به » ولذلك قال بعده « أن اعبدوا الله ربي وربكم » وهو بالنسب والاستثناء كذلك .

وكان القرآن يجرى القصر أيضاً بانما مكسورة الهمزة ومفتوحاتها وتد اجتماعتا في قوله « قل إنما يوحى إلى أنما ألهم آله واحد » أي لا يوحى إلى إلا ما هو مقصور على استئثار الله بالوحدانية ولكن مجيء الماكسورة والكثير وبغلب عليها في القرآن أن تكون بمثابة الجواب عن سؤال يقتضيه السياق قبلها صريحاً أو ضمناً وهذا منجى له عجيب . فمن الصريح ويكثر سبقها حينئذ بمادة القول الآية « قل إنما علمها عند ربي » ، ( قل إنما العلم عند الله ) ، ( قال إنما يأتيكم به الله ) ومن الضمني قوله ( إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق ) بعد قوله ( ولئن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ) ومثله ( إنما الصدقات للفقراء الخ ) بعد قوله ( ومنهم من يلمزك في الصدقات الخ ) ، ( إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم

أغنياء) بعد الآيات السابقة وفيها (ماعلى المحسنين من سبيل) وكذا قوله (واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتديتها قل انما أتبع ما يوحى إلى من ربي وان تولو فاننا عليكم البلاغ). وكثيرا ما كان يستعمل القرآن انما في الحصر التعريضي كقوله (انما يتذكر أولو الالباب)

هذا ولم يقف القرآن في طرق حصره عند ما تقدم وانما جاوزه إلى تاحيتين من الاختصاص تصرف فيهما تصرفا بديعا هاتان هما التقديم وضمير الفصل.

فأما التقديم فقد جاء به في أشياء كثيرة منها المفعول نحو «إياك نعبد وإياك نستعين»، «بل الله فأعبدوكن من الشاكرين» والخبر نحو «أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم»، «وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله»، «واقرب لوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا» ثم الجار والمجرور وهو كثير فيه جدا نحو «لألى الله تمشرون»، «ألا إلى الله تصير الامور»، (ان الينا إياهم ثم ان علينا حسابهم)، (له الملك وله الحمد). وقديضم إلى الاختصاص في التقديم تحقيق الفاصلة نحو (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة)، (والنفث الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق)، (إلى ربك يومئذ المستقر ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر)، (وإلينا يرجعون)، (عليه توكلت وإليه أنيب)، (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) وهذا المنال الاخير في النفي، ولهذا المناسبة نقول إذا لم يحصل تقديم في النفي لا يكون عدم الاختصاص مسكوتا عنه كما في الاثبات بل يكون مقصودا لذاته نحو (لاريب فيه) أى ولا في غيره وإلا كان الكلام طعنا في السكتب قبله. وقد يكون التقديم للاختصاص مجازاة لا على سبيل الحقيقة كما في قوله (وبالآخرة هم يوقنون) أى وبغيرها ولكن خصت هذه

لأنهم ينكرونها فهو تعريض كما يكون على سبيل المشاكلة لاختصاصه وجوده  
كما في قوله (أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل إياه تدعون) فالاختصاص  
في الثانية دون الاولى

وليست قوة الحصر في التقديم كقوته في النفي والاستثناء ولا في انما ولذلك  
خص باسم الاختصاص دون القصر لأنه قد يرد لغير الحصر كمرعاة الفاصلة في  
قوله (فاوجس في نفسه خيفة موسى) وقوله (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه)  
أو مراعاة التجانس في بدء الجمل كقوله (والقمر قدرناه منازل) بعد قوله  
(وآية لهم الليل) وبعده قوله (والشمس تجري) ومن الآيات التي جمعت بين  
الاختصاص وعدمه غير ما تقدم قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا  
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)

وأما ضمير الفصل فهو ضمير حرفي لا محل له من الاعراب يأتي بصيغة  
المرفوع مطابقا لما قبله بعد المبتدأ إشعارا بالخبر للتأكيده وقد تجاوز التأكيده  
إلى الاختصاص وإن شئت فقل إلى الحصر بدليل قوله تعالى (فلما توفيتني كنت  
أنت الرقيب عليهم) لأنه لو لم يك هنا للحصر لكان الله غير رقيب عليهم قبل  
توفيه عيسى وبدليل (لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم  
الفائزون) لأن عدم الاستواء لا يتأتى إلا بالحصر. وقد تقدم أنه يتصدر  
الأشياء التي تدعى الشركه فيها مع الله سبحانه ولا يؤثر به حيث لا تدعى هذه  
الشركه كقوله (وأنه هو أضحك وأبكى) مع قوله (وأنه خلق الزوجين الذكر  
والانثى) ومن أمثله غير تلك وهي كثيرة جدا في القرآن قوله (فأله هو الولي)،  
(وأولئك هم المفلحون)، (وإنا لنحن الصادقون)، (إن ترن أنا أقل منك  
مالا وولدا فعسى الخ)، (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا  
وأعظم أجرا)

وعلى ذكر ضمير الفصل وإفاء بوعده سابق في الضمائر نقول إنه قد استعمل

القرآن ضميراً آخر هو ضمير الشأن أو القصة ويسمى ضمير المجهول لأنه لا مرجع له وهو اسم وفائدته الدلالة على تعظيم الخبر به عنه وتقظيمه عن طريق الإبهام ثم الإيضاح وأمثله كثيرة كقوله ( قل هو الله أحد ) ، ( فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ) ، ( فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ) ، ( وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ) .

### ٧ - الفصل والوصل

إذا كانوا يقولون إن من خير مسابير البلاغة الفصل والوصل لأنها من أشد المداحض أمام البلغاء فلنعلم أن القرآن الكريم له من الدقة فيهما ما ألفت إليه البلاغة بالقياد ووقف أمامه البلغاء خاشعين وإنه ليتمكن أن يرجع ماندي به هنا إلى أمرين ، خاص تعارف الناس عليه في أسباب الفصل والوصل وهو ما كان بالواو بين بعض الجمل وبعض ، وعام وهو ما جاوز هذا

فالخاص منشؤه في الوصل تغاير الجملتين مع وجود المناسبة وفي الفصل عدم التغاير وعلى هذين جرى التنزيل . فمن الوصل قوله تعالى ( أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ) والمناسبة فيه بارزة لأن هذه الأشياء منتزعة من ميدان العربي المخاطب بالكلام في باديته ثم تزيد على المناسبة الدقة في معاني الأفعال المسندة وفي ترتيب الجمل حيث بدئت بالأبل وعليها حياة البدوى وبعدها السماء مبعث الغيث وحياة الأنعام وختمت بالأرض لأن إليها المآب وبذلك وقعت الجبال بين السماء والأرض وما أجمله ، وقعا . ومنه ( إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت ) إلى آخر ما ذكر في بدء هذه السورة ، ونحوه من

المبادئ في السور الاخرى كثير . وكذلك ( يراءون الناس ولا يذكر الله الا قليلا ) ، ( كلوا واشربوا ولا تسرفوا ) ، ( يخادعون الله وهو خادعهم ) ، ( فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ) الى غير ذلك مما هو بالقرآن شائع كثير . هذا وقد يقتضى الظاهر في بعض الآيات الفصل لعدم ظهور المناسبة ولسكن خلاف الظاهر يقتضى الوصل لوجودها مثل ( يدألونك عن الأهله قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتو البيوت من ظهورها ) فالمناسبة هنا راجعة الى عادة العرب في أنهم كانوا اذا احرموا للحج لا يدخلون البيوت الا من نقب في المدر ومن خاف الخيمة في الوبر ، و إلى أن الآية تمثيل في تصديهم بالسؤال عما لا يفيدهم وهو الأهله تاركين ما يفيدهم وهو منافعها

ومن الفصل ومنشؤه كما تقدم عدم التغير ، قوله تعالى ( ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ) ، ( قالوا انا معكم انما نحن مستهزون ) ، ( كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا ) ، ( ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ) ونحو هذه الآيات مما تقع فيه الجملة الثانية بمثابة التأكيد للاولى . وقوله ( بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ) ، ( واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ) ، ( قل يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون ) ونحوها مما نزلت فيه الثانية من الاولى منزلة البدل . وقوله ( فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم ) ، ( ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ) ونحوه مما فيه الثانية بمثابة البيان من الاولى .

وقوله ( قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم ليجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجلنك من المسجونين قال أو لو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين ) ونحوه مما تكون فيه الثانية جوابا لسؤال صريح فى الاولى أو مفهوم منها. وقوله ( قالوا انامعكم انما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم ) ونحوه مما يردع فيه عدم العطف توها فى الثانية لا يرتفع مع وجوده وهو هنا توهم كونها من مقولهم وهذا من المواطن التى يقتضى ظاهرها الوصل ولكن عدم الظاهر يدعو الى انفصل وقد جعلته نهاية شواهد الفصل كما جعلت نظيره المعاكس نهاية شواهد الوصل فيما تقدم

أما الامر العام فذو فروع كثيرة . منها استعمال باقى الحروف العاطفة ولا سيما اناء وتم ومعها الواو فى المفردات والجل استعمالا متناهيًا فى الدقة بين معانى السكيات ومعانى هذه الحروف قال تعالى « قتل الانسان ما أ كفره من أى شىء خلقه من نطفة خاقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره » وقال ( الذى خلقنى فهو يهدين ) إلى قوله ثم يحبين وقد تقدمت وقال ( ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ) الى قوله ( فتبارك الله أحسن الخالقين ) وقد تقدمت أيضا فتأمل مطابقة المعانى بين الحروف والسكيات . ومنها أن صفاته سبحانه وتعالى اذا تابعت غير متضادة المعانى جاءت بغير عطف كقوله تعالى فى آخر الحشر ( هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم انخ ) واذا كانت متضادة أتت بغير عطف كقوله فى أوائل الحديد ( هو الاول والآخِر والظاهر والباطن )

وكذلك الحال في صفات غيره نحو (التائبون العابدون الحامدون السائحون  
الراكون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون  
لحدود الله) ، (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات  
وأبكارا) فقد اجتمع في كلتا الآيتين الامران . ومنها أن لفظ قال اذا ورد  
بمجردا من العاطف كان المراد اعتباره جوابا لسؤال يعرض عقب استماع ما قبله  
نحو ( فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف ) ، ( فقر به اليهم قال ألا  
تأكلون ) ، ( فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم ) ولكنه اذا ورد متصلا  
بعاطف كان الغرض ضم ما بعده اى ما قبله بعيدا عن تقدير سؤال نحو ( هل  
أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام )  
ففى هذه الآية شاهد للحالين ، ومنها في الجمع بينهما ولكنه اكثر وأطول ، الآيات  
السابقة في المحاورة بين موسى وفرعون . ومنها عدم وقوع التعاطف الضعيف  
في القرآن الا على بعض التمراءات مع ثبوت القراءة القوية أو التخريج المانع له  
هذا على أنه قليل نادر وذلك كالعطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار  
وشاهده ( واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ) ، ( وصد عن سبيل الله  
وكفر به والمسجد الحرام ) بعطف الارحام على الضمير في به وكذا المسجد  
على ضمير به ولكن الفصيح عطف الاول بالنصب على لفظ الجلالة وعطف  
الثاني على سبيل . وكالعطف على معمولى عاملين مثل ( إن في السموات والارض  
لايات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات ) على قراءة آيات بالنصب  
ولكن الفصيح قراءتها بالرفع على الابتداء وكذلك كلمة آيات في الآية بعدها  
أيضا . وكالعطف مع الاختلاف في الاسمية والفعلية نحو ( مما لم يذكر اسم الله  
عليه وانه فسق ) ولكن الصحيح هنا عدم العطف وجعل الثانية حالية حتى  
تكون قيما لتحريم ما لم يذكر اسم الله عليه طبقا لقوله في آية أخرى ( أو فسقا



أهل لغير الله به) وكالعطف مع الاختلاف في الخبرية والانشائية ومنه في الظاهر ( أعدت للكافرين وبشر الذين آمنوا ) ولكن هذا ليس من عطف الجمل الجزئية بل هو خروج من جملة كلام في الكافرين إلى جملة أخرى في المؤمنين .

هذا وقد ورد في القرآن بعض آيات يفيد ظاهرها أن المعطوف ليس له فيها معطوف عليه يأخذ حكمه ولكن التأويل يحقق المعطوف عليه المطلوب مثل ( إنه من يتقى ويصبر ) برفع الأول وجزم الثاني وتخريجه أن من الموصولة في معنى الشرطية ولذلك تأخذ الفاء في خبرها فالثاني معطوف على الأول كأنه معطوف على شرط مجزوم ومثل ( لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن ) بجزم أكن إذ المعنى أخرتني فأصدق وأكن .

#### ٨ - الأيجاز والاطناب والمساواة

إن التعبير عن المراد لا يخلو أن يكون بلفظ مساو لأصل هذا المراد أو ناقص عنه واف بالمعنى أو زائد عليه لفائدة ، فالأول المساواة والثاني الأيجاز والثالث الاطناب. والبلاغة كل البلاغة في الأيجاز والاطناب إذ في الأول التعرض للاختلال وفي الثاني التعرض لاحشو والتطويل ولذلك قيل إن البلاغة هي الأيجاز والاطناب وستتكم عنهما وبعدهما نقول كلمة موجزة عن المساواة

#### ١ - الأيجاز

تقدم تعريفه وهو نوعان لأنه إن كان بعضا من كلام أطول منه فهو إيجاز حذف وإن لم يك بعضا بل جاء كلاما يعطى معنى أطول منه فهو إيجاز قصر، وكلاهما في القرآن الكريم دون سائر الكلام مختلف الألوان زخار الأمثلة . فإيجاز الحذف جاء في الأسماء والأفعال والحروف كلمة وأكثر من كلمة.

فنه في الاسماء حذف المضاف نحو (ولكن البر من اتقى) أى ذا البر  
أوبر من اتقى، (الحج أشهر معلومات) أى أشهر الحج أوحج أشهر، وفيه  
أكثر من ألف مثل في القرآن وقد أفرد فيه بتأكيده خاصة لكثرة ولأنه  
إذا قدر كان حقيقة وإذا لم يقدر كان مجازا ولا حذف. وحذف المضاف إليه ويكثر  
في ياء المتكلم نحو (رب اغفر لي) وفي الغايات نحو (لله الأمر من قبل ومن بعد)  
ومع كل وبعض مثل (وكلا آتينا حكما وعلما)، (فضلنا بعضهم على بعض).  
وحذف المبتدأ في جواب الاستفهام نحو (وما أدراك ماهية نار حامية) وبعد  
فاء الجواب نحو (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعلها) وبعد القول نحو  
(وقالوا أساطير الأولين) وغير ذلك نحو (لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ).  
وحذف الخبر نحو (أكلها هائم وظلها). وحذف الموصوف مثل (وعندهم  
قاصرات الطرف عين). والصفة نحو (ياخذ كل سفينة غصبا) أى صحيحة  
بدليل (أعيبها). والمعطوف عليه مثل (أن اضرب بعصاك البحر فانقلب) أى  
فضرب فانقلب. والمعطوف مع العاطف مثل (لا يستوى منكم من أتقى من قبل  
الفتح وقاتل) أى ومن أتقى بعده والبدل مثل (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم  
الكذب) أى تصفه. والحال القولية مثل (يدخلون عليهم من كل باب سلام)  
أى قائلين سلام. والمنادى نحو «يا ليت قومي يعلمون». والعائد نحو «أهذا الذي  
بعث الله رسولا»، «واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا». ومخصوص  
نعم مثل «إنا وجدناه صابرا نعم العبد». والموصول نحو «بالذي أنزل البنا  
وأنزل اليك» أى والذي أنزل اليك لأنه غيره ولذلك أعيد في قوله «قولوا  
آمنا بالله وما أنزل البنا وما أنزل إلى إبراهيم». ثم المفعول به وهو كثير جدا  
إذ يكون للبيان بعد الابهام في فعل المشيئة الشرطى نحو «فلو شاء لهداكم»

وللتعميم نحو « والله يدعو إلى دار السلام » ولعدم تعاق الفعل به نحو  
 (كأوا واشربوا) وللهيبه نحو (أرني أنظر اليك) أى ذاتك ولغير ذلك نحو  
 (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) أى عاقبة أمركم

ومنه فى الافعال، اجاء فى الفعل المفسر بنفسه نحو « وان أحد من المشركين  
 استجارك » والواقع فى جواب الاستفهام نحو « وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم  
 قالوا خيرا » وحين التحذير أو الاغراء نحو « ناقة الله وسقياها » أى احذروها  
 والزموا سقياها وإذا كان قولاً نحو « وإذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت  
 واسماعيل ربنا تقبل منا » أى يقولان وغير ذلك مثل ( انتهى خيراً لكم )  
 أى واتقوا خيراً لكم

ومنه فى الحروف ما يكون بحذف الجار ويتردد مع أن وأن نحو ( يبنون  
 عليك أن أسلموا ) ، ( أيعدكم أنكم ) ويقل مع غيرهما نحو ( ولا تعزموا عقدة  
 النكاح ) أى عليها كما يقل فى الموصول الحرفى نحو ( ومن آياته يريكم البرق  
 أى أن يريكم وفى العاطف نحو ( وجوه يومئذ ناعمة ) أى ووجوه بالعطف  
 على « وجوه يومئذ خاشعة » قبلها وفى فاء الجواب نحو ( إن ترك خيرا الوصية )  
 أى فالوصية وهو كثير فى ياء النداء نحو « يوسف أعرض عن هذا ) وفى لا  
 النافية مع المضارع الواقع جواباً لقسم نحو « تالله تفتؤ تذكر يوسف » وفى قد  
 مع الماضى الواقع حالاً نحو ( أنؤمن لك واتبعك الارذلون )

ومنه فى أكثر من كلمة مما ليس جملة حذف المتضامين نحو ( فقبضت قبضة  
 من أثر الرسول ) أى من أثر حافر فرس الرسول ومفعولى باب ظن نحو  
 « أين شركائى الذين كنتم تزعمون » وأداة الشرط وفعلها نحو « فاتبعونى  
 يحببكم الله » أى إن تتبعونى، ومما هو جملة حذف الجواب نحو ( وإذا قيل لهم  
 اتقوا ) إلى آخر الآية أى أعرضوا، ويكثر هذا حين قصد الابهام لتذهب النفس

في تصور الجواب كل مذهب كقوله تعالى في أهل الجنة ( حتى إذا جاءوها  
وفتحت أبوابها ) وفي أهل النار « ولو تري إذ وقفوا على النار )، وقد يكون  
في جملة كقوله تعالى ( فارسلون يوسف أيها الصديق ) إذ أنتقدير فارسلون  
إلى يوسف لاستعبره الرؤيا فأرسلوه فأناد فقال له يا يوسف

وكل هذه الانواع من الحذف تسمى اختزالا. ثم يسمى الحذف اقتطاعا اذا  
وقع في بعض حروف الكلمة تخفيفا اعتمادا على الشهرة وكثرة الدوران  
كحذف نون تكن في قوله « ولم تك شيئا » وهمزة أنا في قوله « لكناهو  
الله ربي ». وهناك نومان آخران من الحذف البديع جاءا في القرآن الكريم هما  
الا كتنفاء والاحتباك فالاول أن يكتبي بذكر أحد المتلازمين عن الآخر مثل  
« سرايل تقيكم الحر » أي والبرد وآثر الحر بالذكر لأنه أنسب لبلاد العرب  
فضلا على تقدم ما يتعلق بالبرد دونه في قوله « والانعام خلقها لكم فيها ذكوة  
ومنه ( بيدك الخير ) أي والشر ، « والذين يؤمنون بالغيب » أي والشهادة،  
« رب المشارق » أي والمغرب ، « إن امرؤ هلك ليس له ولد » أي ولا والد  
بدليل أن للاخت النصف ولا يكون لها إلا مع فقد الاب وكل مذكور له فضل  
على المتروك . والثاني وهو الاحتباك أن يكون في أصل الكلام متقابلا  
فيحذف من كليهما مقابل اعتمادا على نظيره كقوله تعالى « وأدخل يدك في  
جيبك تخرج بيضاء من غير سوء » إذ المعنى وأدخل يدك في جيبك غير بيضاء  
وأخرجها تخرج بيضاء من غير سوء ومثله ( قل ان افتريته فعلى إجرامى وأنا  
برىء مما تجرمون ) فالحذوف وأنتم براءء وعليكم إجرامكم وكذا ( ويعذب  
المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ) أي ان شاء فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم  
فلا يعذبهم ، « فلا تقر بوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن » أي حتى  
يطهرن من الدم فاذا تطهرن بالماء ، « خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا » أي

غملاً صالحاً بسىء وآخر سيئاً بصالح ، « فئمة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة »  
 أى فئمة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت  
 وهو على دقته كثير جدا في القرآن

أما إيجاز القصر وهو أصعب محاولة من إيجاز الحذف فقد أفاض فيه القرآن  
 الكريم حتى جاء السلك الناظم لجوامع الكلام والحكم والامثال كقوله تعالى  
 ( إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتوني مسلمين )  
 ، ( فن جاء موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف ) ، ( إن الله يأمر بالعدل والاحسان  
 وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ) ، ( خذ العفو وأمر  
 بالعرف وأعرض عن الجاهلین ) ، ( فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين )  
 ، ( أخرج منها ماءها ومرماها ) ، ( لا يصدعون عنها ولا ينزفون ) ، ( يا بنى  
 آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ) ، ( يا أيها  
 النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ) ، ( وأوحينا  
 إلى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فأتقيه في اليم ولا تخافى ولا تحزنى  
 إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ) ، ( وفيها ما تشتهي الانفس وتلذذ العين  
 وأنتم فيها خالدون ) ، ( ومن يعمل سوءا يجز به ولا يجدر له من دون الله وليا  
 ولا نصيرا ) ، ( فن يعمل مثل ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) .  
 وقد أفردت بعض آيات الكتاب الموجزة بالتأليف كسورة الاخلاص التى زهت  
 الله سبحانه وتعالى أتم تنزيهه وكقوله ( وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويسمى  
 أفلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم  
 الظالمين ) لما تضمنت من قصص طويل وكذا قوله ( ولستم فى انقصاص حياة )  
 فى بيان معنى أن القصاص حياة وموازنته بابلغ وأوجز ما قالت العرب فى هذا  
 المعنى وهو ( القتل أنفى للقتل ) موازنة خرجت بها الآية متميزة بأنها أقل

حروفاً وأنص على المطلوب وأكثرت اطرادا وخالية من التكرار ومن المحذف  
ومن لفظ القتل ومما ظاهره التناقض ثم هي مبنية على الاثبات وحروفها أكثر  
خفة وأظهر ملاءمة إلى غير ذلك من ميزات جاوزت العشرين

وعلى ذكر إيجاز القرآن نرى أن ندلى هنا بكلمة عن أمثاله وقدأكثر الله  
من ضربها فيه لأن لها كما قال الأصهباني (شأننا ليس بالخطي في إبراز خفيات  
الدقائق ورفع الاستار عن الحقائق ترك المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في  
معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيها تبيكيت للخصم الشديد الخصومة ووقع  
لضرره الجامع الابي فهي تؤثر في القلوب مالا يؤثر وصف الشيء في نفسه).  
وهي فيه نوعان نوع مصرح به هو التمثيل وقد تقدم منه شطر صالح في التشبيه  
وليس له مدخل عام في الإيجاز ونوع كامن هو محل الشاهد في هذا الباب  
واليك منه شطرا

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . ليس لها من دون الله كاشفه . الآن  
حصحص الحق . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه . ذلك بما قدمت يداك . قضي  
الأمر الذي فيه تستفتيان . أليس الصبح بقريب . وحبل بينهم وبين ما يشتهون  
لكل نبأ مستقر . ولا يحيق المكر السريء الا باهله . قل كل يعمل على شاكلته .  
وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . كل نفس بما كسبت رهينه . ما على  
الرسول إلا البلاغ . ما على المحسنين من سبيل . هل جزاء الاحسان إلا الاحسان  
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة . الآن وقد عصيت قبل . تحسبهم جميعا  
وقلوبهم شتى . ولا يذبئك مثل خبير . كل حزب بما لديهم فرحون . ولو علم الله  
فيهم خيرا لاسمعهم . وقليل من عبادي الشكور . لا يكف الله نفسا إلا وسعها .  
لا يستوى الخبيث والطيب . ظهر القماد في البر والبحر . ضعف الطالب والمطلوب .  
لمثل هذا فليعمل العاملون . وقليل ما هم . فاعتبروا يا أولي الأبصار .

وقلما يوجد مثل عربي في معنى نبيل إلا وفي القرآن له نظير يفضله ويعلو عليه  
حدث مضارب بن ابراهيم قال سألت الحسن بن الفضل فقلت إنك تخرج  
أمثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد فيه . خير الامور أو ساطها. قال نعم  
في أربعة مواضع قوله تعالى (لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) وقوله (والذين إذا  
أنفقوا لم يمسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقوله (ولا تجعل يدك  
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) وقوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت  
بها وابتغ بين ذلك سبيلا) قلت فهل تجد . من جهل شيئا عاداه. قال نعم في  
موضعين قوله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) وقوله (وإذ لم يهتدوا به  
فسيقولون هذا إفك قديم) قلت فهل تجد . احذر شر من أحسنت اليه. قال نعم  
(وما تقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) . قلت فهل تجد . ليس  
الخبير كالعيان. قال في قوله (أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطغتن قاجي) قلت فهل  
تجد . في الحركات البركات. قال في قوله (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض  
مراغما كثيرا وسعه) قلت فهل تجد . كما تدين تدان. قال في قوله (من يعمل سوءا  
يجز به) قلت فهل تجد ، لا يبلغ المؤمن من جحر مرتين قال (هل آمنكم عليه الا كما  
أمنتم على أخيه من قبل) قلت فهل تجد. من أعان ظالما مسلط عليه قال (كتب عليه  
أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير) قلت فهل تجد . لا تلد الحية الا  
حية. قال (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) قلت فهل تجد . للحيطان آذن قال (وفيكم  
سماعون لهم) قلت فهل تجد . الجاهل مرزوق والعالم محروم. قال (من كان في  
الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) قلت فهل تجد . الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام  
يأتيك جزا فا قال (إذ تأتهم حيثأنهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتهم).  
فهذه الاجابات وهي في أمثال دقيقة تدل على ما بالقرآن الكريم من فيض  
في باب الایجاز عميم .

## ب - الاطناب

قلنا إن الاطناب هو التعبير عن المراد بلفظ زائد عليه لفائدة، وقد افتن القرآن الكريم في هذه الزيادة افتنانا كبيرا وسم من دائرتها وكثر من أنواعها .

فمن الزيادة ما تكون أداة من أدوات التأكيد المعروفة في مقام التردد أو الانكار وقد تقدمت ومعها أمثلتها حيث الكلام على الخبر، ويلحق بهذه الأدوات المصطلح على أنها ألفاظ التوكيد ما يفيد من الحروف الزائدة كالباء في خبر ليس من قوله تعالى (أليس الله بكاف عبده) ونحوها من سائر حروف الزيادة على أن الزيادة قد تتعدى الحرف إلى الفعل مثل كان في قوله (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) وإلى الاسم كمثل في قوله (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) وكلها للتقوية والتوكيد

ومنها ما يكون تابعا إما على سبيل التأكيد بالفاظه الخاصة لرفع توهم المجاز أو عدم الشمول نحو (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) والحكمة في تناوب لفظين منها في هذه الآية أن كلا أفادت الشمول وأجمعين أفادت أنهم سجدوا مجتمعين لا متفرقين أو باعادة اللفظ للتقوية ويكون بالمرادف نحو (يجعل صدره ضيقا حرجا) ، نحو (غرايب سود) وبنفس اللفظ في الاسم نحو (قوارير قوارير) ، (دكا دكا) وفي الفعل نحو (فهل الكافرين أمهلهم رويدا) ومثله اسمه نحو (هيات هيات لما تواعدون) وفي الحرف نحو (ففي رحمة الله هم فيها خالدون) ، (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) وفي الجملة نحو (إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) ، (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما إدراك ما يوم الدين) ، (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون)



وفي الضمير المتصل بالمنفصل نحو ( اذهب أنت وربك فقاتلا ) والمنفصل  
بمثله نحو ( وهم بالآخرة هم كافرون ) وفي الفعل بمصدره لرفع توهم التجوز  
نحو ( وكلم الله موسى تكليما ) ، ( ويسلموا تسليما ) ، ( ويوم تمور السماء مورا  
وتسير الجبال سيرا ) أو بمرادف مصدره نحو ( وتبتل إليه تبتيلا ) ، ( أنبتكم  
من الارضا نباتا ) أو بالحال منه نحو « أبعث حيا » ، « ولا تعثوا في الأرض  
مفسدين » ، « وأرسلناك للناس رسولا » ، « ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم  
معرضون » ، ( وأزلقت الجنة للمتقين غير بعيد ) . وإما على سبيل البدل للبيان  
والتأكيذ كقوله تعالى في المطابق ( اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت  
عليهم ) وفي بدل البعض من الكل ( والله على الناس حج البيت من استطاع إليه  
سبيلا ) وفي الاشتغال ( وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ) ، ( ويسألونك عن  
الشهر الحرام قتال فيه ) ، ( قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود ) . وإما  
على سبيل عطف البيان لزيادة الايضاح كقوله ( فيه آيات بينات مقام ابراهيم )  
وقوله ( من شجرة مباركة زيتونة ) أو للمجرد المدح نحو ( جعل الله الحكمة  
البيت الحرام قياما للناس ) . وإما على سبيل عطف النسق بشرط أن يكون في  
المترادفين للتأكيذ نحو « انما أشكو بثي وحزني إلى الله » ، « فإ وهنوا لما  
أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا » ، « فلا يخاف ظالما ولا هضما »  
، ( لا تخاف دركا ولا تخشى ) ، « لا ترى فيها عوجا ولا أمثا » وغيره كثير ،  
أو في الخصاص بعد العام للتنبيه على فضل الخصاص نحو ( حافظوا على الصلوات  
والصلاة الوسطى » ، ( قل من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكل )  
، ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر )  
، ( ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء )  
ونحوه . أو في العام بعد الخصاص للتعميم بعد أفراد الخصاص بالذكر لأهميته

نحو « إن صلاتي ونسكي » ، « ولقد آتيناك سبعا من المناني والقرآن العظيم » ، « رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وللمؤمنات » ، « فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير . وإمامي سبيل النعمت للتخصيص في النكرة نحو (فتجرب رغبة مؤمنة) ولاتوضيح في المعرفة نحو « النبي الأمي » والمدح نحو « بسم الله الرحمن الرحيم » ولالذم نحو ( فاستعد بالله من الشيطان الرجيم ) وللتأكيذ الرافع للاجتهاد نحو ( لاتتخذوا الهين اثنين ) ونحو ( ولا طائر يطير بجناحيه )

ومنها ما يكون ظاهرا يحل محل مضمرة لزيادة التقرير والتأكيد نحو ( قل هو الله أحد الله الصمد ) ، « وبالخلق أنزلناه وبالخلق نزل » ، ( ان الله لنو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ) ، ( اتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ) ، ( ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ) أو لاتعظيم نحو ( واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ) ، ( أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون ) ، ( وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ) أو لاتحقير نحو ( أولئك حزب الشيطان ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون ) أو لازالة الابس الذي يوهمه مجيء الضمير نحو ( قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ) ، ( يظنون بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء ) ، ( فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه ) أو لقصد العموم نحو ( وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ) ، ( أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذابا ألما ) أو لاختصاص نحو ( وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ) في خطاب النبي ولم يقل لك مخافة أن يظن فيه التشريع العام أو لاختراع الجملة الثانية من حكم الأولى نحو ( فان يدأ الله يختم على قلبك ويحو الله الباطل ) أو لمراعاة الجنس نحو ( قل أعوذ برب الناس ملك

الناس اله الناس ) أو غير ذلك مما يتعلق بهذه الناحية

ومنها أن تأتي الزيادة مفسرة لما قبلها نحو « إن الانسان خلق هلوعا إذا  
 مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا » ، « الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا  
 نوم » ، « يسومونكم سوء العذاب يذبجون أبناءكم ويستحيون نساءكم »  
 ، « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » ، لا تتخذوا عدوى  
 وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة » ، « الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن  
 له كفوا أحد » . وشبيه بهذا أو هو منه الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد  
 الاجمال وكلاهما التمكن المعنى فى النفس إذ يأتي بعد تشويق اليه فالاول نحو  
 ( وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ) والثانى نحو ( إن  
 عدة الشهرور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض  
 منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين  
 كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين )

ومنها الاعتراض والتتميم والتكميل. وذلك أن يأتى بجملة أو أكثر معترضة  
 فى أثناء كلام أو بين كلامين متصلين لفائدة غير رفع الابهام نحو « لتدخلن  
 المسجد الحرام إن شاء الله آمنين » ، « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم  
 ما يشتهون » ، « وقيل بأرض ابلعى ماءك » إلى الظالمين وفيها ثلاث جمل  
 وهذا هو الاعتراض، وقد يأتى فى خلاله اعتراض آخر نحو ( فلا أقسم بمواقع  
 النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ) . فان كان المأتى به مفردا لاجلة ولفائدة  
 غير الابهام أيضا فهو التتميم نحو ( ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما  
 وأسيرا ) وكذا ( وآتى المال حبه ذوى القربى ) . أما إذا كان الغرض رفع

الابهام فانه يسمى التكميل كما يسمى الاحتراس أيضا جملة كان أم مفردا في ثنايا الكلام أم في غير ثناياه نحو «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين» ، «أشداء على الكفار رحماء بينهم» ، «تخرج بيضاء من غير سوء» ، «لا يطمئنتكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون» ، «فتصيبكم منهم معرفة بغير علم» ، «قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقون لكاذبون»

ومنها الایغال والتذليل. فالایغال أن يختم الكلام بزيادة يتم المعنى بدونها ولا تشتمل على معناه ولكنها لا تخلو من فائدة تزيده تأكيدا نحو «اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون» ، «ولا يسمع الصم الدعاء إذا ولو مدبرين» ، «ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون» ، «إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون» ، فان ختم الكلام بجملة تشتمل على معناه وتكون بمثابة حكم عام يؤيده فهو التذليل نحو ( ذلك جزيناكم بما كفرنا وهل يجازى إلا الكفور ) ، ( وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ) ، ( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أقالن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ) ، ( ويوم اقيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير )

ومنها الطرد والعكس وهو أن يوثى بالمعنى في تعبيرين يقرر منطوق أحدهما مفهوم الآخر والعكس نحو ( لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ) ونحو ( يأبى الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ) إلى قوله ( ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم )

ومنها التكرير وهو من محاسن الاطناب ويكون في جلته للتأكيد لأن الكلام كما يقولون إذا تكرر تقرر ثم هو في مفرداته للتنبية نحو ( يا قوم اتبعوني

أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ( وللتحويل نحو (الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة ) وللتجديد إذا طال الكلام تذكيرا به مثل ( ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ) ولتغير النسبة نحو « الله نور السموات والأرض مثل نوره » ويسمى الترديد ومنه ترديد قوله ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) في سورة الرحمن عقب كل نعمة ذكرها فيها ليخص كل نعمة بتذكير فعناها يعتبر متنوعا بتنوع كل نعمة ولذلك خص باسم الترديد لا التكرير ونحوها كثير، ومن التكرير أيضا تكرار الامثال نحو ( وما يستوى الاعشى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات ) وكذا تكرار القصص بأساليب مختلفة في مواطن متعددة على اختلاف بينها في عدد المرات لما عليه كل قصة من درجة في العظة والاعتبار .

هذا وقد يظن من المكرر ما ليس منه كقوله تعالى ( وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب، لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ) فان الكتاب الأول لما كتبوه بأيديهم مما هو مراد في قوله ( فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ) والثاني للتوراة والثالث لجنس الكتاب، ومنه سورة الكافرين فان قوله ( لا أعبد ما تعبدون ) معناه لا أعبد في المستقبل ما تعبدون في الحال وقوله ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) مثله وقوله ( ولا أنا عابد ما عبدتم ) أى عابد في الحال ما عبدتم في الماضي وقوله ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) تأكيد للثانية لأنه لم يكعبد الاصنام حتى يأتي بالماضي فالغرض نفي العبادة في الازمان الثلاثة .

هذا بعض ماورد من الاطناب في القرآن عن طريق الزيادة فهو المقابل لا يجاز الحذف ويسمى اطناب الزيادة. وهناك اطناب يقابل ايجاز القصر يسمى

إطناب البسط ويكون بتكثير الجمل واستقصاء عوارض المعنى ولوازمه بعد جوهره وعناصره كقوله تعالى « أيود أحدكم أن تكون لهجنة - إلى قوله - فاحترقت » وقد مضت في التشبيه وكقوله ( إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وانفلك تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » وأمناته في القرآن تجل عن الحصر

### ج - المساواه

لسنا في حاجة بعد الذي قدمنا عن ألوان المجاز والأطناب بنوعيهما في القرآن الكريم أن نكشف عما فيه من مساواة لأن كل ما عدا ما ذكرنا وأمثال ما ذكرنا هو المساواة. ومن أمثلته قوله تعالى « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » ولعل ما تكون فيه المساواه آيات التشريع والأحكام لأنها لا تتلاءم مع الإيجاز ولا يحسن فيها الأطناب

### ٩ - خروج الكلام عن مقتضى الظاهر

كان لنا أن نغفل أفراد هذا المبحث بعنوان لأنه داخل في كل ماضى من قول، فما من مبحث تقدم الاجاء فيه خروج عن مقتضى الظاهر لما تقرر فيه، ولكن اتفراده بأنواع لم تضمها تلك المباحث وحاجة ماضى إلى بعض استكمال جعلنا نضعه تحت هذا العنوان تحقيقاً لهذين الأمرين

كان أول كلام لما في بلاغه القرآن على الخبر من حيث تركه بدون تأكيد للخالى وتأكيده بمؤكد للمتعدد وبأكثر من مؤكد للمنكر ولكن من

الأخبار ما يؤكد والمخاطب غير منكر إذا لم يعمل بمقتضى إقراره، ومنها ما يترك  
توكيده من المنكر لأن معه من الأدلة الظاهرة ما لو تأمله لرجع عن إنكاره. فن  
الأول قوله تعالى « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » بالتأكيدي مع أنه لا إنكار للموت  
من أحد ولكن تمادى المخاطبين في الغفلة جعلهم بمثابة المنكرين ومن الثاني  
قوله « ذلك الكتاب لا ريب فيه » من غير تأكيدي لنفي الريب مع أن هناك  
منكرين لأن أممهم من الأدلة ما ليس الخبر معها في حاجة إلى تأكيدي، وقد مثلنا  
هناك لاشياء خرج فيها الخبر عن أصله وضعه من الفائدة أو لازمها مع بقاءه  
خبراً ومع تحوله إنشاء وأبنا الأغراض التي من أجلها كان هذا الخروج،  
وكذلك فعلنا بعده في الانشاء وأنواعه مما يعد تجاوزاً إرسالياً في التركيب .  
كما تقدمت في الجواز الإرسالى المفرد أمثلة أخرى كأقامة صيغة مقام غيرها وكالقلب  
والتغليب والتضمين وكذا في الاستعاري المركب مما جاء على سبيل ضرب  
المثل والتمثيل مما يعد كانه خروجاً عن مقتضى الظاهر ثم تتابعت في الفصول  
الثمانية التي أعقبت كلتي الخبر والانشاد أمثلة لهذا الخروج أيضاً مع ذكر الاسباب  
التي اقتضته ومن ثم ليس من داع لاعادة هذا المذكور وليكن كلامنا  
الآن مقصوراً على ما جاء غير مندرج في تلك الفصول وأهمه أسلوب الحكيم  
والالتمات

فأسلوب الحكيم هو العدول في الجواب عما يقتضيه السؤال زيادة أو نقصاً،  
فن الزيادة قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام « هي عصاي أتوكأ عليها  
وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى » إجابة للسؤال « وما تملك يمينك  
يا موسى » والداعي إلى هذا العدول الرغبة في إطالة المخاطبة مع الله سبحانه  
والتلذذ بها، وقوله (الله ينجيكم منها ومن كل كرب) في جواب (قل من ينجيكم من  
ظلمات البر والبحر) وداعيه تعميم التنجية من كل الشدائد إزاء قدرة الله،

وقوله على لسان قوم ابراهيم ( نعبد أصناما فننزل لها ما كفيين ) في جواب ( ماتعبدون ) اظهارا لابتهاجمهم بعبارتها وعكوفهم عليها . ومن النقص قوله تعالى ( قل ما يكون لى أن أبدله ) في جواب ( إيت بقرآن غير هذا أو بدله ) بترك الاجابة عن الاتيان إشارة إلى أنه محال وإلى أن من عجز عن التبديل كان عجزه عن الاختراع أبدى . وقد يعدل في الاجابة عن السؤال الملقى إلى سؤال آخر كان أولى منه باللقاء كقوله تعالى ( قل هي مواقيت للناس والحج ) في جواب ( يسألونك عن الاهلة ) لأن السؤال لم يك عن فائدتها بل عن حقيقتها . واختلاف صورها فعدل في الجواب عنه إلى حكمتها لأنها أنفع لهم وأولى بهم . ولذلك قال على سبيل التمثيل في خروجهم مما ينبغي إلى ما لا ينبغي عقب الاجابة ( وليس البربان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها ) على أحد وجهى التفسير وقد تقدم معه وجه آخر هو أن ذلك كان حقا لا تمثيلا إذ كانوا لا يدخلون البيوت إلا من خاف حين يحرمون وعليه لا يكون فى الآية خروج عن مقتضى الظاهر فلنمثل له بأجمع الآيات فيه وهى الخاصة بمحاورة موسى وفرعون من سورة الشعراء وقد سلفت فليرجع إليها . بل قد يعدل عن الاجابة أصلا إذا كانت قصد السائل مجرد التعنت لا الرغبة فى الاستفهام كقوله تعالى ( قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ) فى جواب ( ويسألونك عن الروح ) لأن السائلين كانوا اليهود وكان سؤالهم على سبيل التعجيز إذ ليس فى مقدور العقل الانسانى أن يحيط بكنه الروح، هذا على أن لفظ الروح نفسه مشترك بين روح الانسان وجبريل وعيسى والقرآن وغير هذه مما لو وقعت الاجابة على أحدها قالوا ليس لنا براد فاجمال الاجابة هكذا جاء مبكنا لهم رادا لكيدهم فى منحورهم ،



كما جاء اختتام الآية بهذه الفاصلة مفيدا أن عدم الاجابة انما هو لتقص استعدادهم  
عن فهمها ،

وعلى ذكر السؤال والجواب نذكر أمرين لا بأس من ذكرهما أحدهما أن  
القرآن كان من دأبه أن يعيد في الجواب نفس السؤال كقوله تعالى ( قالوا أأنك  
لأنت يوسف قال أنا يوسف ) وقوله ( أقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى  
قالوا أقررنا ) ، والثاني أنه كان يأتي بالجواب مطابقا للسؤال في الفعلية والاسمية  
كما في قوله ( وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ) إذ التقدير أنزل خيرا  
ولولا ذلك لما نصب خيرا

غير أنه قد يوجد ما يدعو إلى الخروج على هذين الأمرين فمن الأول  
قوله ( قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده )  
لأن الجواب في الحقيقة ليس جاريا على هذا السؤال بل على سؤال متوقع منهم  
حين استماعهم للسؤال في الآية هو قولهم مثلا فن يبدأ الخلق ثم يعيده فالخروج  
ظاهري ومثله في الأمر الثاني قوله تعالى ( قال من يحيى العظام وهي رميم قل  
يحييها الذي أنشأها أول مرة ) لأن الغرابة في المسند وهو الاحياء فناسب  
أن يصدر به الجواب ومثله ( ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن  
خلقهن العزيز العليم )

وقد يكون الخروج واجبا لا مستحسنا فحسب كقوله ( ماذا أنزل ربكم  
قالوا أساطير الأولين ) برفع أساطير خروجا على المطابقة لأنه لو طابق بنصبها  
لكانوا مقرين بالانزال وليس كذلك .

والالتيات بمعناه الخاص نقل الكلام من النكاح أو الخطاب أو الغيبة إلى  
غيره منها، فن التكلم إلى الخطاب قوله ( ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه  
ترجعون ) بدلا من أرجع وانما التفت لتحقيق التعريف كما تقدم في الكناية،

ومنه إلى الغيبة قوله ( إنا أعطيناك الكوثر فضل لربك وانحر ) بدلا من فصل  
لنا إشارة إلى فضل آخر غير الاعطاء هو فضل الربوبية، ومن الخطاب إلى الغيبة  
قوله ( حتى إذا كنتم في التلك وجرين ٣٣ ) بدلا من بكم اخراجا للقصة من  
أن تكون خطابا خاصا بهم إلى أن تكون حديثنا عنهم عظة لغيرهم، ومن الغيبة  
إلى التسكلم قوله ( الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه ) بدلا من فساقه  
اظهارا لنسبة الفعل إليه على سبيل التسكلم ليكون أدل على القدرة والعظمة، ومنها  
إلى الخطاب قوله ( إياك نعبد وإياك نستعين ) بدلا من اياه خروجا على الصفات  
المذكورة قبله إشارة إلى أن تلك الصفات من شأنها إذا وعاهها القارئ أن  
تشعره بالوقوف بين يدي الله موقفا يستدعي الخطاب له لا التحدث عنه ،  
أما من الخطاب إلى التسكلم فلم نظفر له بمثال في القرآن كما لم نجد في موسوعات  
البلاغة أى مثل له في باب الالتفات مع حرصها على جعل أمثله من القرآن  
ولذلك نقول إنه لم يرد به لما فيه من التكلف بتجريد الشخص من نفسه شخصيا  
يخاطبه ثم عودته إلى التحدث عنه بالتسكلم

ومما تقدم يتضح أن الاسم الظاهر من الغيبة لأنه مرجعها وعلى ذلك  
يكون من الالتفات وضعه موضع الضمير وقد تقدم مبسوط الأمثلة واضح  
الأغراض في أنواع الأطناب لأنه منه كما أن عكسه من الالتفات أيضا وقد  
تقدم كذلك في التعريف بالضمير حيث الكلام على مراجع ضمير الغيبة وفي  
القصر حيث الكلام على ضمير القصة والشأن مع ضمير القصر

أما الالتفات بمعناه العام فيشمل أسلوب الحكيم بل يشمل كل خروج عن  
مقتضى الظاهر لأن ترك الظاهر إلى غيره التفات ولهذا يدخل فيه ما ذكرناه وما  
أشرنا إليه وغيرها مما لم نذكره ولم نشر إليه كتجاهل العارف مثلا في قوله تعالى

على لسان نبيه لمن يستميلهم الى جدله ( وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال  
مبين ) إذ لاشك عنده فى هدايه وضلالهم ولكنه خرج على هذه الحقيفة للاستدراج

١٠ - الدقة فى استعمال الالفاظ والتراكيب

### من حيث المناسبة للمعاني

لقد وضحت هذه الدقة بالقرآن الكريم فى المفردات من حروف وأفعال  
وأسماء كما وضحت فى التراكيب من أخبار ومنشآت اذ جاءت لكل قسم بأنواعه  
فى آيه شديدة المناسبة كثيرة الأمثال .

#### ١ - فى المفردات

من دقة القرآن فى استعمال الحروف مخالفته بين (فى) و(على) من ذلك قوله تعالى  
( وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ) إذ اختار على للهدى لأن صاحب  
الحق مستعمل لمزيد قوته واختار «فى» للضلال لأن الضال لنفسه وضعفه كأنه  
منغمس فى حيرته مترد فى هوته ولذلك قال فى آية أخرى ( تالله انك لى  
ضاللك القديم ) ومن أدق ما يلاحظ فى استعمال (على) أن العلو فيها قد يكون فى  
حال الضلال كما يكون فى حال الهداية ولكن على شرط أن يكون مضعفا  
لا مقويا كما فى قوله ( أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على  
صراط مستقيم ) لأن من ركب وجهه يزداد ضلالا كمن يركب رأسه فهو  
لا يبصر وإذن لا يعقل ولذلك أتى فى الآية بكلمة مكب لتزيد الاضعاف بيانا.  
ولم تعدم «فى» أن يكون لها استعمال مناظر لهذا الاستعمال فى «على» من  
حيث المعاكسة للاصل الذى قررناه لها كما فى قوله ( ولقد كررنا بنى آدم وحملناهم

في البر والبحر) فالظاهر كان أن يقال على البر والبحر ولكن لما كانت الآية للمنة وكان الحمل أظهر لها في مضاف الهلاك كانت «في» أدل على ذلك من «على» فأتى بها وهذا على أن الحمل الحق ليس على البر والبحر بل على حاملات فيهما كالأبل في البر والسفن في البحر. وانظر مخالفته بين «في» و«اللام» في الدخول على مستحقي الزكاة من الآية (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل) كيف أدخل على الأربعة الأوائل اللام وخلف بخص الأربعة الآخرين بنى ليشرح بتلك المخالفة أن الاستحقاق في هؤلاء أقوى وهم بالزكاة أولى لأنها معهم لنفع عام في حين لا تعدو مع الأولين النفع الخاص، وهنا دقيقة أخرى هي أنه كرر في ثانية تكريرا قرن بين الرقاب والغارمين كما قرن بين سبيل الله وابن السبيل زيادة في التوصية وجمعا بين النظائر ثم اللام على ضعفها عن في لم تكرر.

ومنها قوله تعالى (الذين هم عن صلاتهم ساهون) بمن بدلا من في وهي رحمة كبيرة بنا لأنه لا يخلو مصل فينا من سهو في صلاته فلو قال «في» لما بقي لمصل صلاة ولحق عليه العقاب المذكور في هذه الآية فالحيدة عن في إلى عن قصرت هذا العقاب على تارك الصلاة دون الساهين فيها ومن هنا تفهم الحكمة في قول ابن عباس رضى الله عنهما «الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم».

ومنها قوله (فألبسوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظرأيها أزكى طعاما فليأتمكم بوزق منه وليتلطف ولا يشعرون بكم أحدا) إذ حول العطف من الفاء إلى الواو في قوله وليتلطف لا تقطاع الترتيب ومن دقته في الأسماء العدول عن صيغة إلى غيرها لحاجة المعنى إلى هذا العدول كقوله تعالى (الحى القيوم) ، (علام الغيوب) ، (إن الله يحب التوابين

منكم ويجب المتطهرين ) ، ( عزيز حكيم ) إلى غير ذلك وهو كثير جدا وليس في حاجة الى مزيد استشهاد

ومنها السبيل للخير والطريق للشر كقوله ( قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ) وقوله ( الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا ) فاذا استعمل الطريق في الخير قرنه بما يفهم ذلك كقوله ( يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ) واذا استعمل السبيل للشر لا يكون الا على سبيل التناظر كقوله ( ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) وهنا دقيقة خارجة هي أفراد سبيل الحق وجمع سبل الباطل لان الحق واحد والباطل متعدد

ومنها السنة للشدة والجذب والعام للرخاء والخصب قال تعالى ( واقدأخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ) وقال ( ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون )

ومن دقته في الافعال التفرقة بين الماضي والمضارع في بناء الجمل وبين كليهما نفسه مجردا من الادوات التي تدخل عليه أو متلبسا بها وقد تقدمت لهذا أمثلة في الكلام على فعلية الجمل واسميتها، على أن هناك أفعالا ناقصة أو جامدة ذات استعمال دقيق لاختلافها باختلاف التراكيب .

ومنها في الفعل وحدثه التفرقة بين المترادفين وتخصيص كل واحد منهما بموضوع دون نظيره كالخشية والخوف فقد خصت الخشية بالخوف الشديد الذي ينشأ من عظمة الخوف وجعل الخوف للناشئ من ضعف الخائف ولذلك يعبر عن الخوف من الله بالخشية كما قال سبحانه ( يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ) وهو شاهد للثنين، وإذا استعمل الخوف مع الله مكانها تجدد في التركيب ما يكمل فيه هذا النقص كقوله ( يخافون ربهم من فوقهم ) . ومن هذه المترادفات فيه البخل والشح والناثي أشد قال تعالى ( الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله )

وقال ( ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) ومنها جاء وأتى فالاول  
 فى الذوات والثانى فى الاحداث والازمان قال تعالى ( ولمن جاء به حمل بعير ) ،  
 ( وجاءوا على قميصه بدم كذب ) ، ( وجيء يومئذ بجهنم يومئذ ) وقال  
 ( أتى أمر الله ) ، ( أتاهما أمرنا ) ومنها مد فى المسكروه وأمد فى الخير قال  
 ( وعند له من العذاب مدا ) وقال ( وأمددناهم بقا كفة ) ومنها سقى لما لا كلفة  
 فيه وأسقى لما فيه كلفه ولذا خصت الاولى بشراب الجنة والثانية بشراب  
 الدنيا قال ( وسقاهم ربهم شرابا طهورا ) وقال ( وأن لو استقاموا على الطريقة  
 لأسقيهم ماء غديا ) ومنها حمل لما فيه امتداد وفعل لما فيه سرعة نحو ( يعملون  
 له ما يشاء ) ونحو ( كيف فعل ربك بعاد ) ومنها القعود والجلوس الاول لما فيه  
 لبث والثانى بخلافه قال ( مقعد صدق ) وقال ( تفسحوا فى المجالس ) ومنها  
 التمام لازالة نقص فى الاصل والكمال لازالة نقص فى العوارض وقد اجتمعوا  
 فى قوله ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ) ومنها الاعطاء  
 والاياء والثانى أقوى من الاول إذ فعله ليس له مطاوع بخلاف الاول فانه  
 ضعيف وفعله مطاوع قال تعالى ( تؤتى الملك من تشاء ) وقال ( وسوف  
 يعطيك ربك فترضى ) ولذلك خص الاياء بالزكاة والاعطاء بالصدقة لوجوب  
 الاولى دون الثانية قال تعالى ( وآتوا الزكاة ) وقال ( فأما من أعطى واتقى )  
 هذا وإحصاء الدقة فى الحروف والأفعال والأسماء فوق المجهود لأن  
 لكل حرف ولكل اسم ولكل فعل مواضع يختلف باختلافها تداوله ويتعدد  
 بمناسبة استعماله وهى مفصلة المعانى موضحة الاستعمال فى كتب العربية ثم  
 هى موفورة الشواهد بينة الدقة فى القرآن

## ب - في الترا كيب

لايتمتع كل ماتقدم من آيات أن يكون فوق التمثيل به في مواضعه الخاصة  
 أمثلة هنا من ناحية الدقة في تكوين الترا كيب ولكن الذي يريد أن ننبه عليه  
 الآن إنما هو مجيء التركيب جزلا حيث يكون المعنى جزلا، وعذبا حيث يكون  
 المعنى عذبا . فمن مواطن الأول مقامات القرع بالأمر والنواهي والتذكير  
 بالمعاد والقيامة وضرب المثلات للعظة بمن خالف وعصى . ومن مواطن الثاني  
 مقامات الملاحظة والاستعطاف والترغيب والتبشير إلى غير ذلك

وهذه بعض آيات من النوعين

قال تعالى في موطن الجزالة ( وتنفخ في الصور فصعق من في السموات  
 ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون  
 وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى  
 بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما كسبت وهو أعلم بما يفعلون )  
 وقال ( ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا  
 وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن  
 نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون  
 يا وياتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا من عملوا  
 حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ) وقال ( ففتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا  
 فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم ميالون ) وقال ( فاذا انسلخ الأشهر  
 الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل  
 مرصد ) ونحو هذا كثير . ومن السور الجزلة الشديدة الوقع سورة الهمب .  
 وقال مما هو عذب ( وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع  
 إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ) وقال ( إن الذين قالوا

ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) وقال (إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) وقال (ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب أنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعاثك رب شقيا وإني خفت الموالى من ورأى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا). ومن السور التي تذوب رقة وسلا لسورتا الضحى والشرح وهما متعاقبتان وفي موضوع واحد

### ١١ - تنوع القسم في القرآن وحكمته

الغرض من القسم تحقيق الخبر وتوكيده وقد كان الظاهر ألا تكون بالقرآن أقسام لأنه لا حاجة لهذا التوكيد من قبل الله ولكن لما نزل بلغة العرب وكان من عاداتها التوكيد بالقسم لما تقدم جرى على عرفها لتأكيد الحججة وكما لها ثم لما كان الحكم يفصل عندها بالشهادة أو القسم خاطبها بالذوعين حتى لا تكون لها بعد حجة فقال عن طريق الاثبات بالشهادة «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم» وقال عن طريق القسم (وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) وقد روى أن بعض الأعراب حين سمع هذا القسم صرخ وقال من ذا الذي أغضب الجليل حتى أجهأ إلى اليمين وهذا يدل على مبلغ تأثير القسم في نفوس السامعين. والقسم في الآية مما أقسم الله سبحانه وتعالى فيه بنفسه وهو لم يقسم بها في القرآن إلا في سبع آيات هذه أحداها.



والست الباقيات هن ( ويستنبئوك أحق هو قل إي وربى إنه لحق ) ، ( قل اى وربى لتبعثن ) ، ( فوربك لنحشرنهم والشیاطین ) ، ( فوربك لنسألنهم أجمعین عما كانوا يعملون ) ، ( فلا وربك لا يؤمنون ) ، ( فلا أقسم برب المشارق والمغرب ) وكلها بلفظ الرب

والأصل فى القسم ألا يكون إلا بما يعظمه المقسم ويحمله مما هو فوقه ولكن لما لم يك فوق الله جل وعلا شئ لم يجد أمامه إلا أن يقسم بنفسه كما تقدم أو بكل ما هو عظیم فى ذاته بقصد الأمانة عن فضله أو لفت النظر إلى باريه ومن ثم أقسم برسوله صلى الله عليه وسلم ليعرف الناس قيمته عنده ومكانته لديه ولم يقسم بأحد غيره قال ابن عباس ( ما خلق الله ولا ذراً ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال ( لعمر كئ إنهم لفي سكرتهم يعمهون ) ثم أقسم بمصنوعاته لأنها تدل على عظمته وقدرته كالشمس والقمر والنهار والليل والسماء والأرض وغيرها كالنفس التي سواها، وهو حين يقسم بهذه الأشياء وأمثالها يلفت النظر غالباً إلى وجه العظمة فيها قال ( والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ) . على أنه سبحانه قد يتجاوز فيما يقسم به هذه الأشياء العظيمة إلى غيرها مما هو ذو منفعة أو فضيلة وقد اجتمع فى قوله ( والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ) أو مما هو زمن يتضمن أفعالا معظمة كالأية ( والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل فى ذلك قسم لئدى حجر ) فإنها تشير إلى كثير من المناسك والشعائر التي هي تعبديّة محضة يتجسم فيها ذل العبد وخشوعه أمام ربه، ومن هنا ندرك أن الله لم يقسم بهذه الأشياء من مصنوعات

وغيرها لذاتها بل لما تستلزمه من تعظيمه والاقرار بقدرته لأن ذكر المخلوق يستلزم ذكر الخالق ولهذا قال كثير إن القسم بهذه الأشياء على تقدير مضاف هو كلمة رب فاذا قال (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) كان معناه ورب الليل في غشيته والنهار في جلوته وبذلك يسقط قول من قال كيف أقسم الله بالخالق وقد ورد النهى عن القسم بغيره وهذا فضلا على ما في النهى من تقييده بأنه بالنسبة إلينا لا إليه سبحانه إذ له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لأنها الدلائل البينة على عظيم آياته .

ذاك بعض ما يقال عن المقسم به في القرآن الكريم أما المقسم عليه فعليه راجع إلى أصول الايمان التي يجب على الخلق معرفتها كالتوحيد والقرآن والرسول واليوم الآخر نحو (والصافات صفا فالأجرات زجرا فالناليات ذكرا إن إلهكم لو احد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) ، (فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يحسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين) ، (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى) ، (والذاريات ذروا فالحماملات وقرأ فالجاريات يسرا فالقسيمات أمرا إن ماتن وعدون لصادق وإن الدين لواقع) والدين هنا الجزاء الذي يقع في ذلك اليوم الصادق وهو يوم القيامة. وكثيرا ما أقسم القرآن على أحوال الانسان قال (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خاق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى) وقال (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد) وقال (والعاديات ضبجا فالمرورات قدحا فالمغيرات صبجا فأثرن به تقعا فوسطن به جمعا إن الانسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير الشديد). وقد يتكرر الشيء الواحد مقسما عليه وبه في آن واحد ومن أجمع الآيات

لذلك قوله تعالى ( يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم  
 تنزيل العزيز الرحيم ) ففيها الرسول والقرآن مقسما بهما وعليهما ، كما قد يكون  
 الشيء مقسما به ومقسما عليه فيكتفى بذكره مقسما به إذا كان فيه دلالة على المقسم  
 عليه كقوله تعالى ( ص والقرآن ذي الذكر ) فالمقسم عليه محذوف تقديره إنه  
 لحق مثلا اعتمادا على قوله في المقسم به ذى الذكر لأن ما كان ذا ذكر فهو حق  
 أو العكس كقوله ( لا أقسم بيوم القيامة ) بمحذف المقسم عليه وهو مثل ما ذكرنا مع  
 القرآن اتسكالا على لفظ القيامة في المقسم به لأنه يشعر بقيامه

ومما هو من دقائق القسم في القرآن أن يأتي المقسم به شديد المطابقة  
 للمقسم عليه ومن ذلك قوله ( والضحى والليل إذاسجى ماودعك ربك وماقلا )  
 فان هذه الآية نزلت إذ احتبس الوحي عنه صلى الله عليه وسلم وقال أعداؤه  
 لقد ودع محمدا ربه وقد اختارت الضحى التي توافى بعد ظلام الليل كي تناظر  
 للوحي الذي يأتي بعد احتباس .

هذا وقد يأتي القسم بصيغ غير الاصطلاحية التي هي الباء مع الفعل أو  
 الواو النائبة عنها بدونها كما تقدم أو التاء مع لفظ الجلالة خاصة نحو « وتالله لا يكذب  
 أصنامكم » فيكون على نوعين نوع مضمرة تدل عليه اللام في الجواب كقوله  
 تعالى ( لتبطلون في أموالكم وأفساكم ) ونوع يجرى مجرى الأخبار بدون  
 جواب كقوله ( وقد أخذ الله ميثاقكم إن كنتم مؤمنين ) أو مع جواب كقوله  
 ( وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ) .

## ١٢ - الجدل في القرآن

لقد جاء القرآن الكريم مليئاً بالجدل المشتمل على أنواع الأدلة والبراهين  
 ذات النتائج الصحيحة المبينة على المعلومات العقلية والسمعية مع بعده عن طرائق

المتكلمين ذات الغموض الذي لا يفهمه إلا الأقلون فوقعت حججه في صورة واضحة يفهم العوام من جليها ما يقنعهم ويدرك الخواص من دقائقها ما يفهمهم وما كان له في جدله سوى هذه السبيل جريا على عادة العرب في تبسطها وتحقيقا لميثاق الله سبحانه في قوله ( وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قرمه لبيد لهم ) .  
ومع تبسط القرآن في جدله لما تقدم تحققت في آيه معظم أنواع القسم .

١ - نجاء فيه القول بالموجب وهو رد كلام الخصم من خوى كلامه بأن تقع في كلامه صفة الشيء كناية عن إثبات حكم له فتأخذ أنت تلك الصفة مسلما بها ولكن على أن تثبت ذلك الحكم لغير هذا الشيء ، أو بأن ترد فيه لفظة يريد ناحية معينة من نواحيها فتريبدأ أنت ناحية أخرى لها فهو نوطان مثال أولها قوله تعالى عن المنافقين ( يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ) فهم أثبتوا أن الأخر اج للعز يز يرفعه على الدليل وأنهم لذلك سيخرجون المؤمنين والآية ساءت لهم بصحة هذه القضية في ذاتها ولكنها أثبتت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ليفهموا أنهم لذلك سيكونون الخارجين . ومثال الثاني قوله تعالى عنهم أيضا ( ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم ) يريدون أنه صلى الله عليه وسلم سماع لكل شيء مصدق لكل قول ولكن الآية لم تترك الأذن مطابقة كما ذكروها بل نسبتها إلى الخير لينتفى ما يريدون ولهذا كان تمام الآية ( يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم ) أي أنه يصدق بالله ويسلم للمؤمنين لالكم لعدم تسديقه إياكم ثم هو مع ذلك رحمة للذين أظهروا الايمان منكم حيث قبلهم ولم يكشف حقيقتهم ، والحوار في تمام الآية والآيات قبلها وبعدها متناه في الدقة . فمرط في الطول فليرجع اليه من سورة التوبة .

٢ - وجاءت فيه مجازاة الخصم بأن تسلّم له ببعض مقدماته إشارة إلى أنها لا تنتج ما يريد وأنها تساعد على ما تريد أنت كقوله تعالى ( قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين، قالت لهم رسالهم إن نحن إلا بشر مثلكم ) فقد ساءت لهم الرسل بالبشرية لأنها لا تنتج عدم الرسالة بل هي على العكس شرط فيها لأن من أنكرها على نبي أنكر رسالته لأن الله لم يرسل رسوله إلا من البشر ولذلك قال ( ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون \* ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ) إجابة لهم حيث قالوا ( لولا أنزل عليه ملك ) لأنه لا مفر من أن يكون الرسول بشرا .

٣ - وجاء فيه الاسجال وهو أن تثبت على لسان خصمك ألفاظا في سياق آخر تسجل عليه ما كان عنده محل شبهة وإنكار كقوله تعالى ( ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعد ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون ) وانظر التفاتة إلى المضارع في قوله ( يصدون ) وما فيه من توجيه أنظارهم إلى أن يقلعوا عما هم فيه من باطل إلى ما هو حق .

٤ - وجاء فيه التسليم وهو أن تفرض لخصمك ما يقوله من المحال حقا ثم تربه أن ذلك على فرضه لا ينتج إلا محالا يحقط هذا الفرض وهو إمام مشروط بحرف امتناع ليكون ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه كقوله تعالى ( لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا ) وإما منفي نفيًا صريحًا كقوله ( ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ) .

٥ - وجاءت فيه المناقضة وهي تعليق ما تريد نفيه على مستحيل حتى

يكون مستحيلاً مثله كقوله تعالى ( إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط )

٦ - وجاء فيه الانتقال وهو أن تنتقل بالخصم الى استدلال غير الذى كنت معه فيه لعدم فهمه وجه الدلالة منه كقوله تعالى ( ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربى الذى يحبى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى انقوم الظالمين ) فانه حين سمع قول ابراهيم ربى الذى يحى ويميت قال أنا أحيى وأميت ودعا بشخص مقضى عليه بالقتل فعفاه عنه وبآخر برىء فقتله فعلم ابراهيم أنه لم يفهم حقيقة الاحياء والأمانة أو علمها وظالط بهذا الذى عمل فانتقل منها الى استدلال آخر لا سبيل له فيه الى انكار ولا مغالطة هو أن الله يأتى بالشمس من المشرق فليأت بها هو من المغرب فبهت ولم يجد من السكوت محيصاً .

٧ - وجاء فيه نوع غير ما تقدم دقيق هو التقسيم والسبر وذلك أن تقسم ماهو محل جدل إلى منتهى أقسامه وتسبر كل قسم بما ينفي عنه ما يريد الخصم كقوله تعالى يرد على المشركين تحريمهم ذكور الانعام تارة وإنائها أخرى لأسباب معروفة عنهم يزعمونها (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلكرين حرم أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين ، ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلكرين حرم أم الانثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) فهذه الآية تنفى إرجاع التحريم الى أى سبب فلا هو راجع الى الذكورة ولا الى الأنوثة ولا إليهما معاً لانهم أدالوا التحريم بينهما ولا هو راجع الى أخذ عن الله تعالى لأنه إما بواسطة عن وحى وإرسال رسول وإما بغيرها عن

مشاهدة واستماع كلام والاول باطل لانهم لم يأتهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم وإلا فلينبئوا بعلم عنه إن كانوا صادقين . والثاني كذلك لانهم لم يدعوا أنهم كانوا شهداء إذ وصاهم الله بهذا ، فالآية اشتملت على الاقسام الممكنة ونقت إرجاع الأسباب اليها .

هذا ومما عني القرآن الكريم بالجدل فيه نوحان : التوحيد وما يتعلق به ، والبعث وما يتعلق به . فأما الاول فقد تقدم عنه وعن الشرك ونحوه مما هو ذو صلة بهما كثير من أمثلة الجدل في مواطن كثيرة أخصها التشبيه ، وقد تقدم له هنا مثال آخر من نوع التسايم . وأما البعث فلم تقل عناية القرآن به عن عنيته بالتوحيد وذلك لانه الركن الذي تبنى عليه الحياة الثانية . ومن أجم الآيات في الجدل عنه قوله تعالى ( يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وتري الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ) . فقد استدلل الله بها على البعث من طريقين أولهما خلق الناس ابتداء لأن من قدر على الابتداء كان على الاعادة أقدر ولذلك قال ( وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ) وقال ( أفبعينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد ) وقال ( كما بدأنا أول خلق نعيده ) وقال ( كما بدأكم تعودون ) . وروى أن أبي بن خلف جاء بمطعم ففته ثم قال أيحيى الله هذا بعد ما بلى ورم فنزلت الآية ( أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه

قال من يحيى العظام وهى رميم ، قال يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون، أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ، انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ) وثانيهما إحياء الأرض بعد موتها لأن من يوجد الأرض بعد العدم ثم لا يزال يحييها بالخصب ويميتها بالمحل كما هو مشاهد محسوس- لأن ذلك فيه أظهر منه فى خلق الناس- قدبر على أن يعيد هذا الخلق بالبعث ، ولذلك جعل هذا فى كثير من آيه مقدمة لبيان ذلك قال تعالى ( والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحييناه به الأرض بعد موتها كذلك النشور ) وقال ( وهو الذى يرسل الرياح بشرا مبين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه إلى بلد ميت فأنزّلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ) .

هذا ومن الآيات السابقة فى إفحام أبى بن خاف ترى أن الله قد ذكر فى الاستدلال على البعث طريقتين آخرين أحدها إخراج النار من الشجر الأخضر وهو غاية فى البيان من حيث رد الشيء إلى نظيره والجمع بينهما لما فيهما من تبدل الاعراض عليهما كما قال فى آية أخرى ( أفرايم النار التى تورون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ، نحن جعلناها تذكرة ومتابا للمعتوين ) والآخر قياس الأعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى فان خلقتهما أعظم وأجل كما قال فى آية أخرى ( خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) . وهناك طريق خامس للاستدلال على البعث يسوقه الله سبحانه وتعالى فى أمثال قوله ( وأقسموا بالله جهد



أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا » ولكن أ كثر الناس لا يعلمون « ، ليبين لهم الذى يختلفون فيه ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ، إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ) وذلك هو ضرورة أن يركب سبحانه وتعالى الاسم تركيباً آخر يتحقق معه هذا البيان المعلن به البعث فى الآية لأن اختلافهم فى أمره مركز فى فطرتهم تركيزاً لا يمكن ارتفاعه عنهم جميعاً إلا بإزالة هذه الجبلية وإعادة الخلق على صورة أخرى تكون فى حياة ثانية يرتفع فيها هذا الخلاف وتلك الحياة الثانية لا تكون إلا عن بعث ، فالخلاف القائم على البعث دليل على ضرورته حتى يتبين للناس الذى يختلفون فيه ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين .

### ١٣ - بدائع القرآن

لسنا نقصد من كلمة بدائع معناها على إطلاقه إنما نقصد وقد ذكرنا ما ذكرنا عن فصاحة القرآن وبلاغته مما هو ذو علاقة بعلمى البيان والمعانى معناها الخاص فى علم البديع وهو المحسنات لفظية ومعنوية حتى نودع تحت كليهما طرفاً فنكون قد وفينا القرآن بعض حقه من علوم البلاغة الثلاثة ، على أناسنا عن إعادة ما قد مر آنفاً لمناسبات من محسنات معنوية مع البلاغة وهى الاكتفاء والاحتباك فى الإيجاز ، والترقى والتدلى بالتقديم والتأخير ، والتفسير والإيضاح بعد الإبهام ، والتفصيل بعد الإجمال ، والاعتراض والتميم والتكميل والاحتراس والإيغال والتذليل والطرده مع العكس والتكرير والترديد فى الأطناب ، وأسلوب الحكيم والالتفات وتجاهل العارف فى الخروج عن مقتضى الظاهر ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ومع اللفظ حيث الكلام على الدقة ، ثم القول بالموجب ومجارات الخصم والأسجال والتسليم والمناقضة والانتقال والسير مع التقسيم فى الجدل

وكذلك سنترك ما مر من محسنات لفظية بالفصاحة ومهداتها وهي حسن  
الابتداء وعسن التخلص وحسن الانتهاء. أما ماجاءت أمثلته في الفاصلة كرد  
العجز على الصدر والموازنة والمماثلة والتطريف والتوازي والترصيع ولزوم مالا  
يلزم فانا سنعيد ذكره مع السجع حيث لم نذكر ألقابه هناك، وعلى ذلك لم يبق  
من المحسنات اللفظية الهامة بعد السجع سوى الجناس وهما ما سنقصر  
القول عليهما

### ١ - المحسنات اللفظية

منها السجع وقد ورد في القرآن الكريم قصير الفواصل ومتوسطها وطويها  
فن القصير ( يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ) وأقصر  
منه ( يا أيها المدثر قم فأندر وربك فسكب وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمن  
تستكثر ولربك فاصبر ) ومن الطويل ( ولئن أذقنا الانسان منارحة ثم نزعناها  
منه إنه ليؤمن كفور ، ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات  
عني إنه لفرح نفور ) وأطول منه ( إذ يريكم الله في منامك قليلا ولو أراكم  
كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور ، إذ  
يرىكم وهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمرًا كان مفعولا وإلى  
الله ترجع الأمور ) ومن المتوسط ( اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا  
آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ) ، ( وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم  
شيئا إذا ) وأحسن السجع ما تساوت فيه الفاصلتان في عدد الكلمات ثم اتفاوتتا  
فيه تفاوتًا قليلا ثم ما كان التفاوت فيه متوسطا على أن يكون الطول في الثانية،  
أما التفاوت المتوسط مع كون الطول في الأولى والتفاوت الكثير مطلقا فليس

بمحمود ولذلك لم يرد من هذه الأنواع الثلاثة الأخيرة شيء في القرآن .  
 هذا وقد ذكرنا ونحن نتكلم على اتفواصل أن منها ما تنفق فيه انفاصلتان وزنا  
 لا تقفية مع عدم تمام المقابلة بين السكبات نحو ( يوم يكون الناس كالقراش  
 المبعوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش ) أو مع تمامها نحو ( وآتيناها الكتاب  
 المستبين وهديناها الصراط المستقيم ) وهذه هي الموازنة ويختص الثاني منها  
 باسم المائلة ، وأن منها ما تنفقان فيه تقفية لا وزنا مع عدم تمام المقابلة نحو  
 ( الإجميا وغساقا جزاء وفاقا ) أو مع تمامها نحو ( والليل إذا سعسع والصبح إذا  
 تنفس ) وهذا هو التطريف ، وأن منها ما تنفقان فيه وزنا وتقفية مع عدم تمام  
 المقابلة نحو ( فيها مرر مرفوعة وأكواب موضوعة ) أو مع تمامها نحو ( إن  
 الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ) والأول هو التوازي والثاني هو  
 الترصيع كما ذكرنا عنك أمثلة أخرى يلزم فيها حرف أو حرفان أو ثلاثة قبل  
 حرف السجع وهذا يسمى لزوم مالا يلزم . وكما ذكرنا فيها أيضاً أن بعض  
 التمهيد لها يكون راجعاً إلى أول كلمة في الآية وهذا يسمى رد العجز على  
 الصدر .

ومنه الجناس وهو التشابه في اللفظ وقد يصل إلى درجة الاتحاد فتكون  
 الكلمتان من المشترك كقوله ( يكاد سنا برفه يذهب بالأبصار ، يقرب الله  
 الليل والنهار إذ في ذلك لعبرة لأول الأبصار ) وهذا هو الجناس التام وهو  
 قليل . وغير التام هو الكثير وله صور متعددة تختلف باختلافها الأسماء ،  
 فمنه الحرف الذي لا يختلف إلا في الحركات نحو ( ولقد أرسلنا فيهم منذرين  
 فانظر كيف كان عاقبة المنذرين » ومنه الناقص أو المذيل وهو ما جاء الاختلاف  
 فيه مع اتفاق الحركات أو اختلافها بنقص أو زيادة في بعض الحروف نحو  
 « والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق » ، « ولسكننا كنا مرسلين »

« إن ربهم بهم » ، « وانظر إني الهك » وهذا الذي جاءت زيادته في الآخر يسمى المتوج، ومنه المصحف وهو المختلف في النقط نحو ( والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين ) والمضارع وهو ما كان اختلافه في حرفين متقاربي المخرج نحو ( وهم ينهون عنه وينأون عنه ) فإن لم يكونا متقاربي المخرج وكانا مع ذلك غير متشابهي الخط فهذا هو اللاحق نحو ( ويل لكل همزة لمزة ) ، ( وانه على ذلك شهيد وانه لحب الخير لشديد ) ، ( ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ) فاذا لم يتقاربا مخرجا ولكنهما تشابها كتابة فانه يسمى اللفظي كقوله ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ) لما بين الصاد والظاء من التشابه الكتابي. وهناك أنواع أخرى للجناس منها التجنيس القلبي وهو المختلف في ترتيب الحروف نحو ( فرقت بين بني إسرائيل ) والاشتقاق وهو المتحد في أصل المأخذ نحو ( فروح وريحان ) ، ( فأقم وجهك للدين القيم ) ، ( إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا ) والاطلاق وهو ما جاء لمطلق التشابه نحو ( وجني الجنتين دان ) ، ( ليريه كيف يواري سوءة أخيه ) ، ( وإن يردك بخير فلا راد لفضله ) ، ( قال إني لعملكم من القالين ) وقد يتكون الجناس من كلمة وبعض أخرى كقوله تعالى ( على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ) فالكلمة هار والجزء الفاء من جرف .

هذا ومع ما للجناس من حلية لفظية كان القرآن يتركه إذا كان في عدمه قوة للمعنى وذلك كقوله ( وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ) وقوله ( أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ) فانه لم يقل بمصدق ولا وتدعون مع ما فيهما من تحقيق الجناس لأن في مؤمن وتذر من قوة المعنى ما ليس في مصدق وتدع .

## ب - المحسنات المعنوية

١ - منها التورية وتسمى الأيهاام وهي أن يذكر لفظه معنيان قريب وبعيد على أن يورى عن الثانى بالأول الذى يتوهمه السامع لأول وهلة مثل « قالوا إنك لنى ضلالك القديم » اذ الضلال يحتمل الحب وهو بعيد وعدم الهداية وهو قريب وقد ورى به عن الحب، ونحو (والنجم والشجر يسجدان) فان النجم يطلق على الكوكب وهو قريب وعلى ما لاساق له من النبات وهو البعيد المراد به والتورية ذات عون على تأويل المتشابهات ولذلك قال الزمخشري « لا ترى بابا فى البيان أدق ولا ألفت من التورية ولا أنعم ولا أعون على تعاطى تأويل المتشابهات فى كلام الله ورسوله منها - ثم قال - ومن أمثاتها ( الرحمن على العرش استوى ) فان الاستواء على معنيين، الاستقرار فى المكنن وهو القريب المورى به الذى هو غير مقصود لتزييه تعالى عنه والثانى الاستيلاء والمالك وهو البعيد المقصود الذى ورى عنه بالقريب المذكور » هذا وللتورية ترشيح بذكر ما يلائم البعيد وتجريد بذكر ما يلائم القريب وإطلاق بدونهما أو بهما على التساوى كما هى الحال فى الاستعارة

٢ - ومنها الاستخدام وهو أن يؤتى بلفظ له معنيان يراد به أحدهما ثم يؤتى بضميره مرادا به الثانى كقوله تعالى ( ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة فى قوار مكين ) إذ المراد بالانسان آدم وبالضمير فى جعلناه نسله وكقوله ( أتى أمر الله فلا تستعجلوه ) فان المراد بالامر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وبالضمير فى تستعجلوه قيام الساعة. أو هو الاتيان بانفـظ مشترك بين معنيين ثم بلفظين معه يراد من أحدهما أحد المعنيين ومن الثانى المعنى الآخر كقوله تعالى ( لكل أجل كتاب يحجو الله ما يشاء وينبت ) فان

الكتاب يحتمل الأمد المحتوم والكتاب المكتوب ثم إن لفظ الأجل  
للاول ولفظ يحو للثاني . وللاستخدام مكانة في البيان لا تقل عن مكانة التورية  
ان لم تفضلها .

٣- ومنها المشاكلة وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته لفظاً أو  
تقديراً، فالاول كقوله تعالى ( تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ) وقوله  
( ومكروا ومكر الله ) ، ( وجزاء سيئة سيئة مثلها ) ، ( فمن اعتدى عليكم  
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ) ، ( فاليوم نفساكم كما نسيتم لقاء يومكم  
هذا ) ، ( ويسخرون منهم سخر الله منهم ) ، ( انا نحن مستهزون الله يستهزيء  
بهم ) وهذا كثير جدا والثاني كقوله ( صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة )  
يريدون تطهير الله بالايان مشاكلة لمعمودية النصارى التي يغمسون فيها  
الاولاد . وهي وان لم تذكر هنا لفظاً ملحوظة تقديراً . وللمشاكلة دخل في  
التأويل كالتورية والاستخدام

٤،٥،٦ ومنها المطابقة والمقابلة ومراعاة النظر . فالمطابقة هي الجمع بين متضادين  
في الجملة لفظاً أو معنى حقيقة أو مجازاً إيجاباً أو سلباً كقوله ( وأنه هو أضحك  
وأبكى وأنه هو أمات وأحيا ) ، ( لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما  
آتاكم ) ، ( وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ) وهذه للتحقيق والايجابى واللفظى ، ومن  
المجازى قوله ( أو من كان ميتاً فأحييناه ) أى ضالا فهديناه ومن الملبى  
( تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ) ، ( فلا تخشوا الناس واخشوني ) ومن  
المعنوى ( إن أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ) أى إنا  
لصادقون ، ( الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء ) لأن في البناء رفعة  
، ( ولكم في القصص حياة ) وقد تكون أخفى من ذلك كقوله ( مما خطبائهم  
أغرقوا فأدخلوا ناراً ) لأن الفرق من مستلزمات الماء الذى يقابل النار .

والمقابلة هي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب وإذا شرط في  
الاول امر شرط في الثاني ضده، ففي الاثنين نحو ( فليضحكوا قليلا وليبكوا  
كثيرا )، وفي الثلاثة نحو ( يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ) ، ( ويحل  
لهم الطبيات ويحرم عليهم الخبائث ) ، ( واشكروا لي ولا تكفرون ) ، وفي الاربعة  
نحو ( فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل  
واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ) ، وقد تكون في أكثر من ذلك  
والفرق بينها وبين الطباق أنها لا تكون في أقل من أربعة كل اثنين في طرف  
كالمثال الاول والطباق لا يكون الا في اثنين ، وأنها تكون بالاضداد وبغيرها  
على رأى والطباق لا يكون إلا بالاضداد. أما مراعاة النظير فهو جمع أمر وما  
يناسبه بغير التضاد نحو « الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان »  
ومن دقيقه قوله تعالى « ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها  
ولا تضجى » فقد أخذ العرى مع الجوع وأخذ الضحاء مع الظمأ وان كان  
الظاهر ضم الظمأ الى الجوع والضحاء الى العرى ، لان في كل من الجوع والعرى  
خلوا وفي كل من الظمأ والضحاء التهايا .

٩٤٨٤٧ ومنها التقسيم والتفريق ثم الجمع وحده ومم أحدهما وهما . فالنفسيم  
استيفاء جميع أقسام الشيء الموجودة فعلا لا الممكنة عقلا نحو « يهب لمن يشاء آناثا  
ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرا واناثا ويجعل من يشاء عقيما » ، ( هو الذي  
يريك البرق خوفا وطمعا ) ، ( له ما بين ايدينا وما خلفنا ، وما بين ذلك )  
، ( الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ) . والتفريق إيقاع تباين  
بين أمرين أو أكثر من جنس كقوله ( والله خالق كل دابة من ماء فمنهم من  
يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم يمشى على أربع » . والجمع

أن يجمع بين شيئين أو أكثر في حكم كقوله ( الشمس والقمر بحسبان والجمع والشجر يسجدان ). والجمع مع التفريق أن تدخل شيئين في معنى وتفرق بين جهتي الإدخال نحو ( الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيممك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ). والجمع مع التقسيم أن يجمع بين متعدد في حكم ثم تقسمه نحو ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ). والجمع معهما كقوله « يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ . وليس بين الجمع مع التفريق والجمع مع التقسيم كبير فرق .

١٠- ومنها اللف والنشر وهو أن تذكر شيئاً أو أكثر اجمالاً أو تفصيلاً ثم تذكر أشياء تقابلها كذلك، فالاجمال كقوله تعالى عن اليهود والنصارى « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى » أي قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى والذي سوغ هذا الاجمال العناد القائم بينهما، والاجمال هنا في اللف وقد يكون في النشر كقوله تعالى ( فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ) على أن المراد بالخيط الأسود الفجر الكاذب لا الليل. والتفصيل قسمان مرتب كقوله ( ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ) ومعكوس كقوله « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أ كثرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون »



١٢، ١١ ومنها الاستدراك والاستثناء وشرط كونهما من البديع أن يتضمننا ضرباً من المحاسن زائداً على معناهما اللغوي ، فالاستدراك نحو « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم » فانه لو اقتصر على قوله لم تؤمنوا لكان منفراً لهم وهم يظنون مجرد الاقرار بالشهادتين إيماناً ، فالاستدراك دنا مع كونه لم ينفرهم فرق لهم بين الايمان والاسلام ولذلك جاء بعده « ولما يدخل الايمان في قلوبكم » . والاستثناء نحو ( فابث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ) . فان ذكر الالف تم الاستثناء منه ذوروعة لا يدانيها ذكر العدد المراد مباشرة وفيه من التحويل بهذه الصفة ما يعهد العذر لنوح في الدماء على قومه بما أهلكتهم . هذا ومن ملاحظة ما تقدم من استخدام القرآن السنة في الشدة والعام في الرخاء تفهم وجه التفرقة هنا كما تفهم أنه طأى مدة الدعوة من قومه شدائد جعلتها سنين لأعواماً

١٣- ومنها تأكيد المدح بما يشبه الذم ومعناه ظاهر من اسمه ومثاله قوله تعالى « قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمننا بالله الخ ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ) ، « لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيماً إلا قبلاً سلاماً سلاماً ) وكذا « وما نقموا منهم إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله »

١٤- ومنها الورداف وهو أن يعبر المتكلم عن المعنى الذي يريده لا بلفظه الموضوع له ولا بإشارته بل بلفظ يرادفه كقوله « وقضى الأمر » أى هلك من قضى الله هلاكه ونجا من قضى الله نجاته وكذلك « واستوتت على الجودى » بدلا من جلست لأن في الاستواء تمكنا لا يفهم من مطلق الجلوس ، « فيهن قاصرات الطرف عين » بدلا من عفيفات إذ في قاصرات فوق العفة غضب بصر

« ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » فقوله بما عملوا أى بالسوء ولكنه ترك التصريح به مع ما فيه من المطابقة كيلا يضاف إلى الله سبحانه . والارداف شبيهة بالكناية ولكن الانتقال فيه من مذكور إلى متروك وفي الكناية من لازم إلى مازوم

١٥- ومنها التجريد وهو أن تنزع من أمر ذي صفة أمرا آخر مثله، المبالغة في كمال اتصافه بها نحو « لهم فيها دار الخلد » فدار الخلد ليست مكانا دون غيره في الجنة بل هي الجنة بعينها لأنها كلها دار خلد وكذلك « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » على أن المراد بالميت النطفة. والتجريد ليس باستهارة لوجود الطرفين ولا بتشبيهه لأنه لا يمكن فيه حمل المشبه به على المشبه كما هي الحال في التشبيه

١٦- ومنها المبالغة وهي أن تذكر وصفا فتزيد فيه حتى يكون أبغى المعنى الذى تريده، وهي إما بالوصف كقوله « يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار » وإما بالصيغة مثل « الرحمن الرحيم » ونحوها . وإذا قيل كيف أتى الله سبحانه وتعالى لنفسه بصيغ المبالغة مع أنها مبنية على الزيادة وصفاته لا تقبل زيادة ولا نقصا قلنا إنما بالغ بحسب تعدد المتعلقات لا بحسب الصيغة في ذاتها فالتواب مثلا جاءها المبالغة من كثرة من يتوب الله عليهم وهكذا

١٧- ومنها العكس وهو أن يؤتى بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر جزء ثم يعكس بعد فيقدم المؤخر ويؤخر المقدم وذلك كقوله « ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء » ، « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » ، « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » ، « هن لباس لكم وأنتم لباس لهم » . ومن دقيقه قوله « رمن يعمل من الصالحات من ذكر أو

أنبي وهو مؤمو فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون تقيرا ومن أحسن ديناً  
 ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ( فان الآية الثانية معاكسة للاولى حيث آخر  
 العمل فيها عن الايمان في حين أنه مقدم عليه في الاولى وقد يكون العكس  
 في حروف الكلمات لا الكلمات نفسها ويسمى القلب كما يسمى المقلوب المستوى  
 أو مالا يستحيل بالانعكاس نحو « كل في فلك » ، « ربك فكبر »

هذا ومحسنات القرآن بين لفظية ومعنوية تزيد على المائة وفي هذا القدر  
 الذي أوردنا مايرينا شيئاً من درجة هذه المحسنات فيه

١٤ - مزايا القرآن بوجه عام

لعل حين وضعت هذا العنوان أول ما بدأت الكلام في البلاغة كنت مسرفاً  
 في اعتقادي. إمكان الالمام به طامعاً فيما لا مطعم فيه مهما عظم المجهود لأنى حين  
 انتهيت اليه وهو الاخير لم أكد أنظر فيه حتى وجدته كثير الشعاب ملتبساً على  
 المحاول بالصعاب فعشى بصرى وضاق ذرعى ووددت لو أنى فطنت إلى هذا من  
 قبل حتى كنت أغفله في العناوين ولكن الأمر غير مرجوع فيه فقولى الآن قول  
 من يبدو عليه التقصير ولا يلم إلا بالقليل من الكثير

ولعل من أهم هذه المزايا بعد الذى تقدم في فصاحة القرآن وبلاغته  
 الانسجام البالغ فيه حتى لثرى الحروف في الكلمات والكلمات في الجمل والجمل في  
 الآيات آيات بينات على قوة هذا الانسجام، فهى حين النطق بها يتحدر بعضها  
 وراء بعض تحدر الماء المنهمر من الحزون إلى السهول، وهما هى ذى أنواع من  
 الانسجام مشفوعة بآيات كريمة تنطق بها وتشهد لها .

من ذلك مجيء كثير من آياته على موازين الشعر مع أن الشعر غير مقصود  
 فيه إنما جاء ذلك من قوة انسجامه وشدة تعاشقه كألحان الموسيقى يوازن  
 بعضها بعضها حتى تكون كلاماً منسجماً الوقع حسن الرنين وبهذا تسنى لكثير

من العروضين أى يودعوا ضوابط البحور أياتامن الشعر فى كل بيت شطر من آى القرآن الكريم على تفاعيل البحر الذى من أجله سبق، على اختلافهم فى اختيار الآيات لكثرتها فى القرآن . فمن الطويل ( فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ) ومن المدبذ ( تلك آيات الكتاب الحكيم ) ومن البسيط « فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم » ومن الوافر « إذا مروا بهم يتغامرون » ومن الكامل « إن الذين يباعدونك إنما » ومن المزج « وقالوا حسبنا الله » ومن الرجز « اذهب إلى فرعون انه طغى » ومن الرمل « ولقد راودته عن نفسه » ومن المريع « يأيتها الناس اتقوا ربكم » ومن المنسرح ( هو الذى أنزل السكينة فى ) ومن الخفيف ( ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ) ومن المضارع ( ألم يأتكم نذير ) ومن المقتضب ( كلما أضاء لهم ) ومن المجتث ( وهو العلى العظيم ) ومن المتقارب ( وإن يستغيثوا يغاثوا بماء ) ومن المتدارك ( إنا أعطيناك الكوثر ) ومن مغلغ البسيط ( وقودها الناس والحجارة ) . وليس اقتصار هؤلاء على الأشطار لعدم وجود وزن البيت كاملاً فى القرآن بل لأن حاجتهم فى الضبط تقضى بمجىء العجز وحده لأن المصدر تفاعيل البيت فقيه من الايات الكاملة كثير كقوله تعالى من الوافر ( ويخزئهم وينصرهم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ) ومن الرمل ( وجفان كالجواب وقدور راسيات ) الى غير ذلك

ومن آيات الانسجام أيضاً ائتلاف اللفظ مع اللفظ وقد تقدم ما يشعر به حيث الكلام على الدقة فى مناسبة الالفاظ والتراكيب للمعانى أى فى ائتلاف اللفظ مع المعنى فان الائتلاف لم يقف عند حدود المعانى بل تعداها إلى الالفاظ فكان يقرن الغريب بالغريب والمتداول بالمتداول رماية لحسن الجوارر والمناسبة، انظر قوله تعالى ( قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين ) فانه حين أتى بالتاء الغريبة فى القسم بالنظر الى الباء والواو، أتى

المتزن باع طويل يظهر في الجمل كما ذكر ويظهر في المفردات يمددها على سياق واحد كقوله ( التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ) وقوله (مسلمات مؤمنات قانتات تأبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا ) وقد تقدمت هي وسابقتها في الاستشهاد بها على أشياء أخر من البلاغة التي تنزاحم على الآية الواحدة من عدة وجوه . ومن المزايا الهامة أيضا ارتباط القرآن جميعه ارتباطا تنزه عن المخالفة كما قال جل شأنه ( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) وعلى هذا الأساس بنى بعضه على بعض وكل بعضه من بعض فصار يرى فيه كلام في موضع مقتضا من كلام في آخر قال تعالى ( وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ) فاصدا بقوله لمن الصالحين أنه من ذوى الدرجات العلاء لأن الآخرة دار إثابة لادار عمل حتى يؤخذ الصلاح فيها على أصل معناه وهذا المعنى الذى أردناه مقتص من قوله في موضع آخر ( ومن يأتته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلاء ) . وقوله ( ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين ) أخذ من قوله ( فأولئك في العذاب محضرون ) وقوله ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن ) على رأى بعض المفسرين فى تفسير الظلم بالشرك أخذ من قوله تعالى ( إن الشرك لظلم عظيم ) وقوله ( ويوم التناد ) بتخفيف الدال على معنى التنادى أخذ من قوله ( ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ) وبتشد يدها على معنى الفرار أخذ من قوله ( يوم يفر المرء من أخيه ) . وقد يكون الاخذ من أكثر من موضع كقوله تعالى ( ويوم يقرم الأشهاد ) فإن الأشهاد أربعة الملائكة من قوله ( وجاءت كل نفس مهيبة مثابة ) . والانبيا من قوله ( فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ) ومثابا على هؤلاء شهيدا ) ، وأمة محمد

صلى الله عليه وسلم التي كرمت بالشهادة على الامم كما كرم بالشهادة على الانبياء والشهادة على أمته من قوله ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا )، والجوارح والأعضاء من قوله ( يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ) فهذه آيات يشير بعضها الى بعض .

وهناك آيات لا تكون الاشارة فيها على آيات بل على أنواع من المعارف تعتبر مفاتيح للعلوم ولفتنا إلى دراستها كقوله تعالى يخاطب أهل النار ( انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب ) فانها ترمى إلى نظرية هندسية هي عدم صلاحية الشكل الهندسى الأول وهو المثلث لأن عدم ظلا فأمر الله أهل جهنم بالانطلاق اليه تهكم بهم وسخرية منهم. وكقوله ( ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله سا كنأثم جعلنا الشمس عايه دليلا ) يشير إلى نظرية التصوير الشمسى فما هو إلا ثبوت الظل، والشمس هي الدليل عليه ولولاها لم يكن. وقوله ( فن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ) يشير إلى نظرية طبيعية عظيمة هي تقص صلاحية طبقات الأجواء للتنفس كلما صعد الانسان فيها. وقوله ( فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ) يشير إلى نظرية كيميائية كذلك ولا سيما إذ جاء قبله ( ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ) إلى ما قبل هذا من بدء الآية عن زبد الأودية. وقوله ( وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ) إلى آخر الآيات التي تعتبر عنوانا لعلم الكلام والجدول والهيئة فى آن. وليست هذه الاشارات ومثيلاها وهي كثيرة جدا مقصورة على العلوم بل منها ما يشير إلى قصص تاريخى مليء بالعظة والاعتبار كقوله ( واتل عليهم

ابن آدم بالحق). وغيره في القرآن كثير جدا

وقد تكون الاشارة مأخوذة من كلمة واحدة كقوله ( وأنه هو رب الشعري ) إذ تخصيص الشعري بالذكر دون سائر النجوم مع أنه تعالى رب كل شيء إشارة الى ما كان لبعض العرب من عبادتها كأنه يقول رب السكواكب حتى الشعري التي زعمتم ألوهيتها وعبدتموها. كما قد يكون الكلام كله من باب التورية والسكناية فيقصد منه غير ما في ألفاظه كقوله تعالى ( ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ) فان بعض المفسرين يترك هذا الظاهر على جوازه واحتماله ودلالته على تنويع مخلوقات الله حتى في الجماد إلى بيان أنواع الطرق التي يسلكها الناس فالجادة هي البيضاء وهي أوضح الطرق والمضلة هي السوداء وهي أخفها والمتشابهة هي الحمراء المختلطة حمرتها بالسواد وهي لا إلى هذه ولا إلى تلك

هذه لمعة من مزايا القرآن عامة لم تسبق وعسير على المستقصى إتمام باقيها فلنجعل خاتمها قولنا بالاجمال إنه قد اجتمع لآي القرآن الكريم من المزايا في المعاني والألفاظ ما علت به سائر الكلام هذا على تعدده فيها إلى درجة لا تكاد تخطر على بال. وإليك طائفة من الآيات يكفيننا مجرد إثباتها مع ذكر موضوعاتها وهي بعد ذلك الكفيلة بالأعراب عن نفسها .

قال تعالى مجملًا انتهاء الطوفان ( وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوتت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ) . وقال جامعاً أصول التشريع ( ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ) . وقال موعداً من افتري عليه الكذب ( ومن أظلم ممن افتري على الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل

ما أنزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسوط أيديهم  
أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق  
وبما كنتم تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما  
خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء  
لقد تقطع بينكم وصل عنكم ما كنتم تزعمون . وقال مهددا ( قل أرأيتم إن  
أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله بأتيتكم به ) . وقال في  
تحسير الظالمين ( ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنفسكم في العذاب مشتركون ) . وقال في  
تسامحه لعباده ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطعوا من رحمة  
الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ) . ومثلها في مد الرجاء لأهل التوحيد وقطع  
الامل عن أهل الشرك ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن  
يشاء ) . وقال في الحضر على التصديق والعتق ( ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن  
يؤثوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعتقوا وليصنفحوا ألا  
تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ) . وقال في أثر التوبة ( قل للذين  
كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد ساف ) وقال في أثر الاستغفار ( والذين إذا  
فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب  
إلا الله ) ومثلها في ذلك « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم  
يستغفرون » وقال في عدل الجزاء ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل  
مثقال ذرة شرا يره ) وقال فيه أيضا وهي أشد ( ومن يعمل سوءا يجز به ولا  
يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ) روى أن عمر قال لبثنا حين نزلت  
ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى أنزل الله بعد ذلك ( ومن يعمل سوءا أو يظلم  
نفسه ثم يستغفر الله يجد له غفورا رحيا ) . ومن الآيات الخفيفة ( وتخفى في



نفسك ما الله مبديه ) ومنها ( أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات  
والارض طوعا وكرها واليه ترجعون ) ومنها أيضا أحسبتم أنما خلقناكم  
عبثا وأنكم لنا لا ترجعون ) ومن أضرعها قول يونس في بطن الحوت  
( فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ) . وقال  
مشددا التنبيه ( أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين ) وقال  
موازنا بين المطيع والعاصي ومهددا ( أفمن يلقى في النار خيرا أم من يأتي آمنا يوم  
القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ) وقال في ذلك أيضا ( وأمرنا قولكم أو  
اجبروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير )  
وقال في المبادرة بالاستجابة ( استجبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له  
من الله مالكم من ملجأ يومئذ ومالك من نكير ) وقال على لسان الكافرين في  
تمنيهم العودة ( قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج  
من سبيل ) وقال في انطباعهم على الشر ( ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ) وقال في  
تضرعهم لأهل الجنة ( ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء  
أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم هوا  
واعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا  
بآياتنا يمجدون ) وقال في وصف المتقين ونعيمهم بدار النعيم وهو ما جعلناه  
آخر هذه الآيات راجين منه ما أكرمه أن يجعلنا في زمرةهم ( الاخلاء يومئذ  
بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون  
الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون  
يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين  
وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة  
كثيرة منها تأكلون )

## النثر في صدر الاسلام

عرفت أن نثر الجاهلية كان يظهر في صورة الخطبة والوصية أو المفاخرة والمنافرة أو المثل والحكمة، وعرفت الاسباب التي أنتجت في ذلك العهد كل نوع من هذه الأنواع، والأغراض التي كانت يقال فيها، كما عرفت الميزات التي كانت له بصفة عامة من حيث الألفاظ والاساليب ثم المعاني والأخيلة، وكما عرفت أيضا أن الكلام عنه لم يتناول الكتابة لانعدامها لا لأن العرب كانوا أميين لا يقرءون ولا يكتبون بل لأنهم كانوا يعيشون عيشة بدوارة لا أثر للحضارة فيها، والكتابة خطية كانت أو انشائية أثر من آثار الحضارة لا يمكن أن توجد بدونها كما أن الحضارة ليست بحال في غنى عنها. ولكن الاسلام وقد عرفت فيما سبق من أدب هذا العام مدى تأثيره في العرب حسا ومعنى غير من أوضاع هذا النثر تغييرا كبيرا فأوجد الكتابة لحاجة الملك والسלטان اليها، وأبقى على الخطابة وورق منها لهذه الحاجة عينها ولحاجة الدين نفسه اليها، ثم أعاد المنافرة والمفاخرة لقضائه على عصبية الجاهلية ونعرتها، أما المثل فقد انعدم تقريبا لأنه كان قائما قبل الاسلام على ضعف الرابطة الاجتماعية ونمو الشخصية الفردية وفراغ الانسان لنفسه يرقب أطوارها ويعنى بشؤونها ولم يك هذا متوافرا في صدر الاسلام إذ انماقت الأمة بمجموعها الى الغزو والجهاد ونشر معالم الشريعة والدين غير شاعرة أفرادها الا أنها لبنات في بناء تبنى شخصياتها في مجموعته وتبقى متمسكة به لافامة أركانها فهذا هو وجه انعدام المثل مع ماراعهم من أمثال القرآن وأمثال الرسول، أما قلة الحكمة على السنة السواد فنشئوها أيضا البهر الذي نالهم من حكم القرآن ومواعظه وحديث

الرسول وجوامع كله ، فقد ملك ذلك عليهم نفوسهم وشغل منهم حواسهم وأفكارهم فلم يدعهم ينصرفون الى قول سواهما، واذا هموا لم يلبثوا أن يرتدوا فرارا من نقص يخشونه أو عيب لا يرضونه. وعلى هذا كانت صور النثر في صدر الاسلام متجلية بكثرة في الخطابة والكتابة وهما ما سنعقد لهما وبعدها نذكر مميزاته بوجه عام من حيث الالفاظ والمعاني

## أولا - الخطابة

### ١ - نماذجها

أول موقف للخطابة وقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم موقفه يوم نزلت الآية ( فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ) فإنه دعا قومه وهو على الصفا ثم قال :

«أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»  
فلما نزلت الآية (وأندر عشيرتك الاقربين) جمعهم عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال «ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتهم ولو غررت الناس ما غررتكم والله الذي لا إله إلا هو إني ارسل الله اليكم حقا والى الناس كافة والله ليموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها للجنة أبدا أو النار أبدا وانكم لأول من أنذر بين يدي عذاب شديد»

ولما تم له صلى الله عليه وسلم فتح مكة دخاها فطاف بالبيت سبعا على راحلته وأخذ مفتاح الكعبة من حاجبها عثمان بن طلحة فوقف على بابها فقال :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألكل مائة أودم أو مال يدعى به فهو تحت قدمي هاتين لإسدانة البيت وسقاية الحاج- ثم قال- يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » - ثم قال- يا أهل مكة ما تظنون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء، ثم ردمفتاح الكعبة إلى سادنها فهسى في عقبه إلى اليوم

فالخطبة الأولى في نشر الدعوة والثانية في أساس العقيدة وتعميم المساواة . ومن خطبه عليه السلام خطبته في التدارك قبل الفوت . حمد الله وأثنى عليه ثم قال . يا أيها الناس إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم إن المؤمن بين مخافتين بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صنم فيه وبين آجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنعمة ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب ولا بعد الدنيا من دار إلى الجنة أو النار . وهذه خطبته الجامعة في حجة الوداع قال . الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعته وأستفتحكم بالذي هو خير أما بعد اسمعوا مني أبين لكم فاني لا أدري لعلى لألقاكم بعد طامي هذا في موقفي هذا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام

عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم أشهد من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن ربنا الجاهلية موضوع وإن أول ربنا أبدأ به ربنا عمى العباس بن عبد المطلب وإن دمنا الجاهلية موضوعة وإن أول دم أبدأ به دم طامر بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية . والعمد قود وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية . أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . أيها الناس إنما انسى زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلون ما يحرمونهم وأما ليواطئوا عدة ما حرم الله وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان الأهل بلغت اللهم أشهد . أيها الناس إن لنساءكم عليكم حقا ولكن عليهن حق لكم عليهن الأيوطات فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا باذنكم ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا ألا هل بلغت اللهم أشهد، أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ أن يأخذ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم أشهد فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعدي كتاب الله ألا هل

بلغت اللهم أشهد . أيها الناس ان ربكم واحد وإن أباكم واجد لكم لا آدم  
 وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي على عجمي فضل إلا  
 بالتقوى ألا هل بلغت اللهم اشهد قالوا نعم قال فليبلغ الشاهد منكم الغائب .  
 أيها الناس ان الله قد قسم لسكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لو ارث وصية  
 ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث والولد للفراس وللعاقر الحجر من ادعى  
 إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين  
 لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله

وخطب أبو بكر رحمه الله يوم السقفة خمد الله وأثنى عليه ثم قال  
 أيها الناس نحن المهاجرون وأول الناس اسلما وأكرمهم أحسابا وأوسطهم دارا  
 وأحسنهم وجوها وأكثر الناس ولادة في العرب وأمسهم رحما برسول الله  
 صلى الله عليه وسلم أسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم قال تبارك وتعالى  
 ( والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ) فنحن  
 المهاجرون وأنتم الانصار إخواننا في الدين وشركاؤنا في النية وأنصارنا على  
 العدو آويتم وواسيتم فجزاكم الله خيرا فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لاتدين  
 العرب الا لهذا الحى من قريش فلا تنفصوا على اخوانكم ما منحهم الله من  
 فضله .

وخطب يوم بويح خمد الله وأثنى عليه ثم قال . أما بعد فإني وليت عليكم  
 ولست بخيركم ولسكن نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه وسلم وعلمنا فعلنا  
 واعلموا أن أكيس الكيس التقى وأن أحق الحق الفجور وأن أقواكم عندي  
 الضعيف حتى آخذ له الحق وان أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق . أيها  
 الناس انما انامتبع ولست بمبتدع فاذا رأيتموني على حق فاعينوني وان رأيتموني  
 على باطل فردوني اطيعوني ما اطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم

أقول قولي هذا وأستغفو الله لي ولكم

وآخر خطبة له رحمه الله تلك التي كانت في ترشيحه عمر رضي الله عنه للخلافة فقد جمع الناس وهو مريض وأمر بمن يحمله على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس احذروا الدنيا ولا تنفقوا بها فانها غدارة وآثروا الآخرة على الدنيا وأحبوها فبحب كل واحدة منهما تبغض الاخرى. وان هذا الأمر الذي هو أملك بنا لا يصلح آخره الا بما صلح به أوله ولا يتحملة الا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه وأشدكم في حال الشدة وأسلمكم في حال اللين وأعلمكم برأى ذوى الرأى لا يتشاغل بما لا يعنيه ولا يحزن لما ينزل به ولا يستحى من التعلم ولا يتحير عند البديهة ، قوى على الامور لا يجوز بشئ منها حده بعدوان ولا تقصير يرصد لما هو آت عتاده من الحذر والطاعة وهو عمر بن الخطاب

ومن كلامه في ذلك حين عهد بالخلافة الى عمر ما حدث به عيد الرحمن بن عوف قال دخلت يوما على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في علته التي مات فيها فقلت له أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما إني على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يامعشر المهاجرين أشد على من وجعني اني وليت أموركم خيركم في نفسى فكلمكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه والله لتتخذن نضاد الديباج وستور الحرير وتألمن النوم على الصوف الأذرى كما يالم أحدكم النوم على حمك السعدان والذي نفسى بيده لأن يقدم أجذم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخض غدرات الدنيا يهادى الطريق جرت انما هو والله الفجر أو البجر. فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا يبيضك الى ما بك فو الله ما زلت صالحا مصلحا لا تأمى على شيء فاتك من أمر الدنيا ولقد تخلت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيرا .

ومن خطبه رحمه الله ما ذكره عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو خليفة  
 في خطبة له وقد بلغه أن قوما يفضلونه على أبى بكر فوثب مغضبا حتى صعد  
 المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال

أيها الناس إني سأخبركم عنى وعن أبى بكر إنه لما توفى رسول الله  
 ﷺ ارتدت العرب ومنعت شتمها وبعيرها فأجمع رأينا ك.أ أصحاب محمد ﷺ  
 أن قلنا له يا خليفة رسول الله ان رسول الله ﷺ كان يقاتل العرب بالوحى  
 والملائكة يمدونه الله بهم وقد اتقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك فإنه لا طافة  
 لك بقتال العرب فقال أبو بكر أو كلكم رأيه على هذا قلنا نعم فقال والله لأن  
 آخر من السماء فتخطفنى الطير أحب الى من أن يكون رأى هذا ثم صعد المنبر  
 فحمد الله وكبره وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على الناس فقال (أيها  
 الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت  
 أيها الناس أن أكثر أعداؤكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب والله  
 ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون قوله الحق ووعدده  
 الصدق بل تقذت بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق وكم من فئمة قليلة  
 غابت فئمة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين والله أيها الناس لو أفردت من جميعكم  
 لجاهدتهم في الله حق جهاده حتى أبلى بنفس عذرا أو أقتل قتلا . والله أيها الناس  
 لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم لله وهو خير معين) ثم نزل لجاهد  
 في الله حق جهاده حتى أذعن العرب بالحق

وخطب عمر إذ ولى الخلافة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . يا أيها الناس انى  
 داع فأمنوا . اللهم إني غليظ قلوبى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك  
 والدار الآخرة وارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدمار والنفاق



من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم اللهم انى شجىح فسخنى فى نوابب  
المعروف قصدا من غير صرف ولا تىذير ولا رياء ولا سمعة واجعلنى أبتغى  
بذلك وجهك والدار الآخرة . اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب  
للمؤمنين . اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمنى ذكرك على كل حال وذكر  
الموت فى كل حين . اللهم انى ضعيف عن العمل بطاعتك فأرزقنى النشاط فيها  
والقوة عليها بالنية الحسنة التى لاتكون إلا بعزتك وتوفيقك . اللهم ثبتنى  
باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياه منك وارزقنى الخشوع فيما  
يرضيك عنى والمحاسبة لنفسى وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات . اللهم  
ارزقنى التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه  
والنظر فى عجائبه والعمل بذلك ما بقيت انك على كل شىء قدير

ومن خطبه رحمه الله قوله . أيها الناس اتقوا الله فى سريرتكم وعلايتكم  
وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تكونوا مثل قوم كانوا فى سفينة  
فأقبل أحدهم على موضعه يخرقه فنظر اليه أصحابه فمنعوه فقال هو موضعى  
ولى أن أحكم فيه فان أخذوا على يده سلم وسلموا وإن تركوه هلك وهلكوا  
معه وهذا مثل ضربته لكم رحمنا الله وإياكم

وخطب عثمان بن عفان عقب أن بويم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . أما بعد فانى  
قد حملت وقد قبلت . ألا وانى متبعم ولست بمبتدع ألا وان لكم على بعد كتاب  
الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثا . اتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم  
عليه وسننتم . وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملاء . والكف الا فيما  
استوجبتم . ألا وان الدنيا خضرة قد شهيت الى الناس رمال اليها كثير منهم فلا  
تركنوا اليها ولا تنقوا بها فانها ليست بثقة واعلموا أنها غير تاركة الامن تركها  
ومن خطبه فى الوعظ قوله . أما بعد فان الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا

لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكوها لتركتموها إن الدنيا تفتى والآخرة تبقى  
فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية فآثروا ما يبقى على ما يفتى إن  
الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله، اتقوا الله عزوجل فإن تقواه جنة من بأسه  
ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير والزمو جماعةكم ألا تصير أحزابا  
وإذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته  
إخوانا

وخطب وقد نعم الناس عليه فقال إن لكل شيء آفة وإن لكل نعمة عاهة  
وإن آفة هذه الأمة وطاعة هذه النعمة عيا بون ظنا بون يظهر ون لكم ما تحبون  
ويسرون ما تكرهون يقولون لكم وتقولون طعام مثل النعام يتبعون أول ناعق  
أحب مواردهم اليهم النازح؛ لقد أقررتهم لابن الخطاب بأكثر مما نعمتم على ولكن  
وقكم وقعكم وزجركم زجر النعام الخزيمة والله إنى لأقرب ناصر وأعز نفرا  
وأقن إذا قلت لهم أن تجاب دعوتى من صر هل تفقدون من حقوقكم شيئا  
فألى لا أفعل فى الحق ما أشاء إذن فلم كنت اماما

وخطب على بن أبى طالب لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان رحمه الله فقال :-  
دعوتى والتمسوا غيرى فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان لا تقوم له  
القلوب ولا تثبت عليه العقول وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت  
واعلموا إن أحببتكم ركبت بكم ما أعام ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب  
وإن تركتمونى فأنا كأحدكم ولعلى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم  
وأنا لكم وزير خير لكم منى اميرا

ومن خطبة له أول خلافته . إن الله تعالى أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير

والشر نخذوا نهج الخير تهتدوا واصدقوا عن سمت الشر تتصدوا . الفرائض  
النرائض أدوها إلى الله تؤدكم إلى الجنة إن الله حرم حراما غير مجهول وأحل  
حلالا غير مدخول وفضل حرمة المسلم على الجرم كلها وشدد بالاخلاص  
والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها فالمسلم من سلم للمسلمون من لسانه ويده  
إلا بالحق ولا يجل أذى المسلم إلا بما يجب . بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم  
وهو الموت فإن الناس أمامكم وإن الساعة تمحوكم من خلفكم تخففوا تلحقوا  
فانما ينتظر بأولسكم آخركم اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسئولون عن البقاع  
والبهائم وأطيعوا الله ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر  
فأعرضوا عنه

ومن خطبه في التزهيد في الدنيا والتحذير منها . أما بعد فاني أحذركم  
الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتمببت بالعاجلة وراقت بالقليل  
وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور لاتدوم حبرتها ولا تؤمن بجفتها غرارة  
ضرارة حائلة زائلة نافذة بائدة أكلة غوالة لاتعدو إذا تناهت إلى أمنية أهل  
الرغبة فيها والرضا بها أن تسكون كما قال تعالى سبحانه ( كما أنزلناه من السماء  
فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء  
مقتدرا ) لم يكن امرؤ منها في حبرة إلا أعقبته عبرة ولم يلق من سرأها بطنا  
إلا منحتته من سرأها ظهرا ولم تطله فيها ديمة رخاء إلا هتنت عليه مزنة بلاء  
وحرى إذا أصبحت له منتصرة أن تسمى له متنكرة وإن جانب منها اعذ وذب  
واحلولى أمر منها جانب وأوبال اينال امرؤ من غضارتها رغبا إلا أرهقته  
من نوائبها تعبها ولا يمسي منها في جناح أمن الا أصبح على قوادم خوف  
غرارة غرور ما فيها فانية فان ما عليها لاخير في شيء من أزوادها الا التقوي

من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه  
 وخطب عليه السلام بعد التحكيم فقال . الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب  
 القادح والحدث الجليل وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه  
 إله غيره وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله أما بعد فإن معصية  
 الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحيرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم في  
 هذه الحكومة أمرى ونخات لكم مخزون رأيت لو كان يطاع لقصير أمر فأبيتم  
 على إياه المخالفين الجفأة والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضم  
 الزند بقدره فكنت وإياكم كما قال أخو هوزان

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصيح الاضغبي الغد  
 هذا ومن خطب الحث على الجهاد خطبته عليه السلام وقد انتهى إليه أن  
 خيلا لمعاوية وردت الأنبار فقتلوا عامله حسان بن حسان فخرج مغضبا يجر  
 ثوبه حتى أتى النخيلة واتبعه الناس فرقى رباوة من الأرض فحمد الله وأثنى  
 عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال  
 أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله  
 اللذل وسيمى الخسف وديث بالصغار وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم  
 ليلا ونهارا وسرا وعلانا وقلت لكم اغزؤم من قبل أن يغزؤكم فوالذي  
 نفسى بيده ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا فتخاذلتم وتوا كلتم وثقل  
 عليكم قولى واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات، هذا أخو غامد  
 قد وردت خيله الأنبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيرا ونساء  
 والذي نفسى بيده لقد بلغنى أنه كان يدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتززع  
 أحجالها ورعشها ثم انصرفوا موفورين لم يكلم منهم أحد كلما فلو أن امرأ مسلما

مات من دون هذا أسفا ما كان عندي فيه ملوما بل كان به عندي جديرا يا عجبيا كل  
العجب عجب يميت القلب ويشغل القهم ويكثر الأُحزان من تضافر هؤلاء  
القوم على باطلهم وفشاكم عن حَقكم حتى أصبحتم غرضا ترمون ولا ترمون  
ويغار عليكم ولا تغيرون ويعصى الله عز وجل فيكم وترضون إذا قلت لكم  
اغزوه في الشتاء قلم هذا أوان قروصر وإن قلت لكم اغزوه في الصيف قلم  
هذه حمارة القميط أنظرنا ينصرم الحر عنا فاذا كنتم من الحر والبرد تقرون  
فأنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طعام الاحلام ويا عقول  
ربات الحجال والله لقد أفسدتم على رأيي بالعصيان ولقد ملأتم جوفى غيظا  
حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجل شجاع وانكن لا رأى له في الحرب  
له درهم ومن ذا يكون أعلم بها منى أو أشد لها مراسا فوالله لقد نهضت فيها  
وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ولكن لا رأى لمن يطاع « يقولها  
ثلاثا » فقام إليه رجل يعرف بابن عفيف من الانصار ومعه أخوه فقال يا أمير  
المؤمنين أنا وأخى هذا كما قال تعالى ( رب انى لا أملك إلا نفسى وأخى )  
فرنا بأمرك فوالله لنتهين إليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضى وشوك القتاد  
قدما لها بخير ثم قال لها وأين تقعان مما أريد ثم نزل

## ٢ - حالها

إذا علمت أن العرب في جاهليتها كانوا خطباء لدواع اقتضت منهم ذلك وجعلت  
الخطابة تطفى إذ ذاك على سائر أنواع النثر حتى لقد قيل كان الكلام الجاهلى  
خطابة وشعرا فقوبل الشعر على تعدد فنونه بالخطابة وحدها دون سائر المنشور،  
فاعلم أن الاسلام إذ جاء زاد من دواعى الخطابة فجعلها أضعافا مضاعفة وجعل  
رجال الصدر الأول خطباء لسنا ومتكلمين مفوهين ، ذلك لأنه دين لم يقف

عند المطالب الاخروية كما كان الدين المسيحي بل جاوزها الى أمور الدنيا السياسية فعنى بها أشد عناية وورفع أمور الاجتماع درجات باسمة حتى في عباداته من صلاة وحج وزكاة وصوم فلم يدع مجتمعها إلا حض عليه أو أوجبه وطلب فيه من القول ما هو ضرورى له كخطبة الجمعة والعيدين والموقف من عرفات وغيرها ، ثم لم يدع الصلوة بين الحاكم والمحكوم فوضى فجعل لكل حقوقا وعلى كل واجبات ووطد دعائم الشورى بين الطرفين فلم يك هناك غنى عن أن يخطب الحاكم المحكوم ويستمع المحكوم للحاكم في حدود الشريعة والدين غير خائف أن يرد عليه قولا خارجا أو ينقض له حكما جائرا لما ضمن له من حرية واسعة النطاق وارفة الظلال ، فهذا الى ما كان للقوم في ذلك الصدر من فصاحة منطق وبلاغة قول تحملهم اذا تكلموا أن يطيلوا وإذا سمعوا أن يستزيدوا والى ما كان للاسلام من حاجة إلى القول في نشر تعاليمه والرد على خصومه الذين كانوا لازوا ينقدونه ويحاجون رجاله في قوة منطق وشدة لدء كل أولئك جعل هذا العهد عهد خطابة صرفة لا مزاج لها من شعر الا ما كان على عهد النبي في الرد على شعراء المشركين

ثم زاد عظمة الخطابة أن جاء القرآن نثرا لشعرا ، وأن بلغ بثره من التأثير في النفوس والوصول الى مواطن الحجة والاقناع ما لم يبلغه الشعر من قبل ، وأن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم غير شاعر ، وأن تصرف بخطابته تصرفا تنارل شتى الأمور من دعوة الى الدين تثبت كلمة التوحيد الى بيان لأحكامه يضم أسس التشريع الى ما يحتاج اليه ذلك من وعظ وتذكير ووعيد وتهديد فالى غير هذا من جلائل الأمور التي كان يقصد قصدها وينحو نحوها في فصاحة لسان ليست لغيره وذراية منطق اختص بها دون سواه وتصرف

بالقول بعيد المدى في خطاب العرب على تنأى الديار واختلاف اللهجات ، ثم اقتدى به خلفاؤه من بعده خادوا عن الشعر الذى فتر ما كان منه في حياته كما حاد وتصدوا بخطبهم إلى مثل ما كانت يتصدى ثم اقتحموا أبوابا جديدة لم تك مفتوحة على أيامه عليه صلوات الله من خلاف بين المهاجرين والأنصار على الخلافة حين قبض ، ومن ردة العرب أول خلافة أبي بكر ، ومن اتساع الفتوح وامتداد رواق الاسلام مدة خلافة عمر وصدر من خلافة عثمان ، ومن تطلع الأمويين وعثمان منهم الى التملك وسعة النفوذ وإعادة مجد كان لهم في الجاهلية فأضاعه تأخرهم عن الاسلام فقد جر هذا التطلع الى تسييرهم أمور الدولة على ما لا تحب الامة وما لا ترضى الجماعة فبدأ بغض الناس لعثمان الذى مكنهم من هذا يدب في النفوس ، حتى اذا ما فاض فأنفضها تمركوا الى سبيل الخلاص منه فكان أن هجموا عليه في بيته وقتلوه . ولكن هيهات أن يكون في ذلك للأمة خلاص انما هو باب فتنة أى فتنة افتتح على مصراعيه فدخلت الأمة منه الى فرقة لا جمع لها والى خلاف لم يأت بعده اتفاق والتاريخ خير محدث عما كان بين العلويين والأمويين وبينهما والزييريين وبين هؤلاء جميعا والحوارج الناقين مما أدى الى حرب الجمل وحروب صفين وأنهى عهد الخلفاء بقتل على زجه الله سنة أربعين ولكنه لم ينته هو كما سيأتى في انعام القول على الخطابة مدة الامويين . فالخطابة في صدر الاسلام كان عليها أن تتناول هذا فوق أنها شعيرة من شعائر الدين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم تولاهما فيما تتطلبه هذه الشعائر وفيما تدعو اليه نظم الاجتماع ولكن خلفاءه من بعده تولوها في هذه الشعائر وفيما جدمن أوجه خلاف بدأت يوم السقيفة كما تقدم ثم توارت وشغل الناس الغزو والجهاد واقرار الدين فيما كان يفتح من بلاد

حتى كان ما كان من خلاف ذكرناه فاتسم ألقها وتعدد غرضها وعظم شأنها وتولاها كل ذي مكانة مواليا أو معاديا حتى صعب على المحصين حصر أغراضها وعد رجالها وإذا ذكروا أغراضا أو عدوا رجالا كان ذلك منهم على سبيل التمثيل لا بقصد التعيين .

ولقد أمد القرآن الكريم والحديث الشريف الخطابة في هذا العصر بالماعون القوي والمدد الفيض فقلدهما الخطباء أيما تقليد واقتبسوا منهما الالتقاط والاساليب ووافقوها في المعاني والاغراض وتأثروها في سوق الأدلة والبراهين وأكثروا الاستشهاد بهما كما كان رسول الله يشهد بالقرآن، وهذه ظواهر تراها فيما أسلفنا من نماذج له صلى الله عليه وسلم وخلفائه الاختيار قد ميزت خطابة هذا العهد عن خطابة الجاهليين، هذا إلى ما بينهما غير ذلك من تباين في الاغراض تراه في إعدام قديم كخطب المناخرات والمنافرات، وفي إيجاد جديد كخطب الدعوة إلى العقيدة الحقة وسن شرائع الدين وتنظيم الملك الشاسع وتثبيت قواعده على الاساس المتين، وفي تحوير نوع كان كخطب الغزو والجهاد التي حلت محل خطب التحريض على الغارة والقتال، إلى غير ذلك مما لم يبق معه من الخطب على حاله إلا خطب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وخطب العظة والعبرة والذكرى والالابة، على أن هذه أيضا أخذت في صدر الاسلام طريقا دينيا وكثرت كثرة شاملة وأوجبت في بعض القرائض كالصلاة . وللخطابة الاسلامية فوق هذا ميزات أخرى . منها تدولها بين طرفي الايجاز والاطناب، ففيها الايجاز المومى والاطناب المطيل على عكس العهد الجاهلي الذي لا يكاد يجاوز المساواة وإذا أطنب أو أوجز كان غير بالغ الطوفين . ومنها اتخاذها في المبدأ طريقا واحدا هو حمد الله وتوحيده والثناء عليه وتعظيمه

م-١٢ أدب



وقد تضم إليه الصلاة على خاتم أنبيائه وصفوته من خلقة . والبدء بالحمد والثناء  
 شيء عام حرم عليه جميع الخطباء ولذلك لما خلت منه خطبة زياد بعد سميت  
 بالبراء. أما ختامها بشيء من غيرها فلم يك متبعا عند جميع الناس كما لم يك  
 واحدا عند من سلكوا مسلك هذا الختام، إنما كان كذلك بالنظر الى كل  
 خطيب فقد كان آخر كلام أبي بكر الذي ينهى به خطبته ( اللهم اجعل خير  
 زمانى آخره وخير همى خواتمه وخير أيامى يوم لقاؤك ) وكان آخر كلام  
 عمر ( اللهم لا تدعنى فى غمرة ولا تأخذنى على غرة ولا تجعلنى من الغافلين )  
 ومنها الاستشهاد فيها بالشعر وان كان ذلك على قلة وندره لاعلى كثرة  
 وشيوع كما تقدم فى الاستشهاد بالقرآن والحديث، وقد سبق استشهاد على  
 فى احدى خطبه بييت منه على أن هذا الاستشهاد كان قد يزيد عن البيت حتى  
 يكاد يساوى الخطبة كلها كما حدث من أبى بكر وقد عتب عليه الانصار فى  
 أمر فرقى المنير وحمد الله واثى عليه وصلى على نبيه ثم قال : يا معشر الانصار  
 لو شئتم أف تقولوا إنا أوبيناكم فى ظلالنا وشاطرناكم فى أموالنا ونصرناكم  
 بأنفسنا لقلتم ، وإن لكم من الفضل مالا يحصيه العدد وان طال به الأمد فنحن  
 وأنتم كما قال طفيل الغنوى .

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت بنا نعلنا فى الواطئين فزلت  
 أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذى يلقون منا مللت  
 هم أسكنونا فى ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفأت وأظلت

وإنما عددنا هذه ميزة على قلتها لخلو خطب الجاهلية منها

هذا ولقد بقى للخطابة فى هذا العهد كثير من عاداتها الجاهلية القديمة فقد كان  
 الخطباء لا يخطبون الا قائمين وعلى نشر من الأرض يشرفون منه على السامعين

ومن ثم سنت المنابر في بيوت الله . وكانوا إذا قاموا اعتمدوا على شيء في أيديهم وقد يجمع الخطب بين سيف أو قوس في يماره وعصا في يمينه ، هذا إلى ما يعنون به أيضا من اعتجار العمامة والاشتمال بالرداء وحسن الزي وإصابة الإشارة وجهارة الصوت وإجادة الايقاع مع جمال الموقف وتعام الوقار إلى غير ذلك مما إذا صحب فصاحة الخطيب وبلاغته وصل ببيانه الغاية المنشودة من نفوس المأمعين وحقق الغرض المطلوب في قلوب الشاهدين :

هذا وخطباء صدر الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحصون كثرة وأعظمهم الخلفاء الراشدون والقواد المحنكون وكتبهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين غير أنه من المجمع عليه أن أخطب خطبائه غير مدافع ولا منازع بعد رسول الله هو ابن عمه وزوج ابنته علي بن أبي طالب رحمه الله .

## ثانيا - الكتابة

### ١ - نماذجها

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الفرس . بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وأدعوك بدعاية الله عز وجل فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن توليت فإن أثم الجوس عليك .

وكتب إلى ملك الروم بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية

الاسلام أسلم تعلم . أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك إثم  
الاريسيين وبأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله  
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا  
فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .

وكتب إلى المقوقس عظيم القبط . بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله  
إلى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فاني أدعوك  
بداية الاسلام فأسلم تعلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك إثم  
القبط وبأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا  
نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا  
بأننا مسلمون .

وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة . بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله  
إلى النجاشي ملك الحبشة . إني أحمد الله اليك الملك القدوس السلام المؤمن  
المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم البتول الطيبة الحميمية حملته من روحه ونفخه  
كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن تتبعني وتؤمن  
بالتى جاءني فاني رسول الله واني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت  
ونصحت فاقبلوا نصيحتي وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرا ومعه نقر من  
المسلمين والسلام على من اتبع الهدى .

وكتب إلى أكثم بن صبيح التميمي . بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله  
إلى أكثم بن صبيح ، أحمد الله إليك إن الله أمرني أن أقول لا إله الا الله أقولها  
وأمر الناس بها واخلاق خلق الله والامر أمر الله خلقهم وأماهم وهو ينشرهم  
ولتعلمن نبأه بعد حين .

ولما ادعى مسيعة النبوة وكتب إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام (من مسيعة رسول الله إلى محمد رسوا لله سلام عليك . أما بعد فاني قد أشركت في الامر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قریشا قوم يمتدون ) كتب إليه صلى الله عليه وسلم . بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيعة الكذاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

وعهد أبو بكر الصديق إلى عمر بالخلافة عند موته فقال

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر . انى استعملت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك علمى به ورأى فيه وإن جار وبدل فلا علم لى بالغيب والخير أردت ولكل أمرىء ما اكتب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وهذه وصاته له بعد العهد

انى مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله . إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً . إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فاذا ذكرتهم قلت إنى أخاف ألا أكون من هؤلاء وذكروا أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم فاذا ذكرتهم

قلت إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء . وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقي بيده إلى التهلكة . فإذا حفظت وصيتي هذه فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجز الله

ولما استخلف عمر رضى الله عنه كان أول كتاب كتبه موجهاً إلى أبي عبيدة رحمه الله وهو . أوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ما سواه الذى هدانا من الضلالة وأخرجنا من الظلمات إلى النور وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذى يحق عليك . لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف ماتاه ولا تبعث سرية إلا فى كشف من الناس وإياك وإلقاء المسلمين فى الهلكة وقد أبلاك الله بى وأبلاى بك فغمض بصرك عن الدنيا وأله قلبك عنها وإياك أن تهلك كما أهلكت من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم

ولما صالح أهل إيلياء «هى بيت المقدس» كتب لهم هذا العهد

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لا أنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا ما منهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل

إيلياء أن يعير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبانهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبانهم حتى يبلغوا ما منهم.

وهذه رسالته إلى أبي موسى الأشعري في القضاء قد جمع فيها كما قال المبرد  
 جل الاحكام واختصرها بأجود الكلام وجعل الناس بعده يتخذونها إماما  
 ولا يجد بحق عنها معدلا ولا ظالم عن حدودها محيصا وهي

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى  
 عبد الله بن قيس سلام عليك أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة  
 فافهم إذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا تقاذه له . آس بين الناس في  
 وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطعم شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف  
 من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين  
 المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا . لا يمنعك قضاء قضيته اليوم  
 فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق قديم  
 ومراجعة الحق خير من التماذى في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك  
 مما ليس في كتاب ولا سنة . ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الامور عند  
 ذلك واعمد الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق . واجعل لمن ادعى حقا غائبا  
 أو بينة أمدا ينتهي اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه والا استحللت عليه  
 القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعمي . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا  
 مجلودا في حد أو مجربا عليه . شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو نسب فان الله  
 تولى منكم السرار ودرأ بالبينات والايمان . وإياك والغلق والضجر والتأذى  
 بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر  
 ويحسن به الدخر فمن صححت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين

الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بشواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .

ولما سن للناس أمر الشورى في انتخاب الخليفة دفع الى ابنه كتابا وقال اذا اجتمع الناس بعدى على رجل فادفع اليه هذا الكتاب وأقرئه منى السلام وهو:-  
أوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله ، وأوصيه بالمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله، أن يعرف حفيهم ويحفظ لهم كرامتهم . وأوصيه بالانصار خيرا الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وأن يشركوا في الامر . وأوصيه بذمة الله وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يوفى بعهدهم ولا يكفوا فوق طاقتهم وأن يقاتل من ورأهم .

ولما ولى عثمان الخلافة كتب الى أمراء الامصار

أما بعد فان الله أمر الائمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم اليهم أن يكونوا جباة ، وان صدر هذه الائمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يصيروا رعاة فاذا طادوا كذلك انقطع الحياء والامانة والوفاء . ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم وتأخذوهم بما عليهم ثم تعتنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم ثم العدو الذى تنتابون فاستفتحووا عليهم بالوفاء وكتب إلى أمراء الاجناد .

أما بعد فانكم حماة المسلمين وذادتهم وقد وضع لكم عمر مالم يغيب عنا بل

كان عن ملائنا ولا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما لكم  
ويستبدل بكم غيركم فانظروا كيف تكونون فإني أنظر فيما أزمى الله النظر فيه  
والقيام عليه .

وكان كتابه إلى العامة، أما بعد فانكم انما بلغت ما بلغت بالافتداء والاتباع  
فلا تلتفتنكم الدنيا عن أمركم فان أمر هذه الامة صائر الى الابتداء بعد اجتماع  
ثلاث فيكم . تكامل النعم وبلوغ أولادكم من السبايا وقراءة الاعراب والأطام  
القرآن، فان رسول الله ﷺ قال « الكفر في العجمة » فاذا استعجم عليهم  
أمر تكلفوا وابتدعوا .

وكتب رحمه الله حين أحيط به إلى على بن أبي طالب يقول  
أما بعد فانه قد جاوز الماء الزبي وبلغ الحزام الطيبين وتجاوز الامر بقدره  
وطمع في من لا يدفم عن نفسه

فان كنت ما كولا فكن أنت آكلنى وإلا فادركنى ولما أمزق

وكتب على رحمه الله إني معاوية بعد وقعة الجمل

سلام عليك أما بعد فان بيعتى بالمدينة لزمتمك وأنت بالشام لأنه بايعنى الدين  
بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا  
للغالب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فاذا اجتمعوا على رجل  
وسموه اماما كان ذلك لله رضا، وان خرج عن أمرهم خارج ردوه إلى ما خرج  
عنه فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه  
جهنم وساءت مصيرا . وان طلحة والزبير بايعانى ثم نقضا بيعتهما وكان نقضهما  
كردهما فجاهدتهما بعد ما أعذرت اليهما حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم  
كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان أحب الأمور إلى قبولك العافية،



وقد أكرهت في قتلة عثمان فان أنت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكت القوم إلى حملتك وإياهم على كتاب الله وأما تلك التي تريد بها فهي خدعة الصبي عن اللبن . ولعمري لأن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان . واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحمل لهم الخلافة ولا يدخلون في الشورى . وقد بعثت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الايمان والهجرة فبايعه ولا قوة إلا بالله

فلم يبايع معاوية وكتب اليه . من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب . أما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ولكن أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار فاطاعك الجاهل وقوى به الضعيف وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمري ما حججتك على كحججتك على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم أباعك وما حججتك على أهل الشام كحججتك على أهل العراق لان أهل العراق أطاعوك ولم يطعك أهل الشام وأما شرفك في الاسلام وقرابتك من رسول الله ﷺ وموضعك من قريش فلست أدفعه .

فكان جواب علي هذه الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن أبي طالب الى معاوية بن صخر أما بعد فانه أتاني منك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دماه الهوى فأجابه وقاده فاتبعه . زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت الا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما

أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وبعد فما أنت  
وعثمان إنما أنت رجل من بني أمية ، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه فان زعمت  
أنك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم إلى . وأما  
تميزك بينك وبين طلحة والزبير ، وأهل الشام وأهل العراق ، فلعمري ما الأمر  
فيما هنالك إلا سواء لأنها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها  
النظر . وأما شرفي في الاسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وموضعي من قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته .

على أن المكاتبات قد دامت بينهما طويلا حتى قامت الحرب فلنقف عند  
هذا القدر منها ولنجمله آخر ما تخيرناه من نماذج الكتابة في عهد الراشدين  
الحافل بها وبالخطب لهم ولغيرهم وان كنا اقتصرنا في النماذج على كلامهم  
رحمهم الله لضيق المقام

## ٢ - حالها

قلنا إن العهد الجاهلي لم يكن عهد كتابة لأن العيش فيه كان عيش بدو  
والكتابة بنوعها أثر من آثار الحضارة وكلتاها لا توجد بدون الأخرى ،  
فكان من الطبيعي وقد جاء الاسلام بنظام غير بدوي وأوجد ملكا وسلطانا  
خلف عليه دولتي العالم العظيمتين إذ ذاك أن توجد الكتابة بوجود هذا  
السلطان الجديد وهذا ما كان ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم راسل الملوك  
وذوى النفوذ يعلمهم برسالته ويدعوهم إلى دينه برسائل شتى ذكرنا منها طرفا ،  
واستخدم في قيدها ذلك النفر الذي كان يعرف القراءة والكتابة والذي كان  
يتولى له كتابة وحيه ، ثم كان منه أول بعثته أن جعل فداء القاريء الكاتب

من الامرى تعليم القراءة والكتابة عشرة من أولاد الصحابه . وبهذه السنة التي جرى عليها عرف فضل الكتابة إنشائية وخطية وأنه لاغنى للمسلمين في ملكهم الجديد وسلطانهم العتيد عن استخدامها فصار على ذلك خلفاؤه من بعده سيرة ابتدوها كما ابتداء ولكنها لم تزل تنمو وتنمو الفتوحات وتوسع بالتسع النفوذ حتى انتشرت الكتابة انتشارا عظيما فتحقق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يرغب فيه وتولد في كتابة الرسائل ضرب من الانشاء تملك زمام الفصاحة والبلاغة في سداد قصد ونبل غرض وقوة أداء وتمام إيجاز مع احتذائه القرآن في الجزالة من دون غرابة وامتداد الجمل في غير تعقيد ، حتى نعت عن جدارة واستحقاق بانه السهل الممتنع حقا . وهذا واضح فيما أسلفنا من نماذج في اليهود والعقود والوصايا والعظات والمخابرات السياسية والأوامر الرسمية الى آخر ما ذكرناه :

استمرت الكتابة طوال صدر الاسلام شركة بين رجاله لا يختص بها فريق دون فريق فالنبي وأصحابه من بعده كانوا كلهم كتابا ينشئون بملكهم ويكتبون بأيديهم أو يملون غيرهم إن لم يكونوا كاتبين وقل أن يكلف أحدهم غيره الكتابة عنه وإذا كان لم يك إلا كما يفعل الأخ للأخ والصديق للصديق وبهذا لم توجد طائفة خاصة تدعى طائفة الكتاب كما صارت اليه الحال بعد . غير أنه لما اتسعت الفتوح على عهد عمر رحمه الله فكثرت موارد الدولة ووفرت الغنائم احتاجت الدولة الى إنشاء ديوان يضبط هذا الوارد ويحصى الصادر وبخاصة أعطيات الجنود فأنشأه رضى الله عنه لذلك ولكنه لم يزل على أيامه وأيام الخليفين بعده مقصورا على الضرورى من هذه الناحية فقط أما سائر فروع الكتابة الديوانية من خراج وغيره وما أكثر تشعبها وامتداد أغصانها فكانت تؤدي بلغات الأمم المفتوحة وهي الفارسية في فارس والعراق واليونانية

والرومانية بالشام ، واليونانية والقبطية بمصر ، إلى أن كان تعريب الدواوين على عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، ولم يك بدلدولة العرب الناشئة من هذه الاستعانة لقرب عهدهم بالبداوة ولا استحالة التعريب عليهم في هذه الدواوين ذات الأمور الاصطلاحية المختلفة الألوان قبل أن ينشأ جيل عربي يعرف لغات الامم المفتوحة وآخر من أبناء هذه الامم يجيد لغة العرب وأنى لذلك أن يتم الا بعد فترة من الزمن لم تنقض كما تقدم إلا في أيام عبد الملك وابنه الوليد

وللكتاب في هذا العهد مميزات لم تجتمع كلها معا في غيره من العهود منها ما يتعلق ببدء الرسالة وختمها ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يفتح كتبه بالبسملة ويكتب بعدها من محمد رسول الله إلى فلان وبعدها السلام عليكم للمسلم والسلام على من اتبع الهدى لغيره ثم يعقب السلام بالتحميد فيقول إني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو أو نحو ذلك ومن التحميد ينتقل إلى الغرض المقصود بعد قوله أما بعد أو بدونها. وكان يختتمها غالبا بأحدى صيغتي السلام السابقتين وليس معنى ذلك أن كل كتاب له صلى الله عليه وسلم كان يشتمل على كل هذه الأشياء فإف بعضها جاء خلوا من بعضها كما هو واضح فيما تقدم ومن أجمعها لها كتابه عليه الصلاة والسلام إني خالد بن الوليد وكان قد بعثه إلى بني الحارث فأجابوه إلى الاسلام وهو « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى خالد بن الوليد . سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فان كتابك جاءني مع رسولاك يخبرني أن بني الحارث قد أسلموا قبل أن تقاثلهم وأجابوا إلى ما دعوتهم اليه من الاسلام وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن قد هداهم الله بهديه فبشرهم وأنذرهم وأقبل

وليقبل معك وفدعم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وقد اقتدى به في ذلك خلفاؤه من بعده وكان أبو بكر يكتب من أبي بكر خليفة رسول الله ثم كان عمر يكتب من عمر خليفة خليفة رسول الله ، ولما كان في تكرار كلمة الخليفة ثقل وكانت الإقامة على استمرار تكرارها بتكرار الخلفاء مما لا سبيل إليه اقترح عليه أن يلقب نفسه بأمر المؤمنين ففعل وصار يكتب من عبد الله عمر أمير المؤمنين وصارت هذه سنة الخلفاء من بعده

ومنها خلوها من ألفاظ التعظيم والتفخيم . وكما يتضح هذا في مبادئها التي قدمنا من ذكر اسمي الكاتب والمكتوب إليه مجردين الا من ازم الصفات التي لا بد منها كالسالة مع النبي والخلافة أو الامرة مع الخلفاء والأمراء ، يتضح كذلك في استخدامهم الضمائر على حقائقها المفرد للمفرد والمثنى للمثنى والجمع ليس الا للجمع ، فيقول الكاتب عن نفسه أنا وبني وجاءني ، وعمن يخاطبه أنت وبك وجاءك وقد استمر هذا التبسط طابعها حتى انسلخ هذا العهد وشطر من العهد الأموي .

ومنها ما تقدم ذكره من احتذائها حذو القرآن في الجزالة من دون غرابه وامتداد الجمل في غير تعقيد وذلك لمكانة الكاتب والمكتوب إليه في العربية ورسوخ قدمهما في الفصاحة . هكذا كان طابعها لا يخرجون بها عنه إلا لسبب يدعو إلى تسهيل أو تصعيب مراعاة لحال المكتوب إليه . ولذلك تجدد السهولة بادية في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأتاجم وحكامها وتجدد الغرابة أبدى منها إذا كان معدن المقصود يستدعيها كما فعل عليه الصلاة والسلام في كتابه إلى وائل بن حجر السكندی وأهل حضرموت إذ يقول ( إلى الاقيال العباهلة والارواع المشاييب . وفي التبعة شاة لا مقورة الألياط ولا

ضناك وأنطوا النبعة . وفي السيوب الخمس . ومن زنى من بكر فاصفعوه مائة  
واستوفضوه عاما ومن زنى من ثيب فضر جوه بالاضاميم . ولا توصيم في الدين  
ولا غمة في فرائض الله تعالى . وكل مسكر حرام . ووائل بن حجر يترفل  
على الاقيال ) . وعلى هذا النحو قال في كتابه لهمدان وكتابه لبني نهد ، وهذه كانت  
سنته في خطاب كل قوم بما هو من صميم لغتهم في الترسل والوفادات هذم  
وقبل أن ننقل من هذه الميزة نفسر كلمات هذا الخطاب . فالأقيال جمع قبل كالمقول  
وهو الملك أو من هو دونه والعباهلة جمع عبهل وهو الذي يقر على ملكه لا يزال  
عنه والارواع جمع رائم المعجب بمنظره أو شجاعته والمشاييب جمع مشبوب  
وهو الذكي القواد والتبعة الاربعون والمقورة المسترخية والالياط جمع ليط  
وهو الجلد والضناك السكينة اللحم وأنطوا النبعة أعطوا الوسط والسيوب  
الركاز واستوفضوه غريبه وضر جوه بالاضاميم أهوه بالحجارة واحدها  
إضمامة والتوصيم التواني والغمة العتر ويترفل يترأس

ومنها ما تقدمت الاشارة اليه من الرمي الى الغرض دون اطالة ولا تكلف ،  
فالمعاني يقتصر فيها على الحقائق دون مبالغة ولا تهويل والأغراض يقصد  
الى الضرورى منها بلا زيادة ولا تطويل ولذلك كانت رسائلهم على طول جلها  
وامتداد عباراتها تضرب في كنها الى الأيجاز فلا تكاد تجد طولاً الا حيث يستدعيه  
المقام فيكون لهذا الاستدعاء من الأيجاز ، وفيما تقدم من النماذج ولا  
سيما كتب رسول الله أكبر مؤيد لما تقول . وكذلك كان صحبه يوجزون كما ترى  
في بعض ما تقدم وكما فعل عمر اذ كتب الى عمرو بن العاص بمصر يستنجده  
في مجاعة فقال ( من عبه الله عمر أمير المؤمنين الى العاصى ابن العاص سلام .  
أما بعد فلعمري يا عمرو ما تبالي اذا شبع أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن

معى فياغوثاه ثم ياغوثاه) وانظر رد عمرو عليه حيث يقول (الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عمرو بن العاص أما بعد فياليك ثم ياليك قد بعثت اليك بعير أولها عندي وآخرها عندك والسلام) بل لقد بلغ الايجاز ببعضهم أن يجعل رسالته جملة واحدة كما فعل خالد بن الوليد مع عياض بن غنم وقد استنجده وهو محاصر بدومة الجندل فكتب اليه ( من خالد الى عياض إياك أريد ) ولعل هذا أوجز كتاب عرف في الادب العربى

ومنها كثرة الاستشهاد فيها بالقرآن وهو واضح فيما ذكرناه لرسول الله وخلفائه الابرار. أما الاستشهاد فيها بالشعر فكان كما كان في الخطب قليلا وقد سبق بيت منه في كتاب عثمان الى على وربما ذيل بعضهم كتابه بأبيات قصيرة أو طويلة في معناه كما حدث في رسالة معاوية لعلى وإجابة على له وقد تقدمتا ولكن بدون هذا التذييل فلنذكره هنا وهو قول كعب بن جعيل شاعر الشام في آخر كتاب معاوية

أرى الشام تكبره ملك العراق وأهل العراق لهم كارهينا  
وكلا لصاحبه مبعضا يرى كل ما كان من ذلك دينا  
إذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثل ما يقرضونا  
فقالوا على إمام لنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا  
وقالوا نرى أن تدينوا لنا فقلنا ألا لا نرى أن نديننا  
ومن دون ذلك خرط القتاد وضرب وطعن بفض الشثونا  
وقول النجاشى أحد بنى الحارث بن كعب شاعر أهل العراق في آخر كتاب على  
دعن يا معاوى ما لن يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا  
أناكم على بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا

روى الشعرين المبرد في كامله وقال عقب كل «وبعد هذا من الدم ماء مسك عنه»  
يريد في علي وفي معاوية على التوالي .

هذا ما يتعلق بالكتابة على عهد الخلفاء الراشدين بوجه الاجمال ومنه يعلم  
أن الكتابة كانت فيه كتابة رسائل فحسب ومع ذلك لم تصطبغ بصبغة فنية  
ذات صناعة لأن العهد كان قريبا من البداوة ، والتدوين في كل بلد كان  
بلغة أهله وما فعله عمر رحمه الله خاصة بالأعطيات لا يعد تدوينا بالمعنى المعروف .  
زيد بهذا أن تقول إن الكتابة الديوانية بالمعنى الاصطلاحي كانت معدومة  
لما تقدم وإن الكتابة العلمية التي عرفت بعد في التأليف والتصنيف كانت معدومة  
أيضا لأن العهد كله انقضى دون أن يدون كتاب الا ما كان من أمر القرآن  
في اثباته على الرقاع ونحوها مدة أبي بكر وفي المصاحف على عهد عثمان .  
وكان اعتماد القوم في دينهم وديانهم على كتاب الله وسنة رسوله وحين الاشتباه  
يكون مرجعهم إلى الخلفاء والفقهاء والاجتهاد حتى أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وفتاوى  
صحابته لم يدونوها مخافة أن ينتهي بهم التدوين إلى اهمال الحفظ والاعتماد على  
الكتاب المعرض للضياع وانتصحيف والتحريف وفي كل ذلك من الاضرار  
ما كانوا يحذرون ولولا اشتداد الخلف بين انقراء في الأعمار ما أقدم عثمان على  
نسخ القرآن ولذلك لانستغرب ما روى لنا من أنه حين هم بعمله هذا اصطدم  
قبل التنفيذ بكثير من المخالفة والنقاش :

بقي أن نذكر كلمة عن المدى الذي وصلت إليه الكتابة الخطية في هذا  
العهد وقد عرفت في الأدب الجاهلي أن الخط الذي عرف بالحجاز قبيل الاسلام  
كان الحيرى الانبارى وأن الذي نقله الى مكة حرب بن أمية فتعلمه عدد من أهلها كان  
منهم كتاب الوحي على عهد رسول الله وقد عرفت هنا أنه عمل على نشر الكتابة بما



كان منه في أمر الفداء فأخذت تنتشر حتى جاوز كتابه الأربعين كلهم من كبار الصحابة المقربين الذين عملوا بغير ملل على تحقيق أمنيته فعلموا غيرهم حتى كثر عدد الكاتبين وعرف خط هؤلاء لما دخله مما لم يكن بأصله بالخط الحجازي . وقد استمر واحدا حتى فتحت الممالك ومصرت الامصار ونزلت جمهرة الكاتبين الكوفة فعنوا بتجويد الخط وتحسين أشكاله حتى تميز خطهم عن الحجازي شكلا وكبرا وعرف بالخط الكوفي وبذلك صار لدى العرب على عهد الخلفاء وعان من الخطوط، الحجازي ويكاد يكون أصلا للنسخ ويستعمل في المكاتبات العادية ثم الكوفي ويكاد يكون أصلا للثاثل وكان قاصرا على المصاحف وسكك النقود وحلى المساجد والقصور .

هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا خلو الكتابة طول عهد الراشدين من الشكل الواقي من التحريف ومن الاعجام العاصم من التصحيف ثقة من القوم بأنفسهم واعتمادا على مقدرتهم واكتفاء منهم في صحة القراءة بالرمز القليل .

## مميزات النثر في صدر الاسلام

وأثر الكتاب والسنة فيه

قبل أن نتكلم عن تلك المميزات وهذا الاثر ينبغي أن نسوق بعض نماذج لما لم نحل له سابقا من أنواع النثر وهو المثل الذي قلنا إنه انعدم تقريبا والحكمة التي ذكرنا أنها قلت وليكن التمثيل بكثرة من كلام رسول الله الذي تناول كل أنواع المنشور بسعة وشمول وكان الثاني بعد الكتاب في هذا التأثير .

فمن أمثاله صلى الله عليه وسلم (إن من البيان لسحرا) ويضرب في استجسان المنطق وقوة الحجة ، (ان المنبت لأرضنا قطع ولاظهورا أبقى ) ويضرب لمن

يُفْرط في طلب الشيء ويبالغ فيقوته على نفسه وقد يقوت معه غيره والمنبت هو المنقطع عن أصحابه في السير وهذه التسمية واقعة عليه باعتبار ماسيكون وإن كان في المبدأ سابقا والظهر الدابة ، ( إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم ) ويضرب في النهي عن الإفراط والحبط انتفاخ يعتري الأبل من كثرة الأكل فيميتها أو يلم أي يقارب ، ( إياكم وخضراء الدمن ) وهي المرأة الحسناء في منبت السوء ويضرب في التحذير من الحسن الظاهر الخبيث الباطن .

ومن نصائح صلى الله عليه وسلم في ثوب الحكمة والكلمة الجامعة قوله (رب مبلغ أوعى من سامع ، التمسوا الرزق في خبايا الأرض ، المسلمون تنكفأدماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير باخوانه ، المرء مع من أحب ولاخير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له ، اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخاق حسن ، إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، الرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن والبطالة تقسى القاب ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، الصبر عند الصدمة الأولى ، ترك الشر صدقة ، حبك الشيء يعمى ويصم ، ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون ، ألا أخبركم بشراركم من أكل وحده ومنع رفته وضرب عبده ألا أخبركم بشر من ذلكم من لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا ألا أخبركم بشر من ذلكم من يبغض الناس ويبغضونه ، أمرني ربي بتسع الاخلاص في السر والعلانية والعدل في الغضب والرضا والقصد في

الفقر والغنى وأن أعفو عن ظلمي وأصل من قطعني وأعطى من حرمني وأن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة ، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، يد الله مع الجماعة ، الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، كفى بالسلامة داء ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، احترس من الناس بسوء الظن ، الدال على الخير كفاعله ، جبات القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها ، إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها ، زرغبا تزدحجا ، ما عال من اتقصد ، الحياء شعبة من الايمان ، خير الامور أوسطها ، إياك وما يعتذر منه ، الوحدة خير من جليس السوء ، البركة في البكور ، المرء على دين خليله ، كاد الفقر أن يكون كفرا ، من أصبح معافى في بدنه آمنا في مربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ، رحم الله عبدا قال خيرا فغتم أو سكت فسلم ، ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ، الخلق كلهم عيال الله فأحبهم اليه أتقهم لعياله ، ما أملك تاجر صدوق ، التاجر الجبان محروم ، العالم والمتعلم شريكان في الخير ، لا تزال أمتي صالحا أمرها ما لم تر الفئء مغنما والصدقة مغرما ، لا يراح القتات رائحة الجنة (واقترنت النام) وفي الحديث أنه قال ( لعن الله المثلث ) فقيل ومن المثلث يارسول الله قال الذي يسعى بصاحبه إلى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وقال لو تكاشفتم ماتدافنتم يريد لو علم بعضكم سريرة بعض لامتنع عن تشييعه ودفنه وقال للانصار في حديث جرى إنكم لتكثرزون عند الفزع وتقلون عند الطمع .

ومن أمثال غيره صلى الله عليه وسلم قول أبي بكر إن البلاد موكل بالمنطق يضرب في الاحتراس من عثرات اللسان ، قول على إنها أكلت يوم أكل الثور الأبيض يضرب للرجل يرزأ برزء أخيه ، قول معاوية وقد علم موت الاشر

النخعي من صم في عسل إن لله جنودا منها العسل يضرب عند الشماعة بما يصيب  
العـدو ؛ قول عمر بن العاص حرك لها حوارها نحن يضرب في تذكير المرء  
بما يشجيه ؛ قول خالد بن الوليد عند الصباح يحمد القوم السرى يضرب في  
احتمال المشقة رجاء الراحة ، قول الحباب بن المنذر الأنصاري يوم السقيفة  
أنا جذيلها المحكك وعذيقها المر جب يضرب للرجل يشتفى برأيه وعقله والجذيل  
تصغير جذل وهو أصل الشجرة تتحكك فيه الأبل الجربى ليخف ألمها والعذيق  
تصغير العذق وهو النخلة وترجيبه جعل رجبة حوله من الحجارة تكون دامة  
له كيلا يقم ولا ترجب النخلة إلا إذا كانت كريمة

ومن حكم غيره صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه قول أبي بكر الصديق  
ليست مع العزاء مصيبة ، الموت أهون مما بعده وأشدما قبله ، أصلح نفسك  
يصلح لك الناس ، إن فأتك خير فأدركه وإن أدركك شر فاسبقه . وقول عمر  
من كتم مره كان الخيار في يده ، أعقل الناس أعذرهم للناس ، لا تؤخر عمل  
يومك لغدك ؛ لا ينفع تكلم بحق لا تقاذه ، كفى المرء غيا أن تكون فيه خلة  
من ثلاث أن يعيب شيئا ثم يأتي مثله أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه  
أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه ، ثلاث يشبهن لك الود في صدر أخيك أن تبدأه  
بالسلام وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب الاسماء اليه . وقول عثمان إن الله  
ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، إن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم  
يتقدم اليهم أن يكونوا جباة ، إن لكل شيء آفة وإن لكل نعمة هامة ، إن الله  
عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، بادروا آجالكم بخير ما تقدرون  
عليه ، آثروا ما يبقى على ما يفنى ، طعام مثل النعام يتبعون أول ناعق أحب  
مواردهم اليهم النازح . وقول علي لا غني كالعقل ولا فقير كالجهل ولا مسررات

كلا ديب ولا ظهير كالمشاورة ، من لانت كلمته وجبت محبته ، قيمة كل امرى ما يحسن ، من أبطأ به نسبه لم يسرع به حسبه ، ثلاثة لا يعرفون إلا فى ثلاث لا يعرف الشجاع إلا فى الحرب ولا الحليم إلا عند الغضب ولا الصديق إلا عند الحاجة ، يأتى على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل ولا يظرف فيه إلا التماجر ولا يضيف فيه إلا المنصف يتخذون التى ، مغنا والصدقة مغرما وصاله الرحم منا والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون ساطان النساء وشاورة الاماء وامارة الصبيان ، القاب إذا أكره عمى . وقول ابن عباس العلم أكثر من أن يؤتى على آخره فخذوا من كل شىء أحسنه ، الحرمان خير من الامتنان ، صاحب المعروف لا يقيم فان وقع وجد منكأ ، الجابسى على ثلاث أن أرميه بطرفى إذا أقبل وأوسع له إذا جاس وأصغى اليه إذا حدث . وقول ابن مسعود اقلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة . وقول معاوية وقد قيل له ما البروءة فقال احتمال الجريرة وإصلاح أمر الشيرة فقبل له وما النبيل فقال الحليم عند الغضب والعفو عند القدرة وكذا قوله أنى لا أحمل السيف على من لا سيف له وان لم تكن الاكامة يشتمى بها مشتف جعلتها تحت قدمى ودبر أذنى

هذه نبذة من الامثال والحكم أطلنا فيها وبخاصة من كلام رسول الله ليكون مع ما قدمنا من آى القرآن فى نواحى اعجازه وفصاحته وبلاغته تسكأة لما نريد الان من بيان تأثيرها فى نثر صدر الاسلام ومميزات هذا النثر وهو :-

### ١ - فى القرآن الكريم

لقد تأثر النثر بالقرآن الكريم تأثرا عميقا ظهر واضحا فى المقاصد والاعراض وفى المعانى والاخيلة وفى الانفاظ والاساليب فاما من حيث الاعراض والمقاصد فالأثر واضح فيما تقدم من ظهور نوع

جديد لم يك في الحياة الجاهلية وهو الكتابة التي اقتضاها الانتقال من عيش البدوة إلى عيش الحضارة ومن حكم القبيلة إلى حكم الدولة وقد استعملت في أغراض شتى تراها واضحة فيما أسلفنا من نماذج لها كال دعوة إلى الاسلام وتبيين عقائد الدين ووصايا الخلفاء والقادة والامراء واثبات العهود والمصالحات ونشر الاوامر العامة وتداول الحوار السياسي إلى غير ذلك مما لم يوجد قبل الاسلام. وهو واضح أيضا فيما أجرينا في الخطابة من الموازنة بين أغراضها جاهلية واسلاما بحال أرت ماجد ومات وما حدث فيه شيء من التبديل والتحويل وان فيما تقدم من أمثال وحكم لمسه ترى أن نزعه الامثال في صدر الاسلام أصبحت اجتماعية تشاكل الحياة الجديدة وأن مرمى الحكم الاسلامية أصبح موجها الى ما يحض عليه الدين ويقتضيه نظام التشريع وأما من حيث المعاني والأخيلة فقد اتسعت آفاقها حسا ومعنى بانساع مادة المشاهدات والمعقولات وتم اتساقها وتنظيمها بما كان من ارتقاء الفكر بقواعد الدين ونظم الاجتماع. فبعد أن كانت في الجاهلية لا تتجاوز ذكر معيشتهم البدوية ومرافقها من حل وترحال واستدراغ غيث وانتجاع كلاً واستنبات نبت ونتج حبوبان ، وأموارهم الاجتماعية من إثارة المنازعات والمشاحنات وما تجر اليه من حرض على ادراك ثأر وتفاجر بهال ورلد إلى ما يتبع هذين الامرين من وصف ما يجزيرتهم وتناول شيء من عاداتهم وعقائدهم، أصبحت تتناول في ميدان الحس وفي ميدان المعنى ما فصلناه وشرحناه في أول موضوع ذكرناه وهو ( أثر الاسلام في العرب وفي لغة العرب ) فقد بينا ما أحدثه تأثيرهم حسا ومعنى مسددين في ذلك من النواحي ومكثرين له من الامثال ثم أتبعنا هذا البيان بالانبر الواضح للقرآن الكريم في هذا الانقلاب والفضل البيّن له

على اللغة في كل ما نالها من تقدم وارتقاء فليرجع اليه هناك  
أما من حيث الالفاظ والاساليب فلم يك الاثر فيها باقل منه في الأغراض  
والمعاني ذلك لما رسخ في نفوس انقوم من الولوج بتقليد القرآن الذي أعجزهم وكان  
من أهم نواحي اعجازه، الفاظه وأساليبه فان هذا التقليد قد أنتج في الفاظ  
اللغة وأساليبها أمورا ذات بال .

١- منها تهذيب الالفاظ بالعدول عن الحوشى الغريب وغير المستحسن من  
اللهجات مما أتم على اللغة توحيدها وأوصلها النهاية في تنقيتها وتهذيبها لأن  
القرآن استمد الفاظه من السهل النطق على اللسان، الحسن الوقع في الأذان، القريب  
المعنى من الافهام، والقوم حيث قلده كانوا يعترفون مما اغترف وأخذون مما أخذ  
فنشأ باللغة ما ذكرناه من هذا التهذيب وهجر كثير كان مستعملا من حوشى وثقيل  
نتيجة لهذا التقليد لاعمال بنهى من الدين وما يلحق بهذه الناحية موت كثير من  
المترادفات المعروفة في غير قریش وان لم تك بها حوشية ولا ثقل لأن القرآن  
الذى قلد نزل بالقرشية في غالبه إذ كانت أعرف اللغات لدى عامة العرب  
والقرآن إنما يريد أن يكون مفهوما لدى جميع القبائل لا عند قبيل  
دون قبيل

٢- ومنها موت كثير من الالفاظ لهذا التقليد بل لجىء الاسلام ببديل منها  
أو للنهى عن استعمال مدلولاتها من طريق الدين كقولهم في التحية عم صباحا  
وعم ظلاما فقد حل محله السلام وكالالفاظ الواردة في قول الجبلى مادحا  
لك المربع فينا والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول  
فقد كان من عادتهم اذا غنموا أن يعطوا ربح الغنيمة وهر المربع لقائد

الغارة وفارسها كما كانوا يعطونه الصفايا وهي كل ما يستصفيه لنفسه ويختاره .  
والذشيطة وهي ما كانوا يغمونه عفوا في طريقهم الى غارة مقصودة. والفضول  
وهي ما فضل مما لا تمكن قسمته على الغزاة كفرس منلائم حكمه وهو ما كان  
يحكم به لنفسه فوق ذلك كله، فهذه المعاني أماتها الاسلام بها شرع من نظام النىء  
وتقسيمه فانت ألقاظها . ومثلها كثير كان مستعملا وبطل فيما حرمه الشرع  
من عقائد الجاهلية وأوابدها وهي مبينة تفصيلا في باب عقد لها من الأدب  
الجاهلى فليرجع اليها .

٣- ومنها التوسع في مدلولات الالفاظ باخراجها عن معانيها اللغوية الى معان  
شرعية وهذا باب حافل تناول ألقاظ العقائد كالمسلم والمؤمن وأسماء الله وصفاته  
والرسل وصفاتها واليوم الآخر وسمعياته وأضداد كل هذه الصفات ، وتناول  
ألقاظ العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج وما لها من تفاصيل وما استلزمه  
الصلاة من الطهارة وتوابعها ، كما تناول ألقاظ التشريع الشخصى من زواج  
وطلاق وتوريث والتشريع المدنى من بيع وشراء وسلم واجارة وشفعة ونحوها  
وغير هذين من ألقاظ آخر فى الأيهان والندور والعتق والرق الى آخر ما هو  
منفصل بكتب الفقه والتشريع .

٤- ومنها على ما تقدم فى الخطابة والكتابة من ميزات ترجم الى اللفظ  
والأسلوب، حسن التصرف فى صوغ العبارات والجري على أساليب القرآن  
والحديث مع الاقتباس منهما والاستشهاد بهما مما جعل رجال هذا الصدر  
لا يقفون عند الجمل القصيرة ولا يلتزمون السجع بل يطيلون الجمل كثيرا مدين  
الى الترسل المطلق أحيانا والى الازدواج أو السجع حيناً ولذلك تنوع أسلوبهم  
وانبعث فيه روح القرآن والحديث انبعاتا وفيما فصلناه من وجوه إعجاز القرآن  
ما يبين مدى هذا التأثير فى كل نواحي الفصاحة والبلاغة على تعدد فصولها



وتفرع أبحاثها فلا حاجة فيما يتعلق بالقرآن الى إعادة شيء منه .

## ٢- في حديث رسول الله

أما حديث رسول الله ﷺ فقد كان له بعد القرآن التأثير البين في اللغة من جميع الوجوه التي بينا، مقصدا وغرضا معنى وخيالا لفظا وأسلوبا ذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان أفصح العرب منطلقا وأبلغهم قولاً نشأ في بني سعد ابن بكر وهم على ما هم عليه من الفصاحة رضيعا فارتضعت منهم أفويق الفصاحة البدوية ثم ربي في قریش يافعا فطبع على رقة الحضر وسلاسته ثم علمه اللغات العرب جميعا دون أن يتنقل في قبائلهم أو يخاطب في العشرة بطونهم وأنفادهم فكان لذلك كله محل العجب والادش عند مخالطيه ومعاشره حتى لقد قال له أبو بكر رضى الله عنه لقد طفت العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك يا رسول الله فن أدبك « يريد علمك » فقال له عليه الصلاة والسلام ( أدبى ربي فأحسن تأديبي ) وقال له على رحمه الله وقد سمعته يخاطب وقد بنى هديمتل ما كتب به إلى وائل بن حجر فيما تقدم، يا رسول الله نحن بنو أب واحد وزراك تكلم وفود العرب بما لا نفهمه فأجابه ﷺ بقوله السابق ( أدبى ربي فأحسن تأديبي ) فهو كما قال عن نفسه ( أنا أفصح العرب بيد أنى من قریش ونشأت في سعد بن بكر ) . فلا غرو أن رأت العرب في كلامه ﷺ وان كان من نوع كلامهم، الفصاحة المتدفقة والبلاغة المتمكنة حتى إنه ليخاطب كل قبيل بأعلى ما عرف في لغته وأتقن ما سمع من لهجته كأنه نشأ فيهم وربى بينهم وكان ذلك فيه عن سليقة وطبع فأخذوا يقصدون قصده وينهجون نهجه حتى ازدانت ألفاظهم بدرر ألفاظه وأشرقت معانيهم بغير معانيه وجاءت السنة مقفية للكتاب فيما دخل اللغة من تقدم وارتقاء .

على هذه الدرجة كان صلى الله عليه وسلم من البيان ثم كان صاحب الدعوة وعنده ملتقى الوفود والمتعلمين فصدر عنه من الاحاديث ما اقتضاه هذا الموقف، من تفصيل لما أجمل القرآن وإيضاح لما أبهم واطلاق لما قيد وتقييد لما أطلق، ومن تشريع وتقنين في مناحى هذه الحنيفية البيضاء، ومن وعظ وإرشاد وضرب مثل وقص قصص إلى غير ذلك مصوغا كله في القالب الرائع والبيان الساحر فكان كما قدمنا محل الاسوة من المتكلمين والمحاكاة من الناطقين وبهذا أثر في اللغة تأثيرا كان التالي لتأثير الكتاب

هذا على أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الابتكار في اللغة ما وجد بهاجديدا من الاستعمال في بعض المفردات والتركيب. فمن ذلك في المفردات تسميته صفرا الاول بالمحرم حين أبطل الاسلام النسيء وتسميته شق الباب صيرا في قوله (من اطلع من صير ناب فقد دمر) أى دخل وتسميته العاهرة بالزمارة لانها بما نشيع من أمرها كما نما تنفخ في بوق واطلاقه لفظ البحر على فرس ركبه فلم ينقطع جريه كما لا ينقطع تيار للبحر . ومنه في انثراكيب قوله يوم بدر ( هذا يوم له ما بعده ) ويوم حنين ( الآن حمى الوطيس ) والوطيس التنور وهو موقد النار وكذا قوله ( لا ينشطح فيه عنزان ) وقوله ( لا يبلغ المؤمن من جحر مرتين ) وقوله ( كل أرض بسماها ) وقوله ( بعثت في نفس الساعة ) وقوله لحادى ابله ( رفقا بالقوارير ) يريد النساء وقوله السابق في المرأة الحسنة في منبت السوء ( اياكم وخضراء الدمن ) . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لابي تيممة الهجيمي ( اياك والمخيلة ) فقال يا ر . ول الله تحن قوم عرب فما المخيلة فقال سبل الازار . ذلك بعض ما يقال عن فضل القرآن والحديث على اللغة وإنهما لفضل آخر عليهما هو حفظها هذا العمر المديد الذى لا ينتظر أن يزولا لانهما منبع التشريع وموطن الدين ثم إن عناية المسلمين بجميع العلوم العربية والشرعية لم تكن إلا محافظة عليهما حتى يبقيا معروفين للمسلمين غيره مستغلقى المعانى على الافهام وهاتان ناحيتان لم تكونا لأى كتاب مما سوى على اللغة التي نزل بها كما كانتا للقرآن .

## الشعر في صدر الاسلام

١ - نماذجه

قال حسان بن ثابت يتوعد قريشا بنصرة قومه لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم على مشركيهم

تثير النقم موعدها كداء	عدمنا خيلنا إن لم تروها
على أكتافها الأمل الظماء	يبارين الأسنان مصغيات
نلطمهن بالخمر النساء	تظل جيادنا متمطرات
وكان انفتح وانكشف الغطاء	فأما تعرضوا عنا اعتمرنا
يعين الله فيه من يشاء	وإلا فاصبروا لجلاد يوم
هم الانصار عرضتها اللقاء	وقال الله قد يسرت جندا
قتال أو سباب أو هجاء	لنا في كل يوم من معد
ونضرب حين تختلط الدماء	فنتحكم بالقوافي من هجانا
يقول الحق ليس به خفاء	وقال الله قد أرسلت عبدا
فقلتم ما نجيب وما نشاء	شهدت به وقومي صدقوه
وروح القدس ليس له كفاء	وجيريل أمين الله فينا
فانت مجوف نخب هواء	ألا أبلغ أبا سفيان عني
وعبد الدار سادتها الاماء	بان سيوفنا تركتك عبدا
وعند الله في ذلك الجزاء	هجوت محمدا فاجبت عنه
فشركا تخيركا القداء	أتهجوه ولست له بكفاء

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء  
 فان أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاه  
 لساني صارم لاعيب فيه وبحري ما تكدره الدلاء  
 وأبو سفيان الذي ذكو هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان كثير  
 الهجاء للنبي. ومن هجاء حسان له هذه القطعة التي استله فيها من الشجرة الكريمة  
 وصب عليها الهجاء وحده قال

لقد علم الأقبام أن ابن هاشم هو الغصن ذوالافتان لا الواحد الوعد  
 ومالك فيهم محمد يعرفونه فدونك فالصق مثل مالصق القرود  
 وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد  
 وما ولدت أبناء زهرة منهم كرام ولم يقرب عجائزك المجد  
 واست كعباس ولا كابن أمه ولسكن هجين ليس يورى له زند  
 وإن امرأ كانت سمية أمه وصمراء مغمور إذا بلغ الجهد  
 وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد  
 ومن شعره يفاخر وقد تيم بقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله

إن الدواب من فهر واخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبم  
 يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الاله وبالامر الذي شرعوا  
 قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النقم في أشياعهم نفعوا  
 سجية نلك فيهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع  
 لا يرقع الناس ما أوهت أ كفهم عند الدفاع ولا يوهون ما وقعوا  
 إن كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبم  
 أ عفة ذكرت في الوحى عفتهم لا يطمعون ولا يزرى بهم طبع  
 لا يفخرون إذا نالوا عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع

وقال أبو ذهيل الجمحي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

إن البيوت معادن فنجاره ذهب وكل بيوته ضخم  
 عقم النساء فما يلدن شبيبه إن النساء بمنله عقم  
 متهلل بنعم بلا متباعد سيان منه الوفر والعدم  
 نزر الكلام من الحياء نخاله ضمنا وليس بجسمه سقم

وقال كعب بن زهير

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول  
 وماسعاد غداة الين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول  
 هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لايشكي قصر منها ولا طول  
 تجاؤ عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول

إلى أن قال

أمست سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل  
 ثم أطال في وصف الناقة إلى أن خرج منه يقول

تسعى الوشاة جنابها وقولهم إنك يا بن أبي سلمى لمقتول  
 وقال كل خليل كنت آمله لأهينك إني عنك مشغول  
 فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم فكل ما قدر الرحمن مفعول  
 كل ابن أنثي وإن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول  
 أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول  
 مهلاهداك الذي أعطاك نافلة قرآن فيها موايعظ وتفصيل  
 لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت في الأقاويل

إلى أن قال

إن الرسول لسيف يستضياء به      مهند من سيوف الله مسلول  
 في فتية من قريش قال قائلهم      بيطان مكة لما أسلعوا زولوا  
 زالوا فما زال أنكاس ولا كشف      عند اللقاء ولا ميل معازيل  
 شم العرائن أبطال لبوسهم      من نسج داود في الهيجا سراويل  
 ببض سوابغ قد شكت لها حلق      كأنها حلق القفعاء مجداول  
 لا يفرحون اذا نالت رماحهم      قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا  
 يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم      ضرب اذا عرد السود التنايل  
 لا يقع الطعن الا في نحورهم      وما لهم عن حياض الموت تهليل  
 وقال النابغة الجعدي من قصيدة يمدح رسول الله

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى      ويتلو كتابا كالجرة نيرا  
 أقيم على التقوى وأرضى بفعلها      وكنت من النار المخوفة أحذرا  
 الى أن قال يفتخر

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا      وإنا لرجو فوق ذلك مظهرا  
 فقال له النبي فابن المظهر يا أبا ليلى فقال الجنة فقال له ان شاء الله  
 وقال معن بن أوس

لعمرك ما أهويت كفى لريبة      ولا حملتني نحو فاحشة رجلى  
 ولا قادني سمعى ولا بصرى لها      ولا دلنى رأى عليها ولا عقلى  
 وأعلم أنى لم تصبني مصيبة      من الدهر الا قد أصابت فتى قبلى  
 ولست بماش ما حبيت لمنكر      من الأمر لا يمشى مثله منلى  
 ولا مؤثرا نفسى على ذى قرابة      وأوثر ضيفى ما أقام على أهلى  
 وهو صاحب الميمية التى مطلعها

وذى رحم قامت أظفار ضغنه بحامى عنه وهو ليس له حلم.  
وهى طويلة أجاد فيها وصف الحلم والتجمل مقابلا به السفاهة والتناول  
وقال ابن مقروم الضبي يفتخر

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم أوظفة القوائم هيكل  
فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه اذا لم أنزل  
وألد ذى حنق على كأنما تغلى عداوة صدره فى مرجل  
أوجبته عنى فأبصر قصده وكويته فوق النواظر من عل  
وقال عبدة بن الطبيب يرثى قيس بن حاصم المنقرى

عليك سلام قيس بن حاصم ورحمته ما شاء أن يترجما  
تحية من غادرته غرض الردى اذ زار عن شحط بلادك سلما  
فما كان قيس ملكه هلك واحد ولسكنه بنيان قوم تهدما  
وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي

ولما رأيت الخيل زورا كأنها جداول زرع أرسلت فاسبطرت  
فجاشت الى النفس أول مرة فردت على مكروها فاستقرت  
علام تقول الرمح يثقل حاتقى إذ أنا لم أطعن اذا الخيل كرت  
ومن مرثى متعم بن نويرة فى أخيه مالك وهى كثيرة وطويلة قوله

جميل الحيا ضاحك عند ضيفه أغر جيم الرأى مشترك الرجل  
وقور اذا القوم الكرام تقارلوا فحلت حباهم واستطيروا من الجهل  
وكنت الى نفسى أشد حلاوة من الماء بالماذى بالعسل النحل  
وكل فتى فى الناس بعد ابن أمه كساقطة احدى يديه من الخبل  
وبعض الرجال نخلة لا جنى لها ولا ظل الا أن تعد من النخل

وقال العباس بن مرداس

ترى الرجل النحيف فتزدريه      وفي أثوابه أسد مزير  
 ويعجبك الطرر فتبتليه      فيخلف ظنك الرجل الطرير  
 فما عظم الرجال لهم بفخر      ولكن فخرهم كرم وخير  
 بغاث الطير أكثرها فراخا      وأم الصقر مقالات زور  
 ضعاف الطير أطولها جسوما      ولم تطل البزاة ولا الصقور  
 لقد عظم البعير بغير لب      فلم يستغن بالعظم البعير  
 يصرفه الصبي بكل وجه      ويحبسه على الخسف الجرير  
 وتضربه الوليدة بالهراوى      فلا غير لديه ولا نصكير  
 فان أك في شراركم قليلا      فأنى في خياركم كثير

وقال الحطيئة يمدح بغيض بن عامر من آل لآى ويذم ابن عمه الزبرقان بن بدر

من آل بهدلة وكلاهما يرجع إلى عوف بن كعب بن سعد تميم .

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا      في آل لآى بن شماس بأ كياس  
 لقد مريتكم لو أن درتكم      يوما يجيء بها مسجى وإيسامى  
 وقد مدحتكم عمدا لارشدم      كما يكون لكم متجى وإرامى  
 وقد نظرتكم إيناء صادرة      لاخمس طال بها حوذى وتسامى  
 لما بدا لى منكم غيب أنفسكم      ولم يكن لجراحي منكم آمى  
 أجمعت ياسا مبينا من نوالكم      ولا يرى طاردا للحرك كالياس  
 ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا      ذا فاقة حل في مستوعر شامى  
 جارا لقوم أطالوا هون منزله      وغادروه مقبيا بين أرماس  
 ملوا قراه وهرتة كلابهم      وجرحوه بانياب وأضراس  
 لا ذنب لى اليوم أن كانت نفوسهم      كفارك كرهت ثوبى وإلبامى



من يفعل الخير لا يعدم جوازيه      لا يذهب العرف بين الله والناس  
 دع المكارم لا ترحل لبغيتها      واقعد فانك أنت الطاعم الكامى  
 قد ناضلوك فأبدوا من كنانتهم      مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس  
 ما كان ذنبى أن فلت معاولكم      من آل لأى صفاة أصلها رامى  
 وقال فى ذلك أيضا .

وإن التى نكبتها عن معاشر      على غضاب أن صددت كما صدرا  
 أنت آل شماس بن لأى وإنما      أتاها بها الاحلام والحسب العد  
 فان الشقى من تعادى صدورهم      وذو الجدمن لانوا اليه ومن ودوا  
 يسوسون أحلاما بعيدا أاناها      وإن غضبوا جاء الحفيظة والجدا  
 أقلو عليهم لا أبا لأبيكم      من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا  
 أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى      وإن طاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا  
 وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها      وإن أنعموا لا كدورها ولا كدوا  
 وإن قال مولاهم على جل حادث      من الدهر ردوا أفضل أحلامكم ردوا  
 وإن غاب عن لأى بغيض كفتهم      نواشىء لم تطرر شواربهم بعد  
 مطاعين فى الهيجا مكاشيف للدجى      بنى لهم آباؤهم وبنى الجدا  
 فمن مبلغ أبناء سعد فقد سعى      الى السورة العليا لهم حازم جلد  
 رأى مجسد أقوام أضيع خنهم      على مجدهم لما رأى أنه الجهد  
 وتعذلى أبناء سعد عليهم      وهل قلت الا يالذى علمت سعد

## ٢ - حاله

انقضى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، دون  
 أن تقوم للشعر الدولة التى كانت له فى الجاهلية ، لأن الحياة فى هذا العهد جاءت

بميدة عن الدواعي التي تخفر إلى قوله حائلة دون كثير من الأغراض التي كان يقال فيها .

فقد كان أهم دواعيه في الجاهلية راجعا إلى العصبية وما تستلزمه من فخر بقبائلهم وعشائريهم إذ كل قبيلة تطلب العزة لنفسها والرفعة على سواها، والاسلام قد أذهب هذه العصبية وجعل الناس كلهم لآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى وبذلك نضب هذا المعين الذي طالما أمد الشعر الجاهلي بالتيار الجارف ذي القرار المسكين

ثم جاء القرآن الكريم نثرا بمعانيه السامية وأساليبه الرائعة وبلغ ما بلغ من إعجاز في كل غرض قصد إليه فأدهشهم فوقه وانصرفت قرائنهم الى الخطابة دون الشعر يستنهضون بها القلوب الى نصرته الدين ويحركون الهمم إلى الغزو والجهاد

فهذان الامران الى أمر ثالث هو اشتغال ذوى المواهب والقرائح - ومن ورائهم الناس - بالدين من حيث تلقى أو امره ونواهيه والوقوف على تعاليمه وارشاداته طول حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن حيث تشرب روحه والتغذى بلبانه والعمل على ترسيخ قدمه وامتداد نفوذه في عهد الخلفاء من بعده، قد أسدلت على الشعر حجابا كثيفا ستره عن الأبصار وجعلت كثيرا من الشعراء الذين جاء الاسلام وهم شعراء يتككبون طريقه ويعبدون عن قوله كلبيد بن ربيعة العامري فليس له في اسلامه على مكانته الجاهلية في الشعر سوى بضعة أبيات أشهرها

الحمد لله إذ لم يأتني أجلى حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

ولذلك حين أرسل اليه المغيرة بن شعبه والى الكوفة لعمر يستنشده ما قال من الشعر في الاسلام كتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها اليه قائلا « أبدلتني الله هذه في الاسلام مكان الشعر »، ولقد بلغ من انصرافه عنه أنه لما أرسل اليه وهو فقير مملق الوليد بن عقبة والى عثمان على الكوفة مائة ناقة لينحر إذ هبت الصبا انفاء لنذر كان منه في الجاهلية ومعها هذه الايات

أرى الجزار تشخذ مديتاه إذا هبت رياح أبي عقيل  
 طويل الباع أبيض جعفرى كريم المجد كالسيف العقيق  
 وفى ابن الجعفرى بما لديه على العلات والمال التقليل  
 كلف ابنته أن ترد على الشعر ولم يجب هو فقالت

إذا هبت رياح أوى عقيل دعونا عند هبتها الوليدا  
 طويل الباع أبيض عبشميا أعان على مروءته لبيدا  
 بأمثال الهضاب كأن ركبا عليها من بنى حام قعودا  
 أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الثريدا  
 فعد إن الكريم له معاد وظنى بابن أروى أن يعودا  
 فقال لها أبوها أحسنت يا بنتى لولا أنك سألت فقال يا أبت إن الملوك  
 لا يستحى من مسألتهم فقال لها وأنت فى هذا يا بنتى أشعر  
 ولقد زاد من انصراف الناس عن الشعر أن الله سبحانه وتعالى صرف نبيه  
 عن قوله فلم يؤثر عنه شىء منه الا ما جاء عفوا من غير قصد كما جاءت بعض  
 آى القرآن فيما سبق وذلك كقوله  
 أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب

وقوله .

هل أنت إلا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت  
 وهذا فى الحقيقة لا يسمى شعرا، كما أنه صلى الله عليه لم يكن يقيم وزن بيت  
 يرويه إذا تمثل به فقد روى بيت طرفة  
 ستبدي لك الايم ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود  
 هكذا «ويأتيك من لم تزود بالأخبار» ، وروى بيت العباس بن مرداس

أُتْجَعَلُ نَهْبِي وَنَهْبِ الْعَبِيدِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأُقْرَعِ

هكذا « بين الاقرع وعينه » ، ولقد كان يقتصر أحيانا على أنصاف الأبيات لسكيلا تم شعرا كقوله « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد ، ألا كل شيء ما خلا الله باطل » هذا إلى ما جاء في القرآن من تهجين الشعر وذم الشعراء بقوله ( والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات »

غير أن ما تقدم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من انصرفه عن قول الشعر وعدم إقامته لوزنه واقتصاره أحيانا على أنصاف الابيات، لم يمنعه أن يعرف للشعر قيمته وتأثيره فحين نهضت شعراء قريش تهجوه وتحط من دعواته أمثال أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبدالله بن الزبيرى وكعب بن الاشرف وغيرهم قال للانصار ما يمنم القوم الذين نصرنا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بالسنتهم فقال حسان بن ثابت أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال والله ما يمررنى به مقول بين بصرى وصنعاء فقال له وكيف تهجوهم وأنا منهم قال إني أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين قال اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ثم اهجوهم وجيريل معك فأخذ حسان يهجوهم مدافعا عنه وعن دينه وانضم اليه في ذلك نفر أخصبهم عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ولكن حسان كان أشدهم وأوجعهم وكثيرا ما كان يقول له صلى الله عليه وسلم شن الغارة على بنى عبد مناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام فى غلس الظلام . ولقد كان يكثر من استنشاد الخنساء رثاء أخيها صخر ويقول لها هيه يا خناس . وهذا كعب بن زهير قد استمع له لاميته (بانة سعاد) فعفا عنه وأثابه عليها بردة اشتراها منه معاوية بعد ثلاثين ألف درهم وتداولها

من بعده الخلفاء يلبسونها في الجمع والأعياد . بل هذه قتيلة أخت النضر بن  
الحارث أنشدته وقد قتل أخاها بعد وقعة بدر أبياتا منها

أحمد ولدتك خير نجيبة في قومها والفحل فحل معرق  
ما كان ضرك لو مننت وربما من التقي وهو المغيظ المحنق  
فالنضر أقرب من قتلت قرابة وأحقهم إن كان عتق يعتق  
لو كنت قابل فدية لعديته بأعز ما يغلى به من ينفق

فقال صلى الله عليه وسلم لو سمعت هذا قبل قتله لمننت عليه . فهو عليه الصلاة  
والسلام كان يعجبه من الشعر ما وافق الحق لما فيه من العظة والعبرة والتنبيه  
والتذكير والحض على الفضائل والدعوة إلى المسكارم روى أنه قال للعلاء بن  
الحضرمي هل تروى شيئا من الشعر فأشده

وحى ذوى الاضغان تسب عقولهم تحميتك الحسنى وقد يرقع النعل  
فان دحسوا بالكره فاعف تكرا ما وإن خذسوا عنك الحديث فلا تسل  
فان الذى يؤذيك منه سماعه وإن الذى قالوا وراءك لم يقل

فقال إن من الشعر لحكمة فاذا ألبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر  
فانه عربى . ومن ذلك يفهم أن صرف الله عن قول الشعر لم يك لتحریم الشعر  
وإنما كان لأنه لا ينبغى لنبي أن يقوله كما قال سبحانه « وما علمناه الشعر وما  
ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » وأنى لنبي أن يجمع بين مقاصد النبوة  
من الايمان والحق والمكرمة والفضيلة وبين ما يهيم فيه الشعراء من نخر وهجاء  
وتشبيب وهيام وكذب وضلال مما من أجله لاسواه ذم الله الشعراء قاصدا  
تلك الطائفة التى لا تخشى فى قولها ديننا ولا حقا ولا فضيلة ولا معروفًا .

ولقد سار خلفاؤه صلى الله عليه وسلم من بعده إزاء الشعر كما سار، فكانوا

يميزون بين شعر وشعر فيجيزون على ما هو حسن مفيد ويعاقبون على ما هو  
شأن ضار وما منهم إلا من تمثل بالشعر أو قاله وحض على روايته وحرص  
على حفظه. قال سعيد بن المسيب كان أبو بكر شاعرا وعمر شاعرا وعلى أشعر  
الثلاثة. وقال المفضل لم يبق أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
إلا وقد قال الشعر أو تمثل به . وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها كثيرة  
الرواية للشعر حتى قيل إنها كانت تحفظ جميع شعر لبيد وكانت تقول رووا  
أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم. وكذلك وأ أكثر كان أبوها أبو بكر رحمه الله.  
وكان عمر رضى الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه شعرا وبما هو  
مأثور عنه قوله أفضل صناعات الرجل الآيات من الشعر يقدمها في حاجته  
يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها قلب اللئيم وقوله لابنه عبد الرحمن،  
يا بني انسب نفسك تصل رحمتك واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك فإن من لم يعرف  
نسبه لم يصل رحمه ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقا ولم يقترف أدبا وقد  
يلغ من اعتباره للشعر أن صار يحض عليه حضا كقوله تعلموا الشعر فإن فيه  
محاسن تبتغى ومساوى تتقى ولقد روى أنه كتب الى أبي موسى الأشعري  
يقول له مر من قبلك بتعلم الشعر فانه يدل على معالى الاخلاق وصواب الرأى  
ومعرفة الأنساب . هذا الى ما كانوا جميعا يرون في الشعر من تمنع آخر يعرفون  
قدره ويرجون خيره هو حاجتهم اليه في تفسير القرآن. قال ابن عباس اذا قرأتم  
شيئا في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب

على أن هذا كله لم يمنع الخلفاء أن يفضلوا حفظ القرآن على حفظ الشعر  
فقد ذكر أن عمر رحمه الله لما بعث الى المغيرة بن شعبه واليه على الكوفة أن  
استنشد من قبلك من الشعراء ما قالوا في الاسلام وكتب اليه لبيد سورة البقرة

وقال أبدانى الله هذه فى الاسلام مكان الشعر كما تقدم فكتب هو بذلك الى عمر ، زاد عمر فى عطاء لبيد خمسمائة . كما ذكروا أن غالباً أبا الفرزدق حين جاء بابنه هذا وهو غلام الى على كرم الله وجهه بالبصرة بعد وقعة الجمل وقال له إن ابني هذا من شعراء مضر فاستمع له قال له على « علمه القرآن » ولعل هذه الوصاية هى التى جعلت الفرزدق فى كبره يحتبس نفسه ويقيد رجله كما يحفظ القرآن . كما لم يمنعهم أن يضربوا على أيدي الشعراء الخارجين عن سياج العفة والدين بالهجو المقذع والتشبيب الفاحش ونحوها مما هو محرم كنعث الخمر والدعوة بدناء الجاهليين فهذا عمر قد حبس الحطيئة بعد حادثته مع الزبرقان . ابن بدر لا سرافه فى الهجو والدم ولم يطلقه على كثرة ما استعطفه به من شعر حتى أنشده عن صبيته قوله

ماذا تقول لأفراخ بذي سلم	زغب الحواصل لأماء ولا شجر
ألقيت كاسيهم فى قعر مظلمة	فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الامام الذى من بعده صاحبه	أتى اليك مقاليد الوري البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها	لكن لأنفسهم كانت بك الاثر
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم	بين الاباطح تغشاهم بها القرر
أهلى فداؤك كم بينى وبينهم	من عرض داوية يعمى بها الخبر

فرق للصبية ومع ذلك لم يطلقه إلا بعد أن أخذ عليه عهداً ألا يهجو المسلمين وقيل بل اشترى منه أعراضهم بثلاثة آلاف درهم ، وكذلك كان يمنع الشعراء أن يشببوا بالنساء ويتوعد من يخالف بالعقوبة ولهذا قالوا إن حميد بن ثور حين ذكر السرحة فى أبياتة المشهورة كان يريد امرأة ولكنه لم يجرؤ على التصريح بها خوفاً من عمر . ومن هذه الابيات قوله

سقى السرحة المحلال والابطح الذي به الشرى غيث منجن وبروق  
 فقد ذهبت طولاً فما فوق طولها من النخل الاعشة وسجوق  
 فياطيب رباها ويا برد مائها إذا حان من حامى النهار ودوق  
 حى ظلها شكس الخليقة خائف عليها عرام الطائفين شفيق  
 فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا النىء من برد العشى تذوق  
 وعلى نحو من هذا جرى عثمان رحمه الله في خلافته فقد حبس ضابئ بن الحارث  
 البرجمي لاقتداعه في الهجاء حتى مات في السجن

عن هذه الدائرة كان لا يخرج الشعراء الذين جاء الاسلام وهم شعراء غير  
 أنهم كانوا بعد الفئمة التي عدلت عن قول الشعر جملة ثلاث فئات اثنتان تتقاتلان  
 هما فئمة الانصار المناصرة لرسول الله المدافعة عن دينه وفئمة المشركين الهاجية  
 لرسول الله المهجنة لدعوته وقد تقدمت أسماء أشهر الفئتين وكان من آثارهما  
 كثرة الشعر في مكة والمدينة حياة النبي صلى الله عليه وسلم دون عهد الخلفاء  
 الراشدين فقد عاد فيهما فيه كما كان، أما الفئمة الثالثة فهي التي بقيت بقول الشعر  
 في اسلامها كما كانت تقوله تقريبا في جاهليتها ولكن فيما لا يخالف الدين الاعلى  
 لسان القليل ومن هؤلاء وهم كثير أبو دهب الجمحي وكعب بن زهير والنابعة  
 الجعدى ومعن بن أوس وابن مقروم الضبي وعبدية بن الطبيب وعمرو بن معديكرب  
 ومتمم بن نويرة والعباس بن مرداس والحطيئة وغيرهم من سائر الخضرمين  
 الذين أخذوا هذا الاسم من قولهم ماء خضرم إذا تناهى في السعة الى الكثرة  
 لتناولهم العصريين وهذا تعليل أبي الحسن الاخفش أو من قولهم خضرم فلان عطيته  
 إذا قطعها كما ذكر في المزهري لأنهم قطعوا عن الجاهلية بالاسلام على أن بعضهم  
 ذكر الكلمة بالحاء المهملة من الخضرمة وهي الخليلط لأنهم خلطوا بين عصرين



فهذه الفئة هي التي لم تبتعد كثيرا في شعرها الاسلامي عن المنحى الذي كانت تنحوه في شعرها الجاهلي بخلاف الفئتين السابقتين فان البون بين شعريهما جاهلية وإسلاما جاء شاسعا لتباين الغرض في العهدين ولاختلاف المعاني التي كان يقتضياها هذا التباين ، وانما قلنا كثيرا لان شعرها الاسلامي لم يخل بالنظر الى شعرها الجاهلي من تغيرات في أغراضه ومراميه وفي أخيلته ومعانيه وفي الفاظه ومبانيه تأثرا بالقرآن الكريم والحديث الشريف على نحو ما تأثر بهما اللثر فيما قدمنا هناك وفي هذا بعض الابتعاد . وهذي بعض أمثلة توضح مدى هذا التأثير غرضا ومعنى اذ لسنا في حاجة الى إعادة القضايا عنهما من جديد .

قال كعب بن زهير في القضاء والقدر

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني      معى الفتى وهو مخبوء له القدر  
يسمى الفتى لأمر ليس يدركها      فالنفس واحدة والهيم منتشر  
والمرء ما عاش ممدود له أمل      لا يفتهى العمر حتى ينتهى الأمر

فان من هذا التصوير لحقيقة القضاء والقدر واتسليم لهما وحد الآجال من غير تقديم ولا تأخير قول زهير بن أبى سلمى وهو أحكم الشعراء الجاهليين رأيت المنايا خبط عشواء من تصبب      تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم  
ومن هذه الناحية ناحية التباين في الغرض والمعنى قول بجير بن زهير في عقيدة التوحيد لأخيه كعب يدعوه للإسلام

الى الله لا العزى ولا اللات وحده      فتنجو اذا كان النجاء وتسلم  
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت      من النار الا طاهر القلب مسلم  
فدين زهير وهو لا شيء باطل      ودين أبى سلمى على مجرم

ومثل ذلك ما يتعلق باليوم الآخر ومعانياته وفيه يقول أبو ذؤيب

يا عبيد زفم الكتاب واقترّب الموعد والحساب  
وكذا ذكر الورع والتقوى والزهد في الدنيا والرغب في الآخرة  
ولقد جادت الحكمة في هذا العصر دينة لكثرة ما جاء منها في السنة والكتاب  
حتى طبعت بطابع باعد بينها وبين حكم البداوة قال حسان  
وان أمرا يمسى ويصبح سالما من الناس الا ما جنى لسعيد  
وقال أيضا:

رب حلم أضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم  
وقال كعب بن زهير

مقالة السوء الى أهلها أسرع من منحدر سائل  
ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

وقال النابغة الجعدي

ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدر  
ولا خير في جهل اذا لم يكن له حلیم اذا ما أورد الأمر أصدرا  
وحتى الشعراء البعيدة نفوسهم عن تهذيب الدين ظهر التأثير به في أغراضهم  
ألا ترى الى قول الخطيئة

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد  
وتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للاتقى مزيد  
وما لا بد أن يأتي قريب ولكن الذي يمضى بعيد  
والى قوله وهو أحكم بيت بالاجماع

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس  
وهناك أغراض عدل عنها لا يبطال الاسلام اياها كمنعت الحجر والافذاع

في الهجو والفحش في القول، فالاول لم يقل فيه شيء وكذا الثاني إلا ممن اجترأ  
على بعض منه ونال جزاءه كالخطيئة من عمر وابن ضابئ من عمان والثالث  
كان يكنى فيه الشعراء غير مجترئين على التصريح كما تقدم في غزل حميد بن ثور  
أيام عمر ولذا كان غزل هذا العصر عفا كما رأيت في مطلع قصيدة كعب  
بن زهير

أما التأثر في الالفاظ والاساليب فقد جاء واضحا كل الوضوح انظر قوله  
تعالى ( وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ) وقوله ( عزيز عليه ما عنتم  
حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ) كيف أخذ الاول حسان فقال  
أتهجوه ولست له بكفء فشر كما تلخير كما القداء  
وكيف أخذ الثاني في رثاء رسول الله فقال  
عزيز عليه أن يميدوا عن الهدى حريص على أن يستقيموا ويهدوا  
وكذلك أخذ قوله

وهل يستوى ضلال قوم تسفها صمى وهداة يهدون بمهد  
من قوله تعالى ( قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور )  
وانظر قول معن بن أوس

فما زلت في لبي له وتعطى عليه كما تحنو على الولد الام  
وخفضى له منى الجناح تألفا لتدنيه منى القرابة والرحم  
مع قوله تعالى ( واخفض لها جناح الذل من الرحمة ) وكذلك قول  
الناطقة الجعدى

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما  
المولج الليل في النهار وفي الام ميل نهارا يفرج الظلما

مع قوله تعالى «يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل» وهذا كثير جدا ولا سيما في أشعار حسان وعبد الله بن رواحة وأممية بن أبي الصلت ونحوهم ممن كانت لهم نزعة إلى الدين في أقوالهم، قال حسان

فأما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء  
وقال عبد الله بن رواحة

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا  
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا  
وقال أممية بن أبي الصلت

لك الحمد والنعماء والملك ربنا فلا شيء أعلى منك مجدا وأمجدا  
وقال آخر

فانك لاتدرى بأية بلدة تموت ولا ما يحدث الله غدا



## العصر الاموي

يبتدىء هذا العصر من سنة إحدى وأربعين المعروفة بعام الجماعة عام تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية وينتهي بقيام الدولة العباسية سنة اثنتين وثلاثين بعد المائة فمدته اثنتان وتسعون سنة . وإذا كان الشعر والخطابة قد تداولا المسكانة في العصرين السابقين له فكانت للشعر في العصر الجاهلي وللخطابة في صدر الاسلام فانهما كانا في هذا العصر فرسي رهان فهو عصر خطابة وشعر في آن وهما فيه بينا الفضل معا على ما قبله من العصور . كما أن الكتابة خطت فيه خطوة أوجدت الكتابة العلمية والديوانية غير الانشائية وتمشت بالانشائية نحو الفنية فصارت في أواخره صناعة ذات تعاليم كانت الاساس لازدهارها في العصر العباسي بعد كما أوجدت في الكتابة الخطية شيئا ذا بال .

ولما كان كلامنا على الخطابة والكتابة الانشائية في صدر الاسلام متمشيا عليهم الى قدر في هذا العصر وليس في حاجة إلا إلى نماذج وبعض زيادات فقد رأينا مقدمة الكلام عليهما فيه وبعدهما نفرغ لما هو باق .

### ١ - الخطابة

#### ١ - نماذجها

قدم معاوية المدينة عام الجماعة فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني والله ما وليتها بحجة منكم ولا هسرة بولايتي ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة واتقد رضى لكم نفسى على عمل ابن أبي قحافة وأردتها على عمل

عمر فنفرت منى اذ ذاك تفارا شديدا وأردتها على سنيات عمان فأبت على ،  
فسلكت بها طريقا لى ولسكم فيه منفعة مؤا كلة حسنة ومشاركة جميلة فان لم  
تجدوني خيركم فأنى خير لسكم ولايه، والله لأحمل السيف على من لاسيف له وان  
لم يكن منكم إلا ما يشتفى به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك دبر أذنى وتحت  
قدمى ، وإن لم تجدوني أقوم بحققكم كله فاقبلوا منى بعضه فان أتاكم منى خير  
فاقبلوه فان السيل اذا جاد أرى وإن قل أغنى وإياكم والفتنة فانها تفسد  
المعيشة وتكدر النعمة .

وخطب وهى آخر خطبة له فبعد أن صعد المنبر، حمد الله وأثنى عليه ثم  
قبض على لحيته وقال . أيها الناس إنى من زرع قد استحصد وقد طالت عليكم  
إمرتى حتى مللتكم ومللتمونى وتمنيت فراقكم وتمنيت فراقى وإنه لن يأتىكم  
بعدى الا من هو شر منى كما لم يأتكم قبلى الا من كان خيرا ، منى وانه من أحب  
بقاء الله أحب الله لقاءه، اللهم انى أحببت لقاءك فأحبب لقاءى

وخطب الناس بالمومم عتبة بن أبى سفيان فى سنة إحدى وأربعين وعهد  
الناس حديث بالفتنة فاستفتح ثم قال أيها الناس إنا قد ولينا هذا الموضع الذى  
يضاعف الله فيه للمحصن الاجر وعلى المسىء الوزر فلا تمدوا الاعناق الى  
غيرنا فانها تنقطع دوننا ورب متمن حنفة فى أمنيته. اقبلوا العافية ما قبلناها منكم  
وفىكم وإياكم ولو فقدت أتعبت من كان قبلكم ولن يريج من بعدكم فاسألوا الله  
أن يعين كلا على كل . فنعمق به أعرابى من مؤخر المسجد، أيها الخليفة فقال  
لست به ولم تبعد قال فى اخاه قال قد أسمعت فقل قال والله لان تحسنوا  
وقد أسأنا خير لكم من أن تسيثوا وقد أحسنا فان كان الاحسان لكم فما  
أحقكم باستتمامه وإن كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا ، رجل من بنى عامر يات اليكم

بالعمومة ويختص اليكم بالثمولة وقد وضئه زمان وكثرة عيال وفيه أجر  
وعند شكر، فقال عتبة أستعيز بالله منك وأستعينه عليك قد أمرت لك بفذاك.  
فليت إمرأنا اليك يقوم بأبطائنا عنك

وخطب الناس بمصر عن موجدة فقال، يا حاملي الألام أنوف ركبت بين أعين  
إني إنما قلت أظفاري عنكم ليلين مسى لكم وسألتكم صلاحكم إذ كان فسادكم.  
باقيا عليكم فأما اذا أبيتكم الا الطعن على السلطان والتنقص للسلف فوالله لا قطعن.  
بطون الشياط على ظهوركم فان حسمت أدواءكم وإلا فان السيف من ورائكم.  
فكم من حكمة منا لم تعها قلوبكم ومن موعظة مناصمت عنها آذانكم ولست ابخل.  
بالعقوبة اذا جدتم بالمعصية ولا أويسكم من مراجعة الحسنى إن صرتم الى التي  
هى أبر وأتقى .

ولما عقد معاوية البيعة لابنه يزيد قام الناس يخطبون فقال معاوية لعمرو  
ابن سعيد قم يا أبا أمية فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان يزيد بن  
معاوية أمل تأملونه وأجل تأمنونه إن استضفتكم الى حلمه وسعكم وان احتجتم  
الى رأيه أرشدكم وان افتقرتم الى ذات يده أغناكم، جذع قارح سوبق فسبق.  
وموجد فوجد وقورع ففاز سمه، فهو خلف أمير المؤمنين ولا خلف منه ، فقال.  
معاوية أو سعت أبا أمية فاجلس

وخطب يزيد بن معاوية عقب موت ابيه فقال، الحمد لله الذى ماشاء صنع  
من شاء أعطى ومن شاء منع ومن شاء خفض ومن شاء رفع، إن أمير المؤمنين  
كان جبلا من جبال الله مده ماشاء أن يمه ثم قطعه حين أراد أن يقطعه وكان  
دون من قبله وخيرا ممن يأتى بعده ولا أزكيه عند ربه وقد صار اليه فأف  
يعف عنه فبرحمته وان يعاقبه فبذنبه، وقد وابت بعده الامر ولست أعتر

من جهل ولا أمى على طلب علم وعلى رسلكم اذا كره الله شيئا غيره واذا  
أحب شيئا يسره

وخطب زياد حين قدم البصرة واليا من قبل معاوية خطبة لم يحمدها الله فيها قال  
أما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغى الموفى باهله على النار ما فيه  
سفهاؤكم ويشتمل عليه جملهاؤكم من الامور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى  
عنها الكبير، كما أنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا بما أعد الله من الثواب  
الكريم لأهل طاعته والعذاب الاليم لأهل معصيته فى الزمن السمرمدى الذى  
لا يزول أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار  
القانية على الباقية ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الاسلام الحدث الذى لم تسبقوا  
اليه من ترككم هذه المواخير المنصوبة والصفقة المسلوقة فى النهار المبصر والعدد  
غير قليل . ألم يكن منكم نهاية تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار، قربتم القرابة  
وباعدتم الدين تعتذرون بغير العذر وتغضون على النكر كل أمرىء منكم يذب  
عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا . ما أنتم بالعلماء وانقد  
اتبتم السفهاء فلم يزل بكم ماأرون من قيامكم دونهم حتى اتتهكوا حرم الاسلام  
ثم أطرقوا وراءكم كنوسا فى مكائس المريب . حرام على الطعام والشراب حتى  
أسويها بالارض هدماء وإحراقا. إن هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به أوله  
لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف وإنى أقسم بالله لا آخذن الولى بلولى  
والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدير والصحيح بالسقيم حتى يلقي الرجل منكم أخاه  
فيقول « انج سعد فقد هلك سعيد » أو تستقيم لى قناتكم . إن كذبة الامير  
بلقاء مشهورة فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتى . من نقب منكم  
عليه فانا ضامن لما ذهب له فإياى ودلج الليل فانى لأوتى بدلج الاسفكت دمه

م - ١٥ أدب



وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخير الكوفة ويرجع اليكم . وإياي ودعوى الجاهلية فاني لأجد أحدا دأبها إلا قطعت لسانه. وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ولقد أحدثت لكل ذنب عقوبة، فمن أغرق قوما أغرقناه ومن أحرق قوما أحرقناه ومن تقب بيتنا تقبنا على قلبه ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا فكفوا عنى ألسنتكم وأيديكم أكف عنكم يدي ولساني، ولا يظهرن من أحد منكم ربة بخلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه. وقد كانت بيني وبين قوم إحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي فمن كان محسنا فليزدد في إحسانه ومن كان مسيئا فليززع عن إساءته، واني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته فان فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم قرب مبيتس بقدمنا سيرر ومسرور بقدمنا سبيتس . أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحيبنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا واعلموا أني مهما أقصر فيه فلن أقصر عن ثلاث، لست محتجبا عن طالب حاجة ولو أتاني طارقا بلبل ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانة ولا مجمرا لكم بعنا، فادعوا الله بالصالح لا تمتكم قانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذي اليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بفضهم فيشتد لذلك أسفكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم. أسأل الله أن يعين كلا على كل واذا رأيتموني أنفذ فيكم أمرا فأنفذوه على أذلاله وإيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يـصـكون من صرطى.

ثم نزل

وقدم الحجاج أميرا على العراق سنة خمس وسبعين بعد قتله ابن الزبير  
بالحجاز فدخل الكوفة قبل البصرة فصعد المنبر فكث ساعة لا يتكلم حتى اذا  
رأى عيون الناس اليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضغ العمامة تعرفوني  
يأهل الكوفة انى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وكأنى  
أنظر الى الدماء بين العمام واللقى

هذا أوان الشد فاشتدى زيم قد لفها الليل بسواق حطم  
ليس براعى إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم  
ثم قال

قد لفها الليل بعصلبى أروع خراج من الدوى مهاجر ليس بأعرابى  
وقال

قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجذوا  
والقوس فيها وتر عرد مثل ذراع البكر أو أشد  
انى والله يأهل العراق مايقعتم لى بالشنان ولا يغمز جانبى كتغماز التين ولقد  
فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر  
كياتته بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم  
بى لانكم طالما أوضعتم فى انفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لاحزمنكم  
حزم السامة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل فانكم لكأهل قرية كانت آمنة  
مطمئنة يأتيا رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس  
الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . وانى والله ماأقول الا وفيت ولا أهم الا  
أمضيت ولا أخلق الا فريت، وإن أمير المؤمنين أمرنى بأعطائكم أعطياتكم

وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخاف بهم أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه

ولما قدم مصعب بن الزبير العراق واليا عليها من قبل أخيه عبد الله بن الزبير الخليفة بالحجاز وعبد الملك يومئذ خليفة بالشام صعد المنبر ثم قال : طسم تلك آيات الكتاب المبين تنلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين - وأشار بيده نحو الشام ثم قال - وزيد أن ممن على الدين استضعفوا في الأرض ونجعهم أئمة ونجعهم الوارثين - وأشار بيده نحو الحجاز ثم قال - ونك كن لهم الأرض وزرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون - وأشار بيده نحو العراق - ثم نزل .

ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل أخيه مصعب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم سكت متأثراً ثم تكلم فقال: الحمد لله له الخاق والأمر والدنيا والآخرة يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء. أما بعد فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه وإن كان معه إلا نام ولم يذل من كان الحق معه وإن كان فرداً إلا وإن خبراً من العراق أتانا فأحزننا وأفرحنا فأما الذي أحزننا فإن لقراق الحميم لوعة يحزن بها حميمه وأما الذي أفرحنا فإن قتل المصعب له شهادة ولنا ذخيرة أسلمه النعمام المصالم. ألا وإن أهل العراق باعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه فإن يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وابن صممه وكانوا الخيار الصالحين. إنا والله لأنموت حتفاً ولكن قصفاً بالرماح وموتاً تحت ظلال السيوف وليس كما يموت بنو مروان . الا انما الدنيا طارية من الملك الأعلى

الذي لا يبديد ذكره ولا يذل سلطانه فان تقبل على لم آخذها أخذ الاشر البطر.  
وان تدبر عتي لم أبك عليها بكاء الخرق المهين . ثم نزل .

ودخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد أن قتل المصعب فصعد المنبر  
حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال . أيها الناس إن الحرب صعبة مرة  
وان السلم أمن ومسرة وقد زبنتنا الحرب وزبناها فعرفناها وألفناها فنحن  
بنوها وهي أمنا . أيها الناس فاستقيموا على سبيل الهدى ودعوا الاهواء المردية  
وتجنبوا فراق جماعات المسلمين ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين وأنتم  
لا تعملون أعمالهم ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة الا شرا ولن تزداد بعد  
الاعذار اليكم والحجة عليكم الاعقوبة فن شاء منكم أن يعود لمثلها فليعد فأما  
مثلي ومثلكم كما قال قيس بن رفاعة .

من يصل نارى بلاذنب ولا ترة	يصل بنار كريم غير غدار
أنا النذير لكم منى مجاهرة	كيلا ألام على نهى وإنذار
فان عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا	أن سوف تلقون خزيا ظاهر العار
لترجعن أحاديثنا ملعنة	هو المقيم وهو المدلج السارى
من كان فى نفسه حوجاء يطلبها	عندى فانى له رهن باصجار
أقيم عوجته إن كان ذا عوج	كما يقوم قدح النبعة البارى
وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه	عندى وانى لدراك لاوتارى

ولما خرج يزيد بن الوليد بن عبد الملك على ابن عمه الوليد بن يزيد  
ابن عبد الملك رقتله قام خطيبا حمد الله وأثنى عليه ثم قال . أما بعد أيها الناس  
انى ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة فى الملك  
وما بى إطراء نفسى ولا تزكية عملى وانى لظلوم لنفسى إن لم يرحمنى ربي  
ولسكنى خرجت فاضياً لله ودينه وداعيا الى كتابه وسنة نبيه حين درست معالم

الهدى وطفىء نور أهل التقوى وظهر الجبار العنيد المستحل الحرمة والرائب  
 البدهة والمغير السنة فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تطلع على كثير  
 من ذنوبكم وقسوة من قلوبكم وأشفقت أن يدعو كثيرا من الناس الى ما هو  
 عليه فيجيبه من أجابه منكم فاستخرت الله في أمري وسألته أن يكافئ الى نفسهى  
 وهو ابن عمى فى نسبى وكفى فى حسبى فأراح الله منه العباد وطهر منه البلاد  
 ولاية من الله وعزما بلا حول منا ولا قوة ولكن بحول الله وقوته وولايته  
 وعزته . أيها الناس ان لكم على ان وليت أموركم ألا أضع لبننة على لبننا ولا  
 حجرا على حجر ولا أنقل ما لا من بلد الى بلد حتى أسد ثغره وأقيم مصالحه  
 مما يحتاجون اليه وتقوون به فان فضل شيء رددته الى البلد الذى يليه وهو  
 من أحوج البلدان اليه حتى تستقيم المعيشة بين المسلمين وتكونوا فيه سواء، ولا  
 أحد يفويكم فتفتنوا وتفتن أهاليكم فان أردتم بيعتى على الذى بينت لكم فانا  
 لكم به وان مات فلا بيعة لى عليكم وان رأيتم أحدا أقوى عليها منى فأردتم  
 بيعته فأنا أول من يبايعه ويدخل فى طاعته . أقول قولى هذا وأستغفر الله  
 لى ولكم

وخطب عمر بن عبدالعزيز وهى آخر خطبة له قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه .  
 أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى وان لكم معادا يحكم الله  
 بينكم فيه فغاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شيء وحرمت الجنة  
 عرضها السموات والارض . واعلموا ان الامان غدا لمن خف اليوم وباع  
 قليلا بكثير وفانيا بياق . ألا ترون أنكم فى أعقاب المهالكين وسيخلفكم من  
 بعدكم الباقون حتى تردوا الى خير الوارثين ثم إنكم فى كل يوم تشيعوز غاديا  
 ورائحا الى الله قد قضى نحبه وبلغ أجله ثم تغيبونه فى صدع من الارض ثم  
 تدعونه غير مؤسد ولا ممد قد خلع الاثواب وفارق الاحباب وواجه الحساب

غنيا عما ترك فقيرا الى ما قدم ، وايم الله انى لأقول لكم هذه المقالة  
وما أعلم عند أحد منكم أكثر مما عندى فاستغفر الله لى ولكم، وما تبلغنا حاجة  
يتسع لها ما عندنا الا سددها ولا أحد منكم الا وددت أن يده مع يدى  
ولجئ الدين يلونى حتى يستوى عيشنا وعيشكم وايم الله انى لو أردت غير هذا  
من عيش أو غصارة لكان اللسان به ناطقا ذلولا عالما بأسبابه ولكنه مضى  
من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى عن معصيته . ثم بكى  
وتلقى ذموع عينيه بردائه ونزل فلم يخطب بعدها

وخطب أبو حمزة الشارى بمكة فكان مما قال فى صفة أصحابه . يا أهل مكة  
تعبروننى بأصحابى تزعمون أنهم شباب وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الا شبابا ، نعم الشباب مكتهلون صمية عن الشر أعينهم بطيئة عن الباطل  
أرجلهم قد نظر الله اليهم فى آناء الليل متنذية أصلابهم بمثنى القرآن اذا مر  
أجدهم بأية فيها ذكر الجنة بكى شوقا اليها واذا مر بأية فيها ذكر النار شوق  
شبهة كأن زفير جهنم فى أذنيه قد وصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم أنضاء عبادة  
قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم ، مصفرة الوانهم ناحلة أجسامهم من  
كثرة الصيام وطول القيام مستقلون لذلك فى جنب الله موفون بعهد الله منجزون  
لوعيد الله اذا رأوا سهام العدو قد فوقت ورماحهم قد أشرعت وسيوفهم قد  
أنضيت وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت استهانوا بوعيد الكتيبة  
لوعيد الله فضى الشاب منهم قدما حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه قد زلمات  
محاسن وجهه بالدماء وغفر جبينه بالثرى وأسرعت اليه سباع الأرض وانحطت عليه  
طير السماء ، فكم من مقلة فى منقار طير طالما بكى صاحبها من خشية الله وكم من  
كف بانة عن معصيتها طالما اعتمد عليها صاحبها فى سجوده وكم من خلد

عتيق وجبين رقيق قد فلق بعمد الحديد رحم الله تلك الابدان وأدخل أرواحها  
في الجنان .

## ب - حياتها

إذا كنا قدر جعنا رقى الخطابة في صدر الاسلام الى ما ولع به القوم إذ ذاك  
من تقليد القرآن الكريم والحديث الشريف ، والى ما مكنتهم منه قرأتهم  
من الاجادة في هذا التقليد ثم إلى ما كان من دواعي القول دينية واجتماعية  
حينذاك ، فان لنا أن نتنبأ لهذا الرقى زيادة وتقدما مدة العصر الأموي؛ لأن  
كل ناحية من هذه النواحي الثلاث قد نالها ما رفع من شأنها وعظم من  
أمرها فجعل ثمارها أشد نضوجا وأكلها أكثر مقدارا

ففي ناحية القرآن والحديث لم يكن القوم في صدر الاسلام قد آمنوا استيعاب  
معانيهما وتشرب روحهما وتجويد حفظهما لما كان عليه العهد من قصر ولما شغلوا  
به. خلاله من الجهاد والغزو والتوسع والفتح ولكن العهد الأموي قد نشرف به  
القرآن نشرا وذاع ذبوعا فبعد أن كتب عثمان المصاحف ووزعها على الأمصار  
عمل خلفاء بني أمية على الاكثار من استنساخها فعكف الناس على حفظه  
ودراسته وكذلك كان الشأن في الحديث وساعدتهم على هذا ما صاروا اليه من عدم  
الأنهماك في القتال ووقوف حدة الغزو والجهاد هذا الى ما سنه معاوية واتبعه  
فيه الخلفاء من عدم قصر الوعظ والارشاد على الأئمة والولاة اذ رتب أناسا  
يعظون في المساجد وما كان معتمدا هؤلاء الوعاظ الا على القرآن والحديث  
يتخذونها إماما وينزعون منهما انزاعا والى ماجر إليه العمل على نشر الدين في  
البلاد المفتوحة من تخليق حلقات العلم في المساجد تلتقى فيها تعاليم الدين وما  
تحتاج اليه هذه التعاليم من لغة الدين

وفي ناحية القرائح والمسكيات كان الجيل الناشئ في الاسلام والمرتب منذ

وجوده في أحضانه والدراس منذ درس في الكتاب والسنة، أقدر على استخراج معانيهما واستخدام أساليبهما في ذلك من تنمية القرائح وتوسعة الملكات ما فيه على أن لهذا النمو وتلك السعة ناحية ثمانية لا يجوز إغفالها أو التغاضي عن ذكر أثرها هي مخالطة أبناء العرب لأبناء الامم المفتوحة من الفرس والروم والقبط وما منها الا ذات علم وفلسفة وحضارة وتقدم شهد لها أبناء العرب النازحون الآثار الشاهدة والادلة الناطقة

أما الدواعي الدينية والاجتماعية فقد بقي منها في هذا العهد ما كان ثم صحبتها دواع سياسية ذات امتداد وشمول لم تدع جانبا الا هزته ولا قلبا الا دخلته. فالامويون أصحاب الملك والسلطان ذوو حاجة ماسة في تثبيته والدفاع عنه الى أن يقول خلفاؤهم وولاتهم وأتباعهم وأشياعهم ، والعلويون ومن ورأهم العباسيون أحوج الى القول دفاعا عن حق منصوب وتطلعا إلى مستقبل مأمول، والزيريون وقد سنجح لهم أول هذا العهد ملك وسلطان كانوا فئمة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء يعنون بأنفسهم ويطلبون النفوذ لخاصتهم ، والخوارج خوارج على هؤلاء جميعا يرون فيهم جورا وفي الحكومات القائمة انحرافا وظلما وقد وصلوا في خروجهم هذا إلى أن كانت لهم شوكة وحدة ، ودولة وصوله ذات خلفاء وجيوش طالما قاتلوا أئمة البغى وناصروا الدول القائمة العداء وهزوا بصولجانهم عروش ملوكها الأقوياء

لهذا كان للنثر طامة وللخطابة خاصة دولة في هذا العهد أي دولة ومنزلة أسم بها من منزلة ووجد في هذه النثبات الأربعم خطباء مصاقع وألداء مقاول ولكنهم كانوا يختلفون كثرة وثقل باختلاف الظروف الموانية والفرص المساعدة، فمن الأمويين وانباعهم معاوية وعتبة وزياد أخواه وعبد الملك وأبناءؤه والحجاج وعمر بن عبد العزيز وروح بن زبياع وغيرهم كثير، والعلويون وشيعتهم وأبناء



عندهم العباسيون لا يمحسون كثرة رجالا ونساء كالحسن والحسين ابني علي وزيد  
ابن علي وعبدالله بن حسن وعبدالله بن معاوية بن عبدالله والكميت بن زيد  
وعبدالله بن عباس وحفيده داود بن عل وسائر إخوته ، ومن آل الزبير  
عبدالله بن الزبير وأخوه المصعب ، ومن الخوارج - وكلهم خطيب - قطري  
ابن الفجاءة وعمران بن حطان وأبو حمزة الشاري وغيرهم. على أنه كانت هناك  
فئة تعتبر خطباء مذهب وعقيدة لاسياسة وسلطان منهم الحسن البصري وواصل  
ابن عطاء وكلاهما كان علما من اعلام البيان ، فواصل وهو أئنف بالراء كان  
يتجنبها على كثرة دوراتها في الكلام فيأتي مع ذلك بالعجب العجيب والحسن  
يقول الجاحظ فيه « فأما الخطيب فانا لا نعلم أحدا يتقدم الحسن البصري  
فيها » ويقول الججاج يريده وقد سئل : من أخطب الناس ؟ فقال  
« صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة »

ولقد ظهر في خطب هؤلاء جميعا من الاجادة ما خلع على خطابة هذا  
العصر ثوبا قشيبا وأظهر ما كان من مزاياها في صدر الاسلام بارزا مجسما ،  
وحسبك أن تذكر هنا بضاعتها كل ما مضى هناك حتى تكون وافقت الحقيقة  
وأصبت السداد من فصاحة في الالفاظ وبلاغة في المعاني وتنوع في الاساليب  
وتأثير في النفوس وحسن استخدام للقرآن الى درجة أن كان بعض الخطباء  
ينزع منه خطبته كلها فيصيب بها ما يريد وفوق ما يريد كما في خطبة مصعب  
ابن الزبير التي خطبها أول ولايته العراق من قبل أخيه. وكذلك كان الاستشهاد  
بالشعر وقد سبق واضحا في خطبة لعبد الملك بن مروان ، غير أن الاستشهاد  
بهم لم يكن في جميع المواطنين سواء فحيث يراد الدين كان القرآن أغلب على  
الشعر كما كان في صدر الاسلام ، أما حيث تراد السياسة فقد كان الشعر  
أطوع لرجالها لأنها كانت نزاعة في هذا العصر إلى الشدة غير متحرجة من

الطغيان ولذا نجد الالفاظ في هذا النوع من الخطب أصعب عودا وأشد مكسرا والتراكيب أوضح جزالة وأكثر ضخامة نزولا على ما تقتضيه المعاني في الوعد والوعيد والتحذير والتهديد والسب والشتم والتوبيخ والذم. وهذه ظاهرة ترى في خطب هذا العصر وإن فيما قدمنا من خطب نماذج لها وبخاصة خطب زياد والحجاج ولعلها كانت - فوق حوادث العصر - نتيجة للسنة التي استنتها معاوية من لعن على على المنابر واتبعه فيها من بعده الخلفاء الا ما كان من عصر ابن عبدالعزيز الذي أبطلها ونهى عن المضي فيها

وكما كانت الخطابة شائعة على السنة من ذكرنا، كانت كذلك شائعة في القبائل على اختلاف أصقاعها فلا تزال وفودها تخرج من البادية الى دمشق مقر الخلافة والسلطان وإلى سائر العواصم مقر الولاة والحكام لتبثنة أو تعزية أو استنجاد أو استجداء أو عظة أو غير ذلك مما تقدم من أجله الوفود فيتسابق شباب الحضرة الى أولئك البدو لاسماع خطبهم واقتباس أساليبهم ولقد بقي للخطابة والخطباء في هذا العصر ما عددنا لها ولهم من عادات في صدر الاسلام الذي ورثها عن خطباء الجاهليين الا ما كان من عادة القيام فقد استمرت مرعية حتى ولى الخلافة الوليد بن عبد الملك فخطب جالسا واتبعه في ذلك من جاء بعده، ولعل الدافع له على تلك المخالفة رغبته جملة عن مواقف الخطابة وعدم اعتداده بالاحتفال بها لما كان يعتريه من اللحن الذي يشوه قوله ويلفت الانظار نحوه

هذا وقبل أن نغادر الخطابة الى الكتابة ندلى بكلمة موجزة عن نوع جديد من أدب هذا العصر جاء ألصق بالخطابة من غيرها كما يتضح ذلك من نماذجه ومن الكلام عليه بعد وهو الاجوبة والمجارات

## الأجوبة والمحاورات

## « تابع الخطب »

هي ضرب جديد إلى حد ما من الادب ظهر في العصر الأموي ظهوراً  
ملاً الأسماع وامتلك القلوب أحيته الخلفات السياسية والمذهبية التي كانت  
أهم دواعي الخطابة فيه ، فأدى بلغة هي أقرب ما تكون إلى لغة الخطابة نفسها  
وان شئت فقل إنه خطب المفاخرات والمنافرات الجاهلية بعينها ولكنها  
أخذت اسماً آخر هو الأجوبة والمحاورات لما في التسمية الأولى من عدم الاتفاق  
مع الدين الذي نهى عن تفاخر الجاهلية وتنافرها لقيامه على عصبيتها ونعرتها  
والدعاء عن جهل وسفه بدعوتها، فهي شيء قديم ظهر في ثوب جديد ولذا  
قلنا في وصفه بالجدة أننا « جديد إلى حد ما » وهل من فرق بين خطبة التفاخر  
والجواب يساق تباراً أو بين خطبة اتنافر والمحاوراة تأتي على حسب السؤال  
شيئاً فشيئاً اللهم لا فليست الأجوبة والمحاورات سوى المفاخرات والمنافرات  
توارت إلا بصيصاً في صدر الاسلام، لقوة الوازع الديني في النفوس وصرامة  
القائمين على أمره من الحكام مع قلة الخلف السيامي وانهمك الأمة جميعاً في  
الغزو والجهاد حتى إذا ما زالت هذه الأشياء في العهد الأموي أو كادت، ظهرت  
الظهور الذي وصفتناه فكانت من فروع الادب ذي الخطر والمنزلة لآنها أصعب  
الكلام مركباً وأعزه مطلباً، فيها يناجى القائل الفكرة مستعملاً بديهة دون  
الروية فيأتي بما ينقض قولاً ويفهم خصماً، ولقد بقي هذا النوع ذا مكانة وشرف  
طوال القرنين الأولين من الهجرة تقريباً غير أنه كان في أولها أصوب معنى  
وأوجز لفظاً وأكثر كلاً وأشرف قوماً، وكانت قریش فيه أحضر العرب بديهة  
وأمرها عند السؤال جواباً

وفيا ذكرنا من أوجه الخلاف في العهد الأموي، ترى الاودية التي سال فيها هذا النوع من الكلام منذ عهد معاوية الذي فتح لها الباب على مصراعيه إذ كانت سياسته قائمة على التغاضي عن القول والتجمل إزاء التزبد وله في هذا الحكم البليغة المأثورة التي تقدم شيء منها والقصاص الكثيرة المعروفة . وهذا شطر منها بينه وبين الهاشميين ومن شايعهم وبخاصة شيعة العلويين ثم بينه وبين الزبيريين أيضا وبعده نسوق بعض مثل مما كان منه لغير هؤلاء في سائر العصر

لما اعتزل عقيل بن أبي طالب أخاه عليا كرم الله وجهه لاشتداد فقره وحرص على ، إلى معاوية ذي المال الوافر والعطاء الجزل فأكرمه وقضى حوائجه ، قال له أنا خير لك من أخيك علي فقال له صدقت إن أخي آثر دينه على دنياه وأنت قد آثرت دنياك على دينك فأنت خير لي من أخي وأخي خير لنفسه منك ، وقال له يوما إن عليا غير حافظ لك قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك فقال له عقيل والله لقد أجزل العطية وأعظمها ووصل القرابة وحفظها ولو كنته حفظ أمانته إذ خنم وأصاح رعيته إذ أفسدتم وحسن ظنه بالله إذ ساء به ظنك فا كنف لأبالك فانه عما تقول بعزل

واجتمعت قريش الشام والحجاز عنده يوما وفيهم عبدالله بن عباس وكان جريئا عليه حقارا له فبلغه عنه بعض ماغمه فقال له، رحم الله أبا سفيان والعباس كانا صفيين دون الناس حفظت الميت في الحى والحى في الميت ، استعملك على يابن عباس على البصرة واستعمل عبيدالله أخاك على اليمن واستعمل أخاك قثم على المدينة فلما كان من الأمر ما كان هنأتكم ما فى أيديكم ولم أ كشفكم مما وعدت غرائركم وقات آخذ اليوم وأعطى غدامثله ؟ وعلمت أن بدء اللوم يضر بعاقبة الكرم ولو شئت لأخذت بملاقيمكم وقيأتكم ما أ كتم ، لا يزال يبلغنى عنكم ما تبرك

له الأبل وذنوبكم الينا أكثر من ذنوبنا اليكم، خذتم عمان بالمدينة وقتلتم أنصاره  
يوم الجمل وحاربتمونى بصفين ولعمري لبيو تيم وعدى أعظم ذنوبا منا اليكم  
إذ صرفوا عنكم هذا الامر وسنوا فيكم هذه السنة فحتى متى أغضى الجفون على  
الغذى وأسحب الذبول على الاذى وأقول لعل الله وعمى ماتقول يا بن عباس  
فتكلم ابن عباس فقال، رحم الله أبانا وأباك كنا صفيين متفاوضين لم يكن لابي  
من مال إلا ما فضل لأبيك وكان أبوك كذلك لابي ولكن من هنا أباك  
باخاء أبي أكثر ممن هنا أبي باخاء أبيك، نصر أبي أباك في الجاهلية وحقن  
دمه في الاسلام . وأما استعمال علي إيانا فلنفسه دون هواه وقد استعملت أنت  
رجالا لهواك لا لنفسك منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل وبشر بن أرطاة  
على اليمن فخان وجيب بن مرة على الحجاز فرد والضحاك بن قيس على الكوفة  
فحصب ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا وليس الذي يبلغك عنا بأعظم من  
الذي يبلغنا عنك ولو وضع أصغر ذنوبكم الينا على مائة حسنة لحقها ولو وضع  
أدنى عذرنا اليكم على مائة سيئة لحسنها . وأما خذلنا عمان فلو لزمنا نصره  
لنصرناه وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه وأما حاربنا  
اياك بصفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل وأما إغراؤك ايانا بتيم وعدى  
فلو أردناها ما غابونا عليها - وسكت - فقال في ذلك ابن أبي لهب

كان ابن حرب عظيم القدر في الناس حتى رماه بما فيه ابن عباس

ما زال يهبطه طورا ويصعده حتى استعاد وما بالحق من باس

لم يترك خطة مما يذله الاكواه بها في فروة الراس

ودخل الحسين بن علي عليه يوما وعنده جماعة من قریش فيهم عبد الله بن الزبير  
فرحبت به وأجلسه على سريرته وقال له ترى هذا القاعد (يعنى ابن الزبير) فإنه

ليدرکه الحسد لبني عبد مناف فقال ابن الزبير لمعاوية قد عرفنا فضل الحسين  
 وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن ان شئت أعلمتك فضل الزبير  
 على أبيك أبي سفيان فقال معاوية قاتلك الله يا ابن الزبير ما أعيك وأبعاك أنت حين  
 بين يدي أمير المؤمنين وأبي عبد الله إنك أنت المتعدى لطورك الذي لا تعرف  
 قدرك فقس شبرك بفترك ثم تعرف كيف تقم بين عرائين بنى عبد مناف أما  
 والله لئن دفعت في بحور بنى هاشم وبنى عبد شمس لتقطعنك بأمواجها ثم  
 لتوهن بك في أجاجها فما بقاؤك في البحور إذا غمرتك وفي الامواج اذا بهرتك،  
 هنالك تعرف نفسك وتندم على ما كان في جرائك وتمنى ما أصبحت فيه من  
 أمان وقد حيل بين العير والنزوان . فاطرق ابن الزبير ملياً ثم رفع رأسه فالتفت  
 إلى من حوله فقال . أسألكم بالله أتعلمون أن أبي جوارى رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم . وأن أبا سفيان حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أمي  
 اسماء بنت ابي بكر الصديق وأمه هند آكله الاكباد ، وجدتي الصديق وجده  
 المشدوخ ببدر . ورأس الكفر وعمتي خديجة ذات الخطر وعمته ام جميل حمالة  
 الحطب ، وجدتي صفية وجدته حمامة ، وزوج عمتي خير ولد آدم محمد صلى الله عليه  
 وسلم وزوج عمته شر ولد آدم ابو لهب سيصلى نارا ذات لهب ، وخالتي عائشة  
 أم المؤمنين وخالته أشقى الاشقين ، وأنا عبد الله وهو معاوية . فقال له معاوية  
 ويحك يا ابن الزبير كيف تصف نفسك بما وصفتها والله مالك في القديم من رياسة  
 ولا في الحديث من سياسة ولقد قدناك وسدناك قديماً وحديثاً لا تستطيع  
 لذلك انكاراً ولا عنه فراراً ، وان هؤلاء الحضور ليعلمون أن قريناً قد اجتمعت  
 يوم الفجار على رياسة حرب بن أمية ، وأن أباك وأمرتك تحت رايته راضون  
 بامارته غير منكرين لفضله ولا ظامعين في عزله ان أمر اطاعوا وان قال

أنصتوا فلم تزل فينا القيادة وعز الولاية حتى بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم فانتخبه من خير خلقه من أسرتي لأسرتك وبنى أبى لابنى أيبك، فجدته قریش أشد الجحود وأنكرته أشد الانكار وجاهدته أشد الجهاد إلا من عصم الله منها فما ساد قریشا وقادهم الا أبو سفیان بن حرب فكانت الفتنة تلتقى ورئيس الهدى منا ورئيس الضلالة منا فهديكم تحت راية مهدينا وضالككم تحت راية ضالنا فنحن الأرباب وأنتم الأذئاب حتى خلص الله أبا سفیان بن حرب بفضل من عظيم شرکه وعصمه بالاسلام من عبادة الأصنام فكان في الجاهلية عظيما شأنه وفي الاسلام معروفا مكانه ولقد أعطى يوم الفتح ما لم يعط أحد من آبائك وإن منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى «من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبى سفیان فهو آمن» فكانت داره حرما لا دراك ولا دار أيبك وأما هند فكانت امرأة من قریش في الجاهلية عظيمة الخطر وفي الاسلام كريمة الخبر وأما جدك الصديق فبتصديق عبد مناف سمى صديقا لا بتصديق عبد العزى وأما ما ذكرت من جدى المشدوخ بيدى فلعمري لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه فلو برزت إليهم أنت وأبوك ما بارزوك ولا رأوكم لهم أ كفاء كما قد طالب ذلك غيركم فلم يقبلوهم حتى برز إليهم أ كفاؤهم من بنى أيبهم ففضى الله مناياهم بأيديهم فنحن قتلنا ونحن قتلنا وما أنت وذلك. وأما عمك أم المؤمنين فبنا شرفت وسميت أم المؤمنين وخالتك عائشة مثل ذلك وأما صفية فهي التي أدتلك من الظل ولولا هي لكنت ضاحيا. وأما ما ذكرت من بنى صمتك وخال أيبك سيد الشهداء فكذلك كانوا رحيم الله وفخرهم وإرثهم لى دونك ولا فخر لك فيهم ولا إرث بينك وبينهم. وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية فقد علمت قریش أننا أجود فى الازم وأحزم فى

القدم وأمنع للحرم لا والله ما أراك منتهيا حتى تروم من بنى عبد مناف مارام  
 أبوك فقد طالبهم الذحول وقدم اليهم الخيول وخدمهم أم المؤمنين ولم تراقبوا  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ مددتهم على نسائك السجوف وأبرزتم زوجه  
 للحتوف ومقارعة السيوف فلما التقى الجمعان نكص أبوك هاربا فلم ينجه ذلك  
 أن طحنه أبر الحسين بكلله طحن الحصيد بأيدي العبيد، وأما أنت فأقلت بعد  
 أن خمشتك برائينه ونالتك مخالبه، وايم الله ليقومنك بنو عبد مناف بثقافها  
 أو لتصبحن منها صباح أبيك بوادي السباع وما كان أبوك المسدهن حده  
 ولكنه كما قال الشاعر .

تناول سرحان فريسة ضيغم فقضضه بالكف منه وحطما

ومما كان بين معاوية وغير العلويين ولكنه لهم ماروى من أنه كان جالسا  
 وعنده وجوه الناس فدخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا فكان آخر  
 كلامه أن لعن عليا فأطرق الناس وكان الأحنف بن قيس حاضرا فقال يا أمير  
 المؤمنين إن هذا القائل، ما قال آنفا إلا برضاك ولو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين  
 لعنهم فائق الله ودع عنك عليا فقد لقي ربه وأفرد في قبره وخلا بعمله وكان والله  
 المبرز سيفه الطاهر ثوبه الميمون تقيبته العظيم مصبته. فقال معاوية يا أحنف  
 لقد أغضيت العين على القذى وايم الله لتصعدن المنبر فتلعن عليا طوما أو  
 كرها فقال له الأحنف إن تعني فهو خير لك وإن تجبرني فوالله لا تجرى فيه  
 شفتاي أبدا قال قم فاصعد المنبر فقال الأحنف أما والله مع ذلك لا نصفنك في  
 القول والفعل فال وما انت قائل يا أحنف إن انصفتي قال أصعد المنبر فاحمد الله  
 بما هو اهله وأصل على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أقول، أيها الناس إن أمير المؤمنين  
 معاوية أمرني أن ألعن عليا وإن عليا ومعاوية اختلفا فاقتتلا



وادعى كل واحد منهما أنه بغى عليه وعلى فتمته فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله، ثم أقول اللهم العن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية اللهم عنهم لعنا كبيرا أمنوا رحمكم الله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفا ولو كان فيه ذهاب نفسي فقال معاوية اذن لعفك يا أبا بحر . ولقد كان معاوية يدعو الى هذه المناقرات بنفسه ثم يطفىء جذوتها بماء حارمه حتى فى أنصار على من غير أبنائه وبنى هاشم وحتى فى النساء لافى الرجال . كتب إلى عامله بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقه البارقى مكرمة وكانت ذات خطبة من نار فى تمريض جيش على ضد معاوية وفتمته عقب أن قتل صمار بن ياسر فى بعض أيام صفين فلما وصلته أنزلها على الحرم ثلاثة أيام ثم أدخلها عليه فى اليوم الرابع وعنده جاساؤه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لها وعليك السلام يا أم الخير، بحق مادعوتنى بهذا الاسم ؟ قالت لـكل أجل كتاب قال صدقت بحسن نيتى ففرت بكم قالت يا أمير المؤمنين يعيذك الله من دحض المقال وما تودى طاقته قال ليس هذا أردنا أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر قالت لم أكن زيرته قبل ولا رويته بعد إنما كانت كلمات نغتها لسانى عند الصدمة فان أحببت أن أحدث لك مقالا غير هذا فعلت فالتفت معاوية الى بعض الحاضرين فذكر كلامها فقال لها يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام الا قتلى ولو قتلتك ما خرجت فى ذلك قالت والله ما يسوءنى أن يجرى قتلى على يدى من يسعدنى الله بشقائه قال هيئات يا كثيرة الفضول ماتقولين فى دمان رحمه الله قالت وما عسيت أن أقول، استخلفه الناس ربه به رضوان وقتلوه وطمه كارهون قال هذا ثمؤك الذى تثنين ؟ قالت الله يشهد وكنى بالله شهيدا ما أردت بدمان تقصا واقد كان . ابقا الى الخير

وانه لرفيع الدرجة غدا ، قال فما تقولين في الزبير قالت وما أقول في ابن صمة رسول الله وحواريه وقد شهد له صلى الله عليه وسلم بالجنة وأنا أسألك بحق الله يامعاوية فان قريشا تحدثت أنك أحلمها أن تعفيني من هذه المسائل وتساألني عما شئت من غيرها قال نعم ونعمة عين قد أعفيتك ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة

ولما انتقلت الخلافة من البيت السفياني الى المرواني كانت بين البيتين محاورات ومناقرات . روى أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدًا فقال يا أخي لقد هممت اليوم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك فقال له خالد بنس والله ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فقال ان خيلى مرت به فعبث بها وأصغرني فقال أنا أ كفيك ثم دخل على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين الوليد ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين مرت به خيل ابن صمه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره ، وكان عبد الملك مطر قافر فرفع رأسه فقال « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » فقال خالد « وإدا أردنا أن نهلك قرية أمرنا متر فيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » فقال عبد الملك أفى عبد الله تكلمنى والله لقد دخل على فما أقام لسانه لحننا فقال له خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال خالد وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد فقال الوليد اسكت يا خالد فوالله ماتعد فى العير ولا فى النفير فقال خالد اسمم يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه وقال ويحك فن فى العير والنفير غيرى وجدى أبوه نبيان بن حرب صاحب العير وجدى عتية بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيات وحبيلات والطائف ورحم الله عمان لقلنا صدقت

ودخل يزيد بن مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميما فلما رآه قال

فبجح الله رجلا أجرك رسنه وأشركك في أمانته فقال له يزيد يا أمير المؤمنين رأيتني والأمر لك وهو عنى مدبر ولو رأيتنى والأمر على مقبل لاستكبرت منى ما استصغرت واستعظمت منى ما استحققت فقال أترى الحجاج استقر فى قعر جهنم بعد قال يا أمير المؤمنين لا تنقل ذاك فإن الحجاج وطأ لكم المناير وأذل لكم الجبابر وهربجىء يوم القيامة عن يمين أيبك وعن يسار أخيك فحيث كانا كان .

وعلى ذكر الحجاج ويزيد بن مسلم نذكر ما كان من يوسف بن سليك بن سليكة وقد دخل على الحجاج يوماً وهو من الحوار الموجه المقنع فقال أصاح الله الامير ارعنى سمعك واغضض عنى بصرك واكفف عنى غربك فان سمعت خطأ أوزللا فدونك والعقوبة قال قل نقال عصى طاص من عرض العشيرة فخلق على اسمى وهدم منزلى وحرمت عطائى قالهيهات أو ما سمعت قول الشاعر

جانيك من يمجنى عليك وقد تعدى الصجاح مبارك الجرب  
ولرب مأخوذ بذنب عشيرة ونجا المقارف صاحب الذنب

قال أصاح الله الأمير ولسكنى سمعت الله عز وجل قال غير هذا قال وما ذاك فقال قال « يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا فخذأحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون » فقال الحجاج على يزيد بن مسلم فمثل بين يديه فقال افكك لهذا عن اسمه واصححك له بعطائه وابن له منزله ومر مناديا ينادى فى الاس صدق الله وكذب الشاعر . هذا وباب الاجوبة والمجاورات حافل فلنقف منه عند هذا القدر الذى أوردناه .

## ٢ - الكتابة

## ١ - نماذجها

كان الحسن بن علي رضي الله عنهما قد كتب الى زياد في رجل من شيعته وكان عنوان الكتاب من الحسن بن علي إلى زياد فغضب زياد إذ قدم نفسه عليه ولم ينسبه الى أبي سفيان وعرض للرجل فخال بينه وبين ما يملك وكتب الى الحسن يقول. «من زياد بن أبي سفيان الى حسن أما بعد فانك كتبت الى في فاسق لا يؤويه الا النمساقي وايم الله لأطلبنه ولو بين جلدك ولحمك فاني أحب أن آكل لحما أنت منه» فكتب الحسن الى معاوية في ذلك وأدرج كتاب زياد داخل كتابه فلما قرأ معاوية الكتابين أثار التعجب من زياد وكتب اليه :-  
أما بعد فان لك رأيين أحدهما من ابى سفيان والآخر من سمية فأما الذي من ابى سفيان فحزم وعزم وأما الذي من سمية فكما يكون رأي مثلها وان الحسن بن علي كتب الى يذكر انك عرضت لرجل من أصحابه وقد حجرتاه عنك ونظراه فليس لك على واحد منهم سبيل ولا عليه حكم وعجبت منك حين كتبت الى الحسن لا تنسبه الى أبيه أقالى أمه وكتته لأأم لك فهو ابن فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن حين اخترت له

وكتب عبد الرحمن بن الأشعث وقت خروجه على عبد الملك كتابا اليه

ليس فيه سوى هذه الايات الثلاثة

سائل مجاور جرم هل جنيت لها ضربا يزيل بين الجيرة الخلط

وهل سموت بجرار له لب جم الصواهل بين الجم والقرط

وهل تركت نساء الحى ضاحية في ساحة الدار يستوقدن بالغبط

وتحتها هذا البيت الرابع

قتل الملوكة وصارت تحت لوائه شجر العرا وعراعر الاقوام

فكان جواب عبد الملك اليه هذه الايات الاربعة

ما بال من أسعى لأجبر عظمه حفاظا فينوى من سفاهته كسرى

أظن خطوط الدهر بيني وبينهم ستحملهم منى على مركب وعر

وإني وإياهم كمن نبه القطا ولو لم تنبه باتت الطير لا تسري

أناه وحلما وانتظارا بهم غدا فما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر

واتصل بعروة بن الزبير وهو عامل على اليمن من قبل الحجاج لعبد الملك

ابن مروان أن الحجاج مجمع على مطالبته بالاموال التي بيده وعزله عن عمله فقر

إلى عبد الملك وعاذ به تخوفا من الحجاج واستدفاعا لضره فلما بلغ ذلك الحجاج

كتب إلى عبد الملك

أما بعد فان لوزان المعترضين بك وحلول الجانحين إلى النكت بساحتك

واستلاتهم دمت أخلاقك وسعة عفوك، كالعارض المبرق لاعدائه لا يعدم له

شائعا رجاء استمالة عفوك وإذا أدنى الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمريدا

لهم على إضاعة الحقوق مع كل ضال والناس عبيد العصا هم على الشدة أشد

استباقا منهما على اللين ولنا قبل عروة مل من مال الله وفي استخراج منه قطع

لطمع غيره فليبعث به أمير المؤمنين إن رأى ذلك والسلام

فكتب اليه عبد الملك أما بعد فان أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحته

تخبط في السياسة خبط عشواء الليل فان رأيك الذي يسول لك أن الناس عبيد

العصا هو الذي أخرج رجالا العرب إلى الوثوب عليك وإذا أخرجت العامة

بعنف السياسة كانوا أوشك وثوبا عليك عند الفرصة ثم لا يلتفتون إلى ضلال

الداعي ولا هداه إذا رجوا بذلك إدراك النار منك ، وقد وليت العراق قبلك

ساسة وهم يومئذ أحق أنوفا وأقرب إلى عمياء الجاهلية وكانوا عليهم أصلح منهم عليك وللشدة واللين أهلون والأفراط في العفو أفضل من الإفراط في العقوبة والسلام .

وكتب الحجاج إلى قطري بن انفجاء وهو رئيس الخوارج . بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف إلى قطري بن انفجاء سلام عليك الموحّد الله والمصلّى عايه محمد عليه السلام أما بعد فانك كنت أعرابيا بدويا تستطعم الكسرة وتخف إلى التمرة ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق واعترضت على كتاب الله ومرقت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع عما أنت فيه يا زين لك وادعني فقد آن لك . فكان جوابه . بسم الله الرحمن الرحيم من قطري بن انفجاءة إلى الحجاج بن يوسف سلام على من اتبع الهدى ذكرت في كتابك أني كنت بدويا أستطعم الكسرة وأبدر إلى التمرة وبالله لقد قلت زورا بل الله بصرتني من دينه ما أعماك عنه إذ أنت سائح في الضلالة غرق في غمرات الكفر وذكرت أن الضرورة طالت في فهلا برزلي من حزبك من نال الشبع واتسكا فادع أما والله لئن أبرز الله صفحتك وأظهر لي صلعتك لتنتكرن شيعتك ولتعلمن أن مقارعة الأبطال ليست كتسكير الامثال .

ولما طلب الوليد بن عبد الملك من الحجاج أن يصف له سيرته كتب إليه الحجاج . إنني ايقظت رأيي وأنت هواي فأدزيت السيد المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم لأمره وقلدت الخراج المؤثر لأمانته وصرفت السيف إلى النطف المسىء فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحمن بحظه من الثواب

وأذنب كعب العبسي إلى الوليد بن عبد الملك ذنبا فطلب إلى عروة بن الزبير أن يكتب إليه له مستشفعا فكتب عروة . لو لم يكن لكعب من قديم حرمة ما يغفر له عظيم جريرته لوجب ألا تحرمه التقيؤ بظل عفوك الذي تأمله القلوب

ولا تعلق به الذنوب وقد استشفم بنى اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط  
 فحقق أملة وصدق ثقتي بك تجمد الشكر وافيًا بالنعمة « فكتب اليه الوليد »  
 قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندي ما يحب فلا تقطع كتبك  
 عني في أمثاله وفي سائر أمورك

وكتب بشر بن مروان الى عبد العزيز اخيه يعتذر . بسم الله الرحمن الرحيم  
 لولا الهفوة لم أحتج الى العذر ولم يكن لك في قبوله مني الفضل ولو احتمل  
 الكتاب أكثر مما ضمنته لزدت فيه ، وبقي الاكابر على الاصاغر من شيم الاكارم  
 ولقد أحسن مسكين الدارمي حين يقول

أخاك أخاك إن من لا أخ له كساع الى الهيجا بغير سلاح

وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

وبلغ يزيد بن عبد الملك وهو خليفة أن هشاما أخاه يتنقصه فكتب اليه ،  
 إن مثلي ومثلك كما قال الأول

تمنى رجال أن اموت وان أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

لعل الذي يبغى رداى ويرتجى به قبل موتى أن يكون هو الردى

فكتب اليه هشام ، إن مثلي ومثلك كما قال الأول

ومن لم يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب

فكتب اليه يزيد ، نحن مغتفرون ما كان منك ومكذبون ما بلغنا عنك مع حفظ

وصية أينا عبد الملك وما حض عليه من صلاح ذات البين وانى لأعلم أنك

كما قال معن بن أوس

لعمرك ما أدري وانى لأوجل على أينا تغدو المنية أول

وانى على أشياء منك تربيته قديما لندو صفح على ذاك مجمل  
 ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعته يمينك فانظر اى كف تبدل  
 اذا سؤتني يوما رجعت الى غد ليعقب يوما منك آخر مقبل  
 اذا أنت لم تنصف اخالك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل  
 ويركب حد السيف من ان تضميه اذالم يكن عن شفرة السيف مزحل  
 وفى الناس ان رثت جبالك واصل وفى الارض عن دار القلى متحول  
 فلما جاءه الكتاب رحل اليه فلم يزل فى جواره الى ان مات وهو معه فى عسكره  
 مخافة أهل البغى عليه

وكتب يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد وقد تملك فى بيعته . بسم الله  
 الرحمن الرحيم من عبد الله امير المؤمنين يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد  
 أما بعد فانى اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فاذا انك كتابى هذا فاعتمد  
 على ايها شئت والسلام

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض إخوانه يعاتبه :  
 أما بعد فقد عاقبى الشك فى امرك عن عزيمة الرأى فيك وذلك انك ابتدأتنى  
 باطاف عن غير خبرة ثم انتقبتنى جفاء من غير جريرة فأطمعنى اولك فى اخائك  
 واياسنى آخرك من وفائك فلا أنا فى اليوم مجمع لك اطراحا ولا انا فى غد  
 وانتظاره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف بايضاح الشك فى امرك عن  
 عزيمة الراي فيك فاجتمعنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف والسلام

وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى الحسن البصرى أن انجم لى  
 أمر الدنيا وصف لى امر الآخرة فكتب اليه يقول . انما الدنيا حلم والآخرة  
 يقظة والموت متوسط ونحو فى اضغاث احلام ، من حاسب نفسه ربح



ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن أطلع هواه ضل ومن حلم غم ومن خاف سلم ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن علم عمل، فاذا زلت فارجم وإذا ندمت فأقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فأمسك واعلم أن أفضل الاعمال ما أكرهت النفوس عليه

هذا وقد رغبتنا عن الكتب الطويلة ككتاب الحسن هذا إلى عمر هذا يصف له فيه الامام العادل وكتب عبد الملك إلى الحجاج وإجابات الحجاج عنها ورسالة سالم بن عبد الله مولى هشام بن عبد الملك عن هشام إلى خالد بن عبد الله القسري والى العراق وكرسائل تلميذه وشيخ الكتاب عبد الحميد كاتب مروان بن محمد وذلك لطولها وضيق ما نحن فيه عنها اكتفاء بالاشارة اليها هنا وبالكلام فيما سيأتى من وصف الكتابة عنها

## ب - حياتها

أنهنا الكلام على الكتابة في صدر الاسلام بأنها كانت كتابة رسائل فحسب لم تصطبغ بصبغة فنية ذات صناعة، وأن الكتابة الديوانية غير الانشائية كانت معدومة فيه وكذلك الكتابة العلمية كتابة التأليف والتصنيف، وأبنا أسباب ذلك جميعه . أما وقد تبدلت الحال في العصر الاموى غير الحال وحالت أسباب وجدت أسباب فقد وجدت الكتابة الديوانية غير الانشائية والعلمية وتأثرت الانشائية والخطية على النحو الذى نحن بصدد الكلام عليه الآن

### ١ - الكتابة الديوانية والاخوانية

نقصد بالكتابة الديوانية ما كان يصدر رسمياً عن رجال الدواوين إنشائياً في الرسائل أو غير انشائياً فيما تقتضيه أعمال الدولة التى تشغل مثلها الآن الطوائف المعروفة بكتبة الدواوين وبالاخوانية ما كان إنشائياً غير رسمى بين بعض الناس وبعض.

فكتابة الرسائل في بدء العهد الاموي سارت مسيرها مدة الخلفاء الراشدين فكان طابعها التبسط في مبادئها وخواتمها ، والسهولة في عبارتها ، والايجاز في مقدارها ، والخلو من التكلف في الفاظها ومعانيها . وكان الخلفاء هم الذين يكتبون بايديهم أو يملون غيرهم ولم تزل كذلك حتى انتهى العصر السفياني دون أن يحدث فيها جديد الا ما كان من إنشاء معاوية لديوان الخاتم ومهمته أن يرسل اليه ما يكون للخطيئة من توقيع ليصدر منه مختوما لا يدري حاماه ما فيه ولا يتسنى له تبديله . وكان سبب انشائه على ما ذكر انفخري في كتابه الاداب السلطانية أن معاوية أحال رجلا على زياد وهو واليه على العراق بهائة ألف درهم فقرا الرجل الكتاب وكان غير مختوم وجعل المائة مائتين حتى اذا رفع زياد حسابه الى معاوية أنكر ذلك ثم تبين حقيقة الامر فاستعاد المال من الرجل وأمر بوضع ديوان الخاتم كما تقدم

ولما جاء العهد المرواني واستنحل الملك واتسعت شئونه على أيام عبد الملك ابن مروان ثم استقرت الدولة وهدأت بعد ما تم له القضاء على الزبيرين وعلى الخوارج وقتل عمرو بن سعيد الأشدق قرنه في طلب الخلافة ، عظم شأن الكتابة الاشائية فآخذ عبد الملك سايجان بن سعد كاتبه له على الرسائل ولكنه بقي بنفسه يزاوها في المراسم . أما الديوانية غير الاشائية فكان القائم عليها منذ عهد معاوية مرجون بن منصور الرومي وحدث أن عبد الملك أمره بأمر فتوانى فيه ورأى منه بعض التقرير فقال لساجان هذا إزمرجون يدل علينا ببضاعته وأظن أنه رأى ضرورتنا اليه في حسابه أفما عندك فيه حيلة قال بلى لو شئت لحولت الحساب من الرومية الى العربية وكان ساجان يجيد الرومية ثم كانت قد نبئت نابتة من أبناء العرب تعرفها أيضا وأخرى من أبناء الروم تجيد العربية بحكم المخالطة والتشارك في هذا المجتمع الجديد ، قال أفعل قال أنظرني

أعاني ذلك قال لك نظرة ماشئت فأكمل سليمان ذلك في سنة و صرف سرجون عن عمله . وما كاد عبد الملك يفعل هذا حتى قلده الحجاج واليه على العراق فيما فعل وكان القائم على ديوانه انمارسى قد قتل في حرب عبد الرحمن بن الاشعث وهو زادان فروخ . والذي كلفه الحجاج هذا انقل هو صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم إذ كان يحيد الفارسية وكان معزادان المذكور وفيه يقول عبد الحميد الكاتب « لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب » . أما ديوان مصر وكان بالقبطية فان الذي أمر بنقله عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر في خلافة أخيه الوليد بن عبد الملك وكان انقائم عليه أتاش اقبطى مغل محله ابن يربوع الفزارى رجل عبد الله في هذا التحول . وبهذا العمل العظيم في تلك الاقايم الشاسعة فتح عبد الملك وابنه الوليد فتحا جديدا أمام العربية وميادين واسعة للعمل أمام ابنائها وإن نظرة واحدة الى كثرة الايدي المزاولة للاعمال الكتابية في أي قطر متحضّر الآن لترينا قيمة هذا الفتح وعظمة هذه الميادين

رجع الى كتابة الرسائل اتى كان عبد الملك قد اتخذها لنفسه سايمان ابن سعد لتقول إنه صرفه عنها الى رياسة الكتابة غير الانشائية بعد تعريبه ديوان الشام ولكن السنة في تعيين كاتب للرسائل استمرت مرعية بعد عبد الملك فكان لكل خليفة كاتب رسائل، بيد أنه لم تظهر لهؤلاء الكتاب شخصية فيما يصدرن إلا في سالم بن عبد الله مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه على رسائله فقد كان ينوب عنه في كثير منها ويشير الى ذلك في ذيول رسائله وبهذا بدأت تظهر على يديه صناعه الكتابة الانشائية وتحويلها من حالتها السابقة ذات التبسط والاطلاق الى نظم ذات شرائط وقيود إلا أن ما أتاه سالم لم يؤت أكله ولم

يشمر أثرته الا على يد تلميذه «وزوج قريبتة» عبد الحميد بن يحيى الذى عرف بعد  
بعبد الحميد الكاتب نعم ان لسالم الفضل الاول وبخاصة إذ كان يعرف اليونانية  
وتقل عنها الى العربية شيئا من رسائل أرسطو الى الاسكندر فساعده ذلك  
على ما عانى من التجديد فى الرسائل، وجعل الناس يدونون له مجموعة دون غيره،  
قال ابن النديم عنها أنها تبلغ مائة ورقة ولكن ذلك لم يفده على أيامه بل واه  
عنه عبد الحميد ثم أذاعه وزاد فيه أيام ولايته الكتابة مروان بن محمد فضرب المنزل  
ببلاغة انشأه واعتبر شيخ الكتاب ورئيسهم إذ قيل «بدأت الكتاب بعبد الحميد  
وختمت بابن العميد» ونسب اليه ابن النديم مجموعة رسائل قال أنها تبلغ ألف ورقة  
ومما ساعد عبد الحميد على هذا النوع فوق ما تقدم من تلمذته لسالم التي هي  
الاساس لما فيها من نبوغ عربى وكتب يونانى، صحبته لعبد الله بن المقفع الذى  
كان يجيد الفارسية، فان عبد الحميد استقى منه ما أفاد من تلك اللغة ذات الادب  
الواسع والحضارة المتقدمة لجمع إلى ما برع فيه من حذق العربية محاسن  
الكتابتين اليونانية والفارسية ثم كان عهد مروان عهد فتن واضطراب لا تزال  
تطاب منه إرسال رسالة أو كتب كتاب فى شتى الامور ومختلف الأغراض  
مما جعله يوجد هذد الفنون وابتكر تلك المبتكرات التي تجلت عنه فى  
أشياء حاكاه فيها الناس بالدواوين وخارج الدواوين أهمها :-

١ - عرف فى الكتابة قبل عبد الحميد الايجاز والاطناب وكثر الاول فى  
العهد السفينانى وظهور الثانى فى العهد المروانى كما تقدمت الاشارة الى ذلك بكتاب  
الحسن البصرى الى عمر بن عبد العزيز فى صفة الامام العادل وكتب عبد الملك  
الى الحجاج رواه ابان الحجاج عنها ولكنهما لم يبلغا المبلغ الذى وصله بعبد الحميد  
فقد وصل به الى درجة جعلت الناس يقولون فيه ( يكتب فى سطر

واحد ما يكتبه في حمل بعير ويكتب في حمل بعير ما يكتبه في سطر واحد ( وقد روى عن مطولاته أنه كتب عن مروان كتابا إلى أبي مسلم الخراساني حين أظهر الدعوة العباسية يستميله فيه قال عنه لمروان « لقد كتبت كتابا متى قرأه بطل تدبيره فان يك ذلك والا فاهلاك » وكان الكتاب لكبر حجمه يحمل على بعير فلما وصل إلى داهية خراسان أمر بالحقاقه قبل أن يقرأه وكتب على جزاة منه إلى مروان

محا السيف أسطار البلاغة وانتجى عليك ليوث الغاب من كل جانب ونقل ابن طينور أحمد بن طاهر في كتابه المنظوم والمنثور رسالة له عن لسان مروان أيضا إلى ولي عهده عبد الله بن مروان حين وجهه لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني رأس الخوارج في ستمائة سطر بالخط الدقيق وهي في صبيح الأعشى أيضا. ويكفي أن نذكر في درجة إيجازه بعض كتبه الموجزة. كتب موصيا بشخص ( حق ووصل كتابي إليك كحقة على إذ جعلك موضعا لأمله ورآني أهلا لحاجته وقد أنجزت حاجته فصدق أمه ) . وطلب منه مروان أن يكتب موجزا وذاما للعامل أهدى إليه عبدا أسود فكتب إليه ( لو وجدت لونا شرامن السواد وعددا أقل من الواحد لأهديته ) . ولقد كان مع قدرته على الاطناب في موطن الإيجاز وعلى الإيجاز في موطن الاطناب يتخير اكل مقامه فيطنب في الأخبار بالفتوح والحث على الجهاد والوعد المرغب والوعيد المخوف وهكذا ويوجز في أخبار الهزائم ووصف الأعداء وتغيير شيء كان مقرا وهكذا فاذا لم يك من داع لأحدهما فادرهما إلى المساواة كما هي رسائله الخارجة عن بسط الاطناب وإيماء الإيجاز وان اختلفت فيما بينها نسبيا طولا وقصرا

ب - أطال في فوائح الكتب وخواتيمها بما اعتبر جديدا مع رسوم

أخرى زادها في غير البدء والختام ففي الفواتح أتى بكثير من التحميدات المتنوعة الاساليب وكانت قبل لا تجاوز الجملة الواحدة فصارت منه تؤدي في سطور كأن يقول في بدء كتاب ( الحمد لله العلي مكانه المنير برهانه العزيز سلطانه الثابتة كلماته الشافية آياته النافذة قضاؤه الصادق وعدده ) وينتقل الى صيغة أخرى فيقول « الذي قدر على خلقه بملكه وعز في سماواته بعظمته ودبر الأمور بعلمه وقدرها بحكمته على ما يشاء من عزمه ، » ثم ينتقل إلى صيغة أخرى بعد هاتين قبل أن يأخذ في المقصود . وفي الخواتيم التي كانت مقصورة على السلام كان يطيل أيضا بما لا يبعد عن الموضوع كتوله داعيا في آخر كتاب له إلى أخيه يخبره فيه بأول من رزق من أبناء « فأسال الله الذي من علينا بحسن صنعه في الارحام تأديبه بالكفاء وحراسته بالعافية وأن يرزقنا شكر ما حمدنا فيه وفي غيره وأن يجعل ما يهب لنا من سلامته والمد في عمره مرصدا بالزيادة مقرونا بالعافية محوطا من المكر ودفانه المنان بالمواهب والواهب للمنى لا شريك له » إلى آخر ما أنهى به الكتاب . ومن الرسوم التي ابتكرها وأخضعها لقيود لم تكن قبل شرطاً فيها تعقيبه بالحمد بعد البسملة فاصلا بينها بأما بعد كأن يقول مثلا « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فالحمد لله » وتغيير المعاني في المبادئ والخواتيم فضلا عما تقدم في اطالة الكلام باختلاف أغراض كل كتاب كأن يبدأ الكتاب فيما هو نعمة وسار بالحمد والشكر ويقتدر فيما عداه على البسملة وكأن يختم المنشورات بالبسملة والعمود بنحو (وكفى بالله شهيدا) والتعازي بمثل ( انا لله وانا اليه راجعون ) الى غير ذلك مما يتنوع بتنوع ما يعالج في الكتاب

ج - أثير من الرسائل الاخوانية وهي التي تكون بين المرء والمرء بعيدة عن المهام الرسمية وكانت قبله قليلة الى كتاب ضئيلة الاصحاب ، ولم يقف فيها

عند غرض دون غرض بل شعب فنونها من تهنئة الى تعزية ومن عتاب الى إيحاء ومن شكر الى استعطف ومن شكوى زمن الى تصبر واحتمال إلى غير ذلك مما هو مأثور عنه ومروى البعض هنا ومحل إثباته وأقيا تكون الترجمة له لا ما نحن فيه ان شاء الله .

د - اقتحم غير ما تقدم في الكتابة أموراً لم تعهد الكتابة في مثلها فعالج فيها معاني لا تطاوع السكاتب في القدرة عليها وكان مع ذلك قوى الحججة ناصع البرهان وليس أدل على هذا من رسالته في النهي عن الشطرنج التي كتب بها عن الخليفة الى ولاة الامصار يأمرهم فيها بالضرب على أيدي المستهترين بهذه اللعبة لما شاع إذ ذلك من صرفها الناس عن معاشهم ومعادهم وصلاتهم فيها ليلهم بنهارهم وهي طويلة يقول فيها بعد ديباجة ممهدة للغرض معينة على الحججة ، ( وقد بلغ أمير المؤمنين أن ناساً من أهل الاسلام قد ألهمهم الشيطان بلعبة الشطرنج وحثهم عليها وألف بينهم فيها فهم معتكفون عليها من لدن صبيحتهم الى مساءهم وهي ملهية لهم عن الصلوات شاغلة إياهم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم وافترض عليهم من شرائع أعمالهم مع مداعبتهم فيها وسوء لفظهم عليها وأن ذلك من فعلهم ظاهر في الاندية والمجالس غير منكر ولا مستنظم عند أهل الفقه وذوى الورع والأديان والاسنان منهم . فأكبر أمير المؤمنين ذلك وأعظمه وكرهه واستكبره ) الى أن قال في آخرها بعد بيان مضارها ومفاسدها يخاطب الوالى ( فأذن بذلك فيهم وأشده في أسواقهم وجميع أنديتهم وأوعز اليهم فيه وتقدم الى عامل شرطتك في إنهاك العقوبة لمن رفع اليه من أهل الاعتكاف عليها والظهار للعب بها ، وإطالة حبسه في ضيق وضنك وطرح اسمه من ديوان أمير المؤمنين ولا يجدن أحد عندك هوادة في التقصير في حق الله عز وجل

والتعدي لاحكامه فتحل بنفسك ما يسوءك عاقبة مغبته وتعرض به لغير الله عز وجل ونكالهوا كتب الى أمير المؤمنين ما يكون منك إن شاء الله والسلام).  
فهذه الفتوح لعبد الحميد هي التي أ كبرت من شأنه عند الناس وجعلته عن طيب خاطر منهم شيخ الكتاب وأمطرت عليه من ذوى المعرفة والاقدار أو سمة التفرد والفضار فله دره رحمه الله وما كان أبره بأبنائه الكتاب حيث أودع لهم نصائحه في وصيته إياهم وهي طويلة فلنستكشف هنا عن نقلها بالاشارة الى بعض ما فيها على أن يرجع اليها في بعض مقارها كتقدمة ابن خلدون.  
بدأها بتممده الله برضوانه بالدعاء لاهل صناعة الكتابة وبيان منزلتهم وأنها أشرف منزلة بعد الخلافة وأخذ في بيان نفعها لهم وموقعهم من الخلفاء والملوك ثم أخذ يطالبهم بما توجبه هذه المسكاة عليهم من ضرورة اجتماع خلال الخير فيهم وتحليلهم بكثير من فضائل عددها لهم ومن ضرورة نظرهم في كل فن وعلم كالدين والعربية والتاريخ والخط وبعدئذ أخذ يطالبهم بالترفع بأنفسهم عن المطامع وسفاسف الامور والمعاية والكبر وأن يتواصى بعضهم ببعض حتى يجد من نبا به الزمان منهم عوناً ومن قعدت به عن العمل سنه مؤانسا. وما أجل ما أوصاهم به من الاخلاص لمن اصطنعوه والوفاء لهم في شدتهم وبلوائهم ولم يفته والكتابة سلم الرقي أن يوصيهم اذا صعدوا بالعدل والرفق والامانة والتواضع وعدم الاغترار بالصحة قبل البلاء والاختبار على أنه مع هذا أوصاهم بالعمل على اصلاح الاخوان ورياضتهم كما لم يفته أن يحذرهم الاشر والبطر وتجاوز المرتبة والمنزلة والاعترار بالنفس والتعالى على النظراء. ولقد جعل ختام وصيته بعد الذي طلب في آخرها من حمد الله وسؤاله التوفيق ، مطالبتهم بالعمل بهذه المتل ( من تلزمه النصيحة يلزمه العمل ) فلم يذكر بعده الا الدعاء لهم آخرا كما دعا لهم أولا



## وبدء التدوين

يعتبر العصر الاموى أول عصر ظهرت فيه الكتابة العلمية لأن وضع العلوم التي اقتضاها الاسلام من شرعية كالتفسير والحديث والقراءات والفقهاء، ولسانية كالنحو، وغيرهما مما اشتغل به المسلمون كالتاريخ والكيمياء والفلك والطب لم يبدأ الا فيه فوجدت بذلك لغة التأليف والتصنيف وهي لغة لم يك للعربية بها عهد من قبل وهذى كلمة عن كل من هذه العلوم

العلوم الشرعية - هي المستخرجة من القرآن والسنة وأهمها كما تقدم التفسير والحديث والقراءات والفقهاء. وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم في عصر صدر الاسلام يشتغلون بها جميعا كأنها علم واحد وكان المرجع فيه الى القراء منهم دون تفرقة بينها ولا تفرد من واحد منهم بأحدها شأن كل جديد ولذلك لم يؤثر عنهم أى تأليف فى شىء منها الا ما هو منسوب الى ابن عباس المتوفى سنة ٦٨ من تفسير. على أن وفاته فى تلك السنة تخرجه عن صدر الاسلام الى العصر الاموى الذى نتكلم فيه وهذا الى أن تفسيره لم يك أثرا مكتوبا إنما كان مجرد آراء تقام عنه بالرواية وكان أشهر تافليها مجاهدا المتوفى سنة ١٠٤ والمنسوب إليه تفسير أجم البلخون على أنه أول تفسير عرف، وكثير منهم يقول إن تفسير ابن عباس هو تفسير مجاهد دون وأثبت ولم يعرف عن التفسير فى هذا العصر غير ما ذكرنا .

والحديث كان الحامل على الاشتغال به مع الاشتغال بالتفسير الذى هو الاساس ما كثر من التأويل والفتاوى بعد مقتل عثمان وعلى وانقسام الامة أحزابا وشيعا تأخذ كل منها نهجا دينيا تريد أن تنتصر فيه لنفسها عن طريق الدين الذى لم يك به ما يشبع نهمها سوى الحديث. فكثرت لذلك الوضع على رسول الله من غير المتورعين، والهوى يعنى ويصم . فلما فاضت

الاحاديث الموضوعية اضطر علماء الامة إذ ذاك الى الوقوف في طريقها وتفرغوا لدراسة الحديث حتى نشأت طبقة المحدثين فوضعت أصولا للحديث تميز صحيحه من فاسده وقويه من ضعيفه وغير ذلك مما تكون منه مصطلح الحديث ولكن لا الى الدرجة التي عرف بها في العصر العباسي من تفصيل. وبالرغم من كثرة المحدثين في العصر الاموي كيزيد بن سفيان وعاصم بن سليمان وشعبة بن الحجاج وخالد الخذاء لم تعرف عنهم مؤلفات فيه الا ما كان لابن بكر محمد بن عمرو بن حزم نائب عمر بن عبد العزيز في القضاء وواليه على المدينة فقد روى أن عمر أذن له في تدوين حديث رسول الله فدون ما يحفظ منه في كتاب بعث به عمر إلى الامصار ولكن لم يعرف عن هذا الكتاب سوى هذا الخبر .

وعلم القراءات كانت كلها في هذا العصر تعلم بالتلقي على القراء ولم يعرف أن أحدا منهم على كثرتهم أقدم على التأليف فيها حتى جاء العصر العباسي الذي دون فيه ما نقل عنهم وما زاد. وقد تقدم شيء ليس بالقليل عن القراءات أول هذا الكتاب حين الكلام على انقرآن تحت عنوان « جمعه وروايته » .

أما الفقه فلم توجد أمة أمرعت كالعرب في وضع أصوله وتفرع فروعه لأن اتساع ملكها وبسطة نفوذها على كثير من الممالك والامصار مع اتخاذها كتاب الله وسنة رسوله مرجعا في كل تشريعاتها اضطرها أن تعتمد اليهما لاستخراج ما تحتاج اليه من قوانين. وكان أول المشتغلين بالفقه الصحابة وجاء من بعدهم التابعون فعرفت فيهم طبقة باسم الفقهاء كطبقات المفسرين والمحدثين ولا سيما في مدينة رسول الله التي كانت مرجع الفتيا مدة العصر الاموي، غير أن الفقهاء مع كثرتهم لم يخلقوا آثارا مكتوبة في الفقه فلم تعرف فيه مؤلفات

قبل الأئمة الأربعة في العصر العباسي بعد وكان أولهم مالك بن أنس صاحب الموطأ الذي أثبت فيه الحديث مرتبا على أبواب الفقه فكان أول كتاب فقهي عرف وأول كتاب في الحديث أيضا لأن ما وضعه ابن حزم لم يعرف عنه شيء بعد إرسال عمر بن العزيز به إلى الامصار كما تقدم

العلوم اللسانية - لم تضع العرب من العلوم اللسانية في العصر الاموي سوى النحو الذي سبقت به سائر العلوم اللسانية كما سبقت به من حيث التأليف جميع العلوم الاخرى من شرعية وغير شرعية وذلك لأن ما امتازت به العربية من اختلاف حركات الاعراب وكثرة دواعيها ودقة فروقها جعل اللحن ينتشر في كلام الكثير عقب اتساع الفتوح وشدة الاختلاط فراع القوم ما راعهم على هذا اللسان وخشوا على القرآن ما خشوا من اللحن في القراءة والتجريف فسارعوا إلى وضع هذا العلم وتقدموا في أبحاثه ولما ينقض من العهد الاموي شطر كبير، فان أبا الاسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ وهو أحد التابعين بالبصرة وذو الشهرة الكبيرة بالذكاء والبديهة والدهاء والمعرفة الواسعة بالقرآن والحديث والشعر قد أصل أصول النحو وفرع كثيرا من فروعه حتى اختلف اليه عدد كبير من رجال البصرة يتعلمونه منه ويتلقونه عليه كان منهم يحيى بن يعمر وميمون الاقرن اللذان أخذ عنهما النحو عبد الله بن أسماء الحضرمي ففرع فيه وقاس حتى حمل كتابا في الهمز وحده وصار اعلم اهل البصرة وواحدتهم في هذا الباب ثم وجدت طبعة ثالثة كان منها ابو عمرو بن العلاء ذوالعلم الواسع باللغة والشعر ومذاهب العرب، وعنه أخذت طائفة نقلت النحو الى الكوفة أشهرهم عيسى بن عمر الثقفي فقد بسط النحو وصنف فيه عدة مؤلفات وهو

صاحب الفضل على سيبويه الذي يعرف درجته ويدين بعلمه حتى قيل إنه لما فارقه الى الخليل بن أحمد وسأله عن مصنفاته خبره أنها بلغت نيفا وسبعين وحتى قيل أيضا إن أوسعها واسمها الجامع هو الذي أحذه سيبويه كما قال عن نفسه وكان يسأل الخليل عن غوامضه وهو بعينه «الكتاب» المنسوب إلى سيبويه بعد أن بسطه بعض البسط وزاد فيه بعض التحشية من كلام الخليل.

وقد اختلف في المناسبة الاولى التي حدثت بأبي الاسود أن يضع النحو. فقيل إن بنتا له نظرت الى السماء فقالت يا أبت ما أحسن السماء وضمت النون فقال لها نجومها فقالت لم أرد هذا إنما أردت أن السماء حسنة فقال لها اذن فقولي ما أحسن السماء وفتح النون ثم ذهب الى على كرم الله وجهه من صباحه فقص عليه القصة وقال انى أخاف أن يفسد لسان العرب بمخالطة هذه الجراء فقال له على يا أبا الاسود انح للناس نحووا يعتمدون عليه فقال وكيف أقول يا أمير المؤمنين قال قل «الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ به والحرف ما أفاد معنى، واعلم يا أبا الاسود أن الاسماء ثلاثة ظاهر ومضمر وامم لا ظاهر ولا مضمر» قال أبو الاسود فأثبت هذا ثم وضعت بابى التعجب والاستفهام وبابى العطف والنعته وهكذا الى أن وضعت باب إن واخواتها ما خلا لكن فلما عرضتها عليه أمرنى بضم لكن اليها وكنت كلما وضعت بابا عرضته عليه الى أن حصلت ما فيه الكفاية فقال لى ما أحسن هذا النحو الذى نحوت . ومن هنا ومما تقدم من قوله له ( انح للناس نحووا يعتمدون عليه ) سمى هذا العلم النحو. وقيل إن المناسبة عرضت لعلى نفسه وكان أبو الاسود الدؤلى عنده وذلك بأن تداعى اليه رجلان فادعى أحدهما قبل الآخر مالا فأعذر على إلى الآخر في ذلك فقال يا أمير المؤمنين ( ما له عندى حق ) بضم اللام فقال له على

أدفع اليه ماله قال وكيف وقد أردت نفي المال عنى فقال رحمه الله فسد اللسان  
وركب الكعبة ثم قال يا أبا الاسود انسخ للناس نحو ما يعتمدون عليه وتسلسل  
الحديث الى آخر ما ذكرنا. وعلى كاتبا الروايتين يكون المشير بوضع النحو  
والمرشد في وضعه على بن أبي طالب كرم الله وجهه والواضع بالفعل أبا الاسود  
الدؤلى فجزاهما الله عن العربية خيرا

العلوم الاخرى - تقصد بها غير الشرعية واللسانية كما تقدم ولم يك لها  
حظ في هذه الدولة لعدم اشتداد الحاجة اليها ولأنها لم تك ذات مرجع عندهم  
يعتمدون عليه بخلاف الشرعية واللسانية في الامرين معا وهي لا تعدو كما سبق  
التاريخ والكيمياء والفلك والطب ، وكل ما يقال عن اشتغال العرب بهامدة العصر  
الاموى يجعل فيما يأتي . \*

١ - التاريخ - أولم معاوية بن أبي سفيان باستماع قصص العرب وتواريخ  
أمم العجم فكان يجاس لذلك كل ليلة يستمع هذه الاخبار من الواقفين عليها  
شظرا من الليل وكان من نتائج هذه الرغبة أن ألف له عبيد بن شريفة وأصله  
من صنعاء أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وعمر إلى أيام عبد الملك بن مروان  
كتاب الملوك وأخبار الماضين كما ذكر ابن النديم ولكن لم يوقف لهذا الكتاب  
على أثر بعد كما هي الحال في كتب تاريخية أخرى ذكرها ابن النديم عن  
هذا العصر أيضا منها كتاب تراجم المشاهير لأبي مخنف الأزدي من أصحاب  
علي وكتاب سيرة معاوية لأبي عوانة بن الحكم الكاكي وكتاب له آخر في التاريخ  
العام وكذلك كان من رجال التاريخ الذين كتبوا في هذا العهد وهب بن منبه  
وموسى بن عقبة . وما كان اشتغال الناس به شديدا في هذا العصر الذي  
بعثت فيه العصية علم الانساب وهو علم عنيت به العرب منذ جاهليتها عناية

لم تعرف عن أمة غيرها . قيل إن من الكتب التي وضعت فيه مدة بنى أمية كتابين  
وضعهما زياد لابنه عبيد الله أحدهما في نسبه الى أبي سفيان بن حرب والثاني  
في مثالب العرب قبيلة قبيلة ليستغله ابنه ضد من لا يعترفون بتلك النسبة

ب - الكيمياء والفلك والطب - لما انتقلت الخلافة الأموية من البيت  
السفياني إلى المرواني ويئس خالد بن زيد بن معاوية منها وكان ذا همه وذكاة  
صرفهما إلى اكتساب العلم . ولما كانت صناعة الكيمياء رائجة إذ ذاك استقدم من  
الأمصار بعض ذوى الخبرة بها وعكف عليهم يتعلمها منهم ولما حذقها الف فيها  
بالعربية . وكذلك كان راغبا في علم انفلك فأثفق الاموال في طلبه وإحضار  
عدده حتى برع فيه وألف أيضا ذكر ابن القفطى في كتابه أخبار الحكماء  
عن ابن السبندي وهو يترجم له أنه شاهد في خزائن الكتب بالقاهرة كرة  
نحاسية مكتوبا عليها ( حمات هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية ) .  
وكما كان خالد اول المشتغلين في هذه الدولة بالكيمياء والفلك قيل إنه اشتغل  
كذلك بالطب وألف فيه أيضا ولكن لم يصل الينا شيء من تأليفه هذه جميعا  
كما لم يصل من تأليف غيره إلا اليسير الذي لا يعتد به كترجمة ماسويه السرياني  
الجنس اليهودي المذهب وكان بالبصرة على عهد مروان بن الحكم وابنه عبد الملك  
لكتاب القس أهرون بن أعين السرياني في الطب وهو الكتاب الذي وجدته  
عمر بن عبد العزيز في خزائن دمشق وأذاعه على المسلمين للانتفاع به .

هذا ومما تقدم يفهم أن موطن العلوم الشرعية كان الحجاز وموطن الاسانية

كان العراق وموطن الاخرى كان الشام

## ٣- الكتابة الخطية

## ووضع

## الشكل والاعجام

وصل الخط في نهاية صدر الاسلام كما بينا آنفا الى نوعين الكوفي أصل الثالث ثم الحجازي أصل النسخ وكان خلوا من الشكل ومن الاعجام أى النقط. وقد بقى على هذين النوعين معظم العهد الاموي حتى ظهر في أواخره قطبة المحرر الذي كان يتولى كتابة المصاحف لبنى أمية فاستنبط من كل منهما نوعا جديدا زاد في تقريبه الى ما نعرفه الآن من ثلث ونسخ فصارت الخطوط أربعة وقد اخترع لذلك قلميها الجليل الذي يكتب به على المباني، والطومار وهو أصغر منه، ولم تزل الحال من بعده على ذلك حتى انقضى العصر الاموي دون أن يحدث فيه سوى هذين الخطين وسوى الشكل والاعجام وهما أهم ما حدث بالكتابة الخطية فيه .

فأما الشكل فالمراد به علامات الحركات من فتحة وكسرة وضمة وما يتصل بها من علامات التنوين والسكون والشد وغيرها. وقد كان الدافع الى وضعه استمرار الناس يلحنون بعد أن وضع أبو الاسود ما وضع من قواعد النحو، لأن تلك القواعد لم تكن شاملة لجميع أساليب اللغة لقلتها شأن كل جديد ولأنها لا تتناول سوى آخر الكلمات غالبا ولأن مراعاتها لا تيسر الا للخاصة لما تحتاجه من دقة وعناية ودربة ومرانة . وبالنظر الى أن تفشى هذا اللحن وخوف العلماء والامراء على القرآن منه قد ظهر وأبو الاسود الدؤلى واضع النحو لا يزال حيا كان من الطبيعي أن يلجأ الناس اليه في هذا الاصلاح المنشود. فقبل إن زيادا الى العراق بعث اليه وكان معه بالبصرة فقال له ( يا أبا الاسود

إن هذه الحراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعرفون به كلام الله تعالى) ولما كانت هذه العبارة لينية لا تتجاوز عرض أمنية وكان أبو الاسود من شيعة علي ومبغضى الدولة الاموية وقد عزلوه عن البصرة فقد وجد منفذا لعدم اجابه هذه الرغبة وتناقل في الامر ولكن زيادا رأى أن يحقق رغبته معه بطريق حساس لاشدة فيه ذلك هو طريق الدين فدرس له رجلا ينتظرة في طريقه حتى إذا ما ربه قرأ رافعا عقيرته (إن الله برىء من المشركين ورسوله) بجر رسوله ففعل فاستعظم أبو الاسود ذلك وقل عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله ثم ذهب الى زياد ومرطاً فقال له قد أجبت الى ما سألت ورأيت أن أبدأ بأعراب القرآن فأبعث الى بعض الكتبة فأرسل له ثلاثين كاتباً تخير واحدا منهم كان من عبد القيس وقال له خذ المصحف وخذ صبغاً يخالف لون مداده وانظر الى في اقراءة فان رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه واذا كسرتهما فانقط واحدة أسفله وإذا ضممتها فاجعل النقطة بين يدي الحرف فاذا أتبعته شيئاً من هذه الحركات غنة (يقصد التنوين) فانقط نقطتين. ثم أخذ في القراءة والكتابة يفعل ما أمره به ولم يزل على ذلك حتى أتم القرآن كله وكان الصبغ الذي تخيره الكاتب مخالفاً لمداد المصحف « وهو الاسود » هو الصبغ الاحمر.

هذا ما وضع أبو الاسود واتبعه فيه الناس ولكن استمرار التقدم الطبيعى في كل شيء جعلهم يزيدون من بعده علامات أخرى كالسكون الذى جعلوه جرة أفقية فوق الحرف والشدة التى جعلوها قوساً يوضع على طرفيه فوق الحرف المفتوح وداخله الفتحة ، وتحتم المكسور وتحتم الكسرة ، وعلى شمال المضموم وعلى شماله الضمة ، ولم يلبثوا أن قلبوا القوس في الضمة والكسرة



مع الاستغناء عن نقطتهما دون الفتحة التي تقي معاً على أصله ثم أحدهما  
تعدى في نقطتي التنوين بأن جعلوا إحداهما فوق الأخرى إذا كان الحرف  
التالي له حلقياً يظهر معه في النطق ومتجاوزتين إذا كان غير حلقى يلزم معه  
الادغام أو الاخفاء. وقد اشتهر الشكل وشاع استعماله في المصاحف دون الكتب  
والرسائل فبقى شكلها نادراً وبخاصة إذا كان المكتوب إليه من ذوى الدراية  
بعد الشكل سوء ظن به كما قال بعض الكتاب (شكل الكتاب سوء ظن  
بالمكتوب إليه)

وأما الاعجام فالغرض منه تمييز الحروف المتشابهة بعلامات تمتع اللبس  
بينها وهو يخالف الشكل من وجهة أن الشكل لم يك معروفًا مطلقاً قبل وضعه  
واستعماله وهو لا بد كان معروفًا منذ أن عرف الخط قبل الإسلام إذ يبعد  
جداً أن توضع الحروف حيث وضعت وفيها هذا التشابه الكبير دون علامات  
تدفع ما يترتب على هذا التشابه من لبس شديد غير أنه لم يك مستعملاً فجعل  
كنه هذه العلامات حتى إذا ما اتسعت الفتوح واشتد الاختلاط وكثر اللحن  
الذى دعا إلى وضع النحو والشكل كثير التصحيف أيضاً وتناول كثيراً من آي  
القرآن كأن تقرأ الآية (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفقور) بلفظ جبار  
والآية (وعذابي أصيب به من أشاء) بلفظ أساء والآية (أحسن أناثا  
وريا) بلفظ زياً والآية (والذين كفروا في عزة وشقاق) بلفظ غرة والآية  
(وما كان استغفار إبراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها إياه) بلفظ أباه والآية  
(لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) بلفظ يعنيه وهكذا لا يبعد به التصحيف  
إلى معنى خاطئ ولا كثير البعد عن المعنى الأصلي فارتاع الناس لذلك ارتباعاً  
شديداً على أيام عبد الملك بن مروان وبخاصة في العراق على عهد واليه الحجاج

الذى فزعوا اليه يطلبون دواء وفزع هو إلى كتابه يسألهم وضع علامات تميز بين المتشابه من الحروف دفعا لهذا التصعيد فاجابه إلى ما سأل نصر بن عاصم وساعده في ذلك يحيى بن يعمر وكلاهما من تلاميذ أبي الأسود صاحب الفضل الاول في النحو والشكل ووضع علامات النقط. ولكن لما كانت علامات الشكل تقطا كما تقدم استحسننا ألا تكون علامات الاعجام تقطا معنا للاختلاط فجعلناها أشراطا صغيرة توضع بالمداد الأسود وهو الأصلي زيادة في التمييز بينها وبين علامات الشكل التي بقيت منذ أيام أبي الأسود تكتب بالمداد الاحمر. هذا ما كان ولم يزل الأمر عليه طول العهد الاموي وشطر من أول العباسي الى أن جاء الخليل بن أحمد فجعل علامات الاعجام كما هي الآن تقطا وعدل عن نقط الشكل إلى صورته المعروفة وقد أخذها من صور الحروف الناشئة عن الحركات وهي الواو للضمة والالف أفقية مائلة للفتحة وكتاها فوق الحرف والياء للكسرة تحته، كما غير السكون من الجرة الأفقية إلى دائرته المعروفة الآن، والتشديد من القوس إلى علامته الحالية المأخوذة من أول كلمة شديد مثلا، وأتم سائر العلامات المعروفة من مد وغيره وشاع استعمال هذه العلامات جميعا ثم صارت تكتب كلها بالمداد الأسود حيث لم تعد حاجة إلى المخالفة في الالوان للترقية لما أصبح واضحا في أشكالها من فروق

هذا - أما وقد انتهينا إلى هنا من ذكر أنواع النثر التي كانت معروفة في الجاهلية وصدر الاملام وإن لم تجتمع معا في أحدهما فإنه لا يفوتنا الكلام على نوع من المنشور جديد اقتضاه ما كان في العهد الاموي من اختلاط العرب بالاعاجم اختلاطا أنتج ما أنتج من لحن وتحريف ذلك هو لغة التخاطب التي أصبح يستخدمها المواد

## لغة التخاطب

## واللحن والتحريف

هذا عنوان لم نعقد مثله في عصرى الجاهلية وصدر الاسلام. فأما في الجاهلية فلأن ملكة اللغة كانت لدى طامتهم وخاصتهم سواء كلهم يقيم الاعراب ويتجاوز بكلامه عن سليقة مزالق اللحن والتحريف لأنهم كانوا محصورين في جزيرتهم بعيدين عن الاختلاط بغيرهم وكانوا يتعففون عن هذه المخالطة ويعدون مصاهرة الاطاحم سبة وعارا. نعم إن الملكة كانت توغل في الثبات ولسوخ كلما كانت القبيلة بعيدة عن مظان الاختلاط ضاربة في ديار العروبة البعيدة عن الاعجاب كقريش وثقيف وهزبل وخزاعة وكنانة وأسد وتميم فاذا ماتعرضت له لوجودها في الاطراف قلت ملكتها جودة وظهرت في كلامها آثار ذلك كما في لغات القبائل المجاورة للفرس في ريف العراق مثل تغلب وبكر والمجاورة للروم في مشارف الشام مثل قضاة وغسان والمخالطة للهندي في البحرين مثل عبد القيس وأزد عمان، ولكن ذلك لم يسلب من لغات هذه القبائل ومثيلاتها صحة النطق وميزة العروبة وان كانت أقل فصاحة من لغات تلك . وأما في صدر الاسلام فلأن الملكة لم تزل فيهم قريبة مما كانت عايشه في الجاهلية فبقيت لغة التخاطب قائمة الاعراب قوية الأداء حتى على السنة الموالي الطويلي المـكث بينهم، أما حديثو العهد في الاقامة معهم فكانوا يرتضخون لسكنة من لغتهم الاولى كه بشية بلال وفارسية سايمان ورومية صهيب، كما كان يقع منهم بعض اللحن والتحريف. روى أن رجلا منهم لحن بحضرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال « أرشدوا أخاكم فقد ضل ». وعلى هذا انسلخ عهد الخلفاء ولم يؤثر فيه من اللحن ما يعتد به ولذلك كانت النظرة الى اللحن تبدر من الرجل نظرة استهجان له واستعظام لما صدر منه. قيل إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بقوم يتماضون ورمى بعضهم فأخطأ فقال له عمر أخطأت فقال يأمر المؤمنين « نحن متعلمين » فقال له عمر والله لخطوك في كلامك أشد علينا من خطئك في نضالك ثم قال احفظوا القرآن وتفقهوا في الدين وتعلموا اللحن يريد اتقاه أو اللغة المجودة كما في قوله تعالى ( ولتعرفنهم في لحن القول ). أما في العهد الاموى حيث انتشر العرب النازحون في الامصار واشتدت مخالطتهم لاهلها الاصليين من الأعجم ووصلت تلك المخالطة الى العشرة الملازمة والمصاهرة الدائمة فقد نشأ جيل عربى يسمع من الاعاجم كما يسمع من العرب فوجدت لغة تخاطب لم تكن موجودة من قبل وما اللغة الا وليدة المحاكاة والسمع ومن هنا كان من الضرورى في العصر الاموى إفراد هذه اللغة بكلمة تصف حالها وتبين كنهها على اختلاف الامصار وتباين المتكلمين. فهذه اللغة الجديدة كانت خليفا من العربى المشوه بعضه باللحن والتعريف، والاعجمى الذى يختلف باختلاف الاعجميات في الامصار من فارسية بالعراق ورومية بالشام وقبطية بمصر وهكذا ولسكنها لم تتناول بلحنها وتحريفها ودخيلها جميع المتكلمين. فكانت بعيدة عن ذلك كله على السنة النازحين من العرب أنفسهم وكذلك تقريبا على السنة أبناء الخاصة منهم من أمهات عربيات أما أبناءهم من غير العزيبات وأبناء عامتهم مطلقا فلم تخل لغتهم من شيء من هذا، وقد يكون مصحوبا بلبسنة أعجمية أيضا ولكن هؤلاء جمعيا كانت محادثتهم عربية في مجموعها بالنظر إلى محادثة الاعاجم أهل البلاد الاصليين إلا من تعلموا العربية منهم ونبغوا

ففيها فقد كان مثلهم مثل العرب النازحين ولذلك سابقوهم فكانوا مثلهم في ميادين  
الادب والشعر وأسبق منهم في ميادين العلم والتأليف  
هذا هو تيار العامية الجديد أصاب من أصاب ممن ذكرنا ثم لم يزل يعدو  
على إعراب العربية باللحن وعلى بنيتها بالتحريف ويقذف بين مفرداتها بكثير  
من الدخيل حتى طم وطمى وتطرق إلى السنة كثير من الفصحاء كعبيد الله  
ابن زياد والوليد بن عبد الملك وخالد القسري فقد أصيبوا برذاذه على ما هم  
عليه من فصاحة وبيان كما أصيب غيرهم وغيرهم إلى أن أصبح البعيدون عن  
اللحن في خاصة المتكلمين معدود بن معروفين. روى عن الاصمعي أنه قال  
(أربعة لم يلحنوا في جند ولا هزل، الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاج  
ابن يوسف وابن القريه والحجاج أفصحهم) على أن هذا القول عقب عليه غيره  
بما جعلهم ثلاثة لا أربعة إذ أبعدهم الحجاج منهم وإن كان أفصحهم، لما روى من  
أنه قال مرة للشعبي كم عطاءك بنصب عطاء فقال ألقين بالنصب أيضا فأدرك  
لحنه وأعاد السؤال بالرفع صحيحا فقال الشعبي ألقان مصححا أيضا فقال له لم  
لحنت فيما لا يلحن فيه منلك قال لحن الأمير فلحنت وأعرب فأعربت ولم أكن  
ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه فأكون كالمقرع له بلحنه والمستطيل عليه بفضل  
القول، ولما روى أيضا من أنه قال ليحيى بن يعمر أسمعني ألحن قال في حرف  
واحد قال في أي قال في القرآن قال ذلك أشنع ما هو قال تقول «قل إن كان  
آبؤكم وأبناؤكم» إلى قوله أحب اليكم فتقرؤها بالرفع فقال لاجرم لا تسمع لي  
لحنا ثم ألحقه بخرسان غاضبا عليه . وأمثلة اللحن غير ما ذكرنا كثيرة ولقد كان  
بعضها يحمل على تغيير المعنى كما روى من أن الوليد بن عبد الملك قال لرجل  
دخل عليه من خنتك بفتح النون فقال رجل من الحى لا أعرف اسمه وكان

عمر بن عبد العزيز حاضرا فقال إنه يقول من ختنك وضم النون فقال هو ذا  
 بالباب. وسمع اعرابي رجلا يقول أشهد أن محمدا رسول الله بنصب رسول فقال  
 يفعل ماذا. ومن التحريف ما روى من أن يزيد بن عبد الملك قال على المنبر  
 مرة في سب على لص بضم اللام وكان اعرابي لا يضمها تحت المنبر فقال « في قوله أعجوبتان  
 أنه رمى عليا بأنه لص وأنه بلغ من جهله أن ضم لام لص ». وما قيل من أن  
 يوسف بن خالد التميمي كان يقول هذا أحمر من هذا يريد أشد حمرة منه وقولهم  
 هذه عصاتي بزيادة تاء، وحى على الفلاح بكسر الياء وهي مفتوحة إلى غير ذلك  
 مما شاع مضافة إليه اللكن الاعجمية على ألسنة أبناء الاعجميات كقلب العين  
 همزة والحاء هاء وكالتحدث عن الذكر بلهجة الانثى والعكس وكالحيدة عن  
 الالفاظ الموضوعات للمعنى إلى الالفاظ آخر يدفع إليها الارتضاح الشديد بالعجمة  
 كقول عبيد الله بن زياد للجند يوما « افتحوا سيوفكم » وقول خالد القسري  
 مرة « أطمعوني ماء » وهكذا

غير أن شيوع اللحن في العصر الاموي لم يززع من عقيدة الناس في لغتهم  
 لأنها لغة القرآن وأساس الدين مع اصطباغ الدولة بالصبغة العربية المحضة  
 فاستمروا يتهيبون اللحن ويذمونه ويفتخرون بالاعراب ويمدحونه .  
 دخل رجل على زياد فقال إن أبونا هلك وإن أخينا غصبنا ميراثنا من أبانا فقال ما ضيعت  
 من نفسك أكثر مما ضيعت من ميراثك فلا رحم الله أبالك حين ترك ولدا منك .  
 واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحنان فقال الحاجب  
 فما فقد آذيتما أمير المؤمنين فقال عمر أنت والله أشد إيذاء لى منهما .  
 واختار للحجاج طاه له على البصرة رجلا منهم كثير بن أبي كنير فقال ما أراى أفلت  
 من الحجاج إلا باللحن فلما دخلوا عليه به قال له ما اسمك قال كثير قال ابن من

قال فقلت في نفسي إن قلت ابن أبي كثير لم آمن أن يتجاوزها فقلت  
 ابن أبا كثير فقال اعزب لعنك الله ولعن من بعث معك . وقيل لعبد الملك بن  
 مروان لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين فقال شيبني ارتقاء المنابر وتوقع  
 اللحن ، وكان يقول الأعراب جمال للوضيع واللحن هجنة للشريف ، ومن وصاياه  
 أصاحوا من ألسنتكم فإن المرء تنوبه النائبة فيستعير الثوب والدابة ولا يمكنه  
 أن يستعير اللسان . وتكلم رجل فسبق إلى لسانه ما لم يرد فلحن فقال حسبي  
 الله والله لقد وجدت حرارتها في حلقي قبل أن أتكلم بها . ودخل أعرابي  
 السوق فسمع الناس يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون . وكان يحيى  
 بن نوفل يقول اللحن في المنطق أقبح من آثار الجدرى في الوجه . وقال إبان  
 ابن سعيد اللحن في الرجل ذي الهيبة كالدنس في الثوب الجديد . وقال يزيد بن مفرغ  
 يعير عبيد الله بن زياد بقوله للجند افتحوا سيوفكم

ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكان أمرك للضباع  
 وقال رجل يعد من مناقبه عدم لحنه  
 فإن في المجد هاتى وفي لغتى علوية ولسانى غير لنان

لهذا كله أصبحت الفصيحة في حذقها شديدة الحاجة إلى النقلين الصحيح  
 والتعليم على أيدي المؤدبين والعلماء ومن ثم حرص الخلفاء على الأمرين معا  
 في تنشئة أبنائهم تنشئة صحيحة فلم يقفوا عند استحضار المؤدبين بل عمدوا إلى  
 استخدام فصاحة البادية التي كانت على ما كانت عليه من فصاحة ريبان  
 فصاهروا قبائلها منذ النهد الأول كما فعل معاوية بزواج بحدل الكابية أم يزيد  
 وكانوا يبعثون بأبنائهم إليها لينشئوا نشأة الأعراب كما كانوا يزوجونهم منها .  
 وكذلك حرص العلماء على أخذ اللغة عن أهل البادية فما زالوا يتبعونهم في

بوادبهم ويتحسسون بهم في التحدث اليهم كي يقيدوا ألفاظهم وينقلوا  
محاوراتهم فتكون حجة لديهم ومرجعا بين أيديهم غير واثقين بالخضريين الذين  
كانوا دونهم ثبات ملكة ودقة استعمال. قال العجاج كان الكيت والطرماسألاني  
عن الغريب فأخبرها به ثم أراه في شعرها وقد وضعاه في غير موضعه فقيل  
له ولم ذلك قال لأنهما قروبان يصفان مالم يريا فيضعانه في غير موضعه وأنا  
بدوى أصنف مارأيت فأضعه في موضعه وكذلك كان العلماء يتحسسون الى  
الأعراب فيما أشكل عليهم فيأخذون بحكهم وينصاعون الى قولهم الى عهد ليس  
بالقليل من العصر العباسي بعد كما كان يفعل الاصمعي فيه اقتداء بما كان يفعله  
في العصر الأموي قبله أبو عمرو بن العلاء





## الشعر

## ١- نماذج

## ١- الشعر السياسي

حينما عزم معاوية على البيعة ليزيد وكان قد بلغه ماكره من سعيد بن العاص  
ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر أو عز إلى مسكين الدارمي أن يقول في  
ذلك متى اجتمعوا عنده فقال .

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد  
بني خلفاء الله مهلا فانما يبوؤها الرحمن حيث يريد  
إذا المنبر الغربي خلاه ربه فان أمير المؤمنين يزيد  
على الطائر الميمون والجلد صاعد لسكل أناس طائر وجدود  
فلا زلت أعلى الناس كعبا ولا تزل وفود تساميهما اليك وفود  
ولازال بيت الملك فوقك عاليا تشيد أطناب له وصمود  
قدور ابن حرب كالجوابي وتحتها أئناف كأمثال الرئال ركود  
فلما انتهى قال معاوية ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله فلم يتكلم أحد  
إلا موافقا .

ولما كانت الانصار متشعبة لعلى ضد معاوية طلب ابنه يزيد من كعب بن  
جعيل أن يهجوهم فأبى ولكن دله على الاخطل قدماء وأمره بذلك فقال فيهم  
من قصيدة

لعن الاله من اليهود عصابة بالجزع بين اصيلصل وصرار  
 قوم اذا هدر العصير رأيتهم حمرا عيونهم من المسطار  
 خلوا المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بنى النجار  
 إن الفوارس يعملون ظهوركم أولاد كل مقبح أكار  
 ذهب قريش بالمكارم كلها واللؤم تحت عمائم الانصار  
 فدخل النعمان بن بشير الانصارى على معاوية ثم حسر العمامة عن رأسه وقال  
 يا معاوية هل ترى لؤما قال ما أرى الا كرما قال فما بال عبد الارقم يقول فينا  
 ذهب قريش بالمكارم كلها واللؤم تحت عمائم الانصار

ثم قال

معاوى إلا تعطنا الحق تعترف لحي الازد مشدودا عليها العمام  
 أيشتمنا عبد الارقم ضلة فاذا الذى تجدى عليك الارقم  
 فإلى ثأر دون قطع لسانه فدونك من ترضيه عنك الدراهم  
 إلى أن قال طاعنا فى خلافة معاوية وفاخرا بأعمال الانصار وأحسابهم  
 وإني لأغضى عن أمور كثيرة سترقى بها يوما اليك السلام  
 أصانع فيها عبد شمس وانى لتلك التى فى النفس منى أكتام  
 فأنت والامر الذى لست أهله ولكن ولى الحق والامر هاشم

فوهبه معاوية لسانه ثم أو عز الى ابنه يزيد أن يستشقه فيه فقبل  
 وبيت النعمان هذا على ما أن من ولاته لمعاوية أولا يرى فساد أمر بنى أمية  
 فى أواخر حكمها فهذا حفيده شبيب بن زيد بن النعمان يقول من قصيدة  
 على أيام الوليد بن يزيد

يأيها الراكب المزجي مطيته      لقيت حيث توجهت الشنا حسنا  
 أبلغ أمية أعلاها وأسفلها      قولاً ينفر عن نوامها الوسنا  
 أن الخلافة أمر كان يعظمه      خيار أولكم قدما وأولنا  
 فقد بقرتم بأيديكم بطونكم      وقد وعظمت فما أحسنتم الاذنا  
 لما سفكتم بأيديكم دماءكم      بغيا وغشيتم أبوابكم درنا  
 وقال يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري في استحقاق معاوية زياد بن أبيه  
 بأبي سفيان

ألا أبلغ معاوية بن صخر      مغلغلة من الرجل البجائي  
 أتغضب أن يقال أبوك عف      وترضى أن يقال أبوك زان  
 فأشهد أن رحلك من زياد      كرحم القيل من ولد الأتان  
 وأشهد أنها ولدت زيادا      وصخر من سمية غير دان  
 وقد تقدم شعر كعب بن جعيل في ذيل كتاب معاوية لعل وشعر النجاشي  
 في ذيل رد على عليه  
 وقال جواس بن القعطل الكلابي يذكر عدم مجازاة بني أمية لسكب على  
 نصرتها لهم

صبغت أمية بالدماء رماحنا      وطوت أمية دوتنا دنيهاها  
 أمي رب ككتيبة مجهولة      صيد الكهامة عليكم دعواها  
 كنا ولادة طعناها وحرابها      حتى تجلت عنكم غماها  
 فإله يجزي لا أمية سعيها      وعلا شددنا بالرماح عراها  
 جئتم من الحجز البعيد نياطه      والشام تنكر كهلها وفتاها  
 إذ أقبلت قيس كان عيونها      حديق الكلاب وأظمرت سبهاها

ومن هاشميات السكيت بن زيد

ألا هل عم في رأيه متأمل وهل مدبر بعد الاساءة مقبل  
 وهل أمة مستيقظون لرشدكم فيكشف عنه النعسة المتزمل  
 فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى مساويهم لو كان ذو الميل يعدل  
 وعطلت الاحكام حتى كأننا على ملة غير التي نتنحل  
 كلام النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية تفعل  
 رضينا بدنيا لا نريد فراقها على أننا فيها نموت ونقتل  
 ونحن بها مستمسكون كأنها لنا جنة مما نخاف ومعقل  
 أرانا على حب الحياة وطولها يجد بنا في كل يوم ونهزل

ومن قوله في بني هاشم أيضا

بني هاشم رهط النبي فأنى بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب  
 خفقت لهم منى جناحي مودة الى كنف عطاءه أهل ومرحب  
 وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء محبا على أنى أذم وأعضب  
 وأرمى وأرمى بالعداوة أهلها وإنى لأؤذى فيهم وأذنب

وقال أيمن بن خريم وكان من المنتشيعين لبني هاشم أيضا يمدحهم

نهاركم مكابدة وصوم وليلكم صلاة واقترأ  
 أأجمعكم وأقواما سواء وبينكم وبينهم الهواء  
 وهم أرض لا رجلكم وأنتم لأرؤسهم وأعينهم سماء

وقال أبو العباس الأحمى من أنصار بني أمية يحرصهم على حرب بن الزبير

أبني أمية لأرى لكم شبا إذا ما التفت الشيع  
 سعة وأحلاما إذا نزعت أهل الخلوم فصرها الزرع  
 أبني أمية غير أنكم والناس فيما أطمعوا طمعوا

أطعمتم فيكم عدوكم فما بهم في ذاكم الطمع  
 فلو أنكم كنتم كقومكم مثل الذي كانوا لكم رجعوا  
 عما كرهتم أو لردهم حذر العقوبة إنها تزع  
 وقال يهجو بني أسد عشيرة آل الزبير

بني أسد لا تذكروا الفخر إنكم متى تذكروه تكذبوا وتحققوا  
 متى تسألوا فضلا تضنوا وتبخلوا ونيرانكم في الشر فيها تحرق  
 إذا استبقت يوما قریش خرجتم بني أسد سكا وذو المجد يسبق  
 تبعثون خلف المجد سودا وجوهكم إذا ما قریش للأضاميم أصفقوا  
 وما ذاك إلا أن للؤم طابعا يلوح عليكم وسمه ليس يخلق

وقال أعشى ربيعة واسمه عبد الله بن خارجة الشيباني وهو مروان من قصيدة  
 في عبد الملك بن مروان

وما أنا في أمرى ولا في خصومتي بمتضم حتى ولا قارع سني  
 ولا مسلم مولاي عند جنابة ولا خائف مولاي من شر ما أجنى  
 وإن فؤادا بين جنبي عالم بما أبصرت عيني وما سمعت أذني  
 وفضلني في الشعر واللب أنني أقول على علم وأعرف من أعني  
 وإنني إذ فضلت مروان وابنه على الناس قد فضلت خير أب وابن

وهو الذي يقول لعبد الملك إذ تردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير

آل الزبير من الخلافة كالتى عجل النتائج بحملها فأحالها  
 أو كالضعاف من الجمولة حملت مالا تطيق فضيحت أحمالها  
 قوموا اليهم لاتناموا عنهم كم للغواة أطلتم إمامها  
 إن الخلافة فيكم لا فيهم ما زلتم أركانها وعمالها  
 أمسوا على الخيرات قفلا مغلقا فأنهض بيمنك فافتتح أقفالها

وقال نابغة بنى شيبان واسمه عبد الله بن المخارق لعبد الملك بن مروان حين  
عزم على خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد والمبايعة بها لابنه الوليد في  
مجلس حافل من قصيدة أوعز إليه أن يقولها

لابنك أولى بملك والده ونجم من قد عصاك مطرح  
داود عدل فاحكم بسيرته ثم ابن حرب فانهم نصحووا  
وهم خيار فاصمل بستتهم واحى بخير واكدح كما كدحوا  
وقال أبو وجزة السلمي المعروف بالسعدى يمتدح آل الزبير

راحت رواحا قلوصى وهى حامدة آكل الزبير ولم تعدل بهم أحدا  
راحت بستين وسقا فى حقيبتها ما حملت حملها الأذنى ولا السددا  
ما إن رأيت قلوصا قبلها حملت ستين وسقا ولا جابت به بلدا  
ذاك القرى لا قرى قوم رأيتهم يقرون ضيفهم الملوية الجددا  
وهو يريد بالقوم الذين يعرض بهم آكل ابراهيم بن هشام والى المدينة لهشام  
ابن عبد الملك وكان قد وفد اليه أبو زيد الاسلمى مادحا فضربه بالسياط لانه  
قال فى مدحه اياه « يا ابن هشام يا أخا الكرام » فقال له كأنى لست منهم  
وفى هذا يقول أبو زيد هاجيا له

مدحت عروفا للندى مصت الثرا حديثا فلم تهتم بأن تنزعرا  
تقائذ بؤس ذاقت الفقر والغنى وحلبت الايام والدهر أضرم  
سقاها ذووالارحام سجلا على الظما وقد كربت أعناقها أن تقطعا  
بفضل سجال لو سقاوا من مشى بها على الارض أرواهم جميعا وأشبعها  
فضمت بأيديها على فضل مأها من الرى لما أوشكت أن تضلعا  
وزهدا أن تفعل الخير فى الغنى مقاساتها من قبله الفقر جوما

وقال قطري بن الفجاءة أحد خاتم الخوارج من قصيده فاخرا ببلائه يوم  
دولاب و متمنيا الموت

لعمرك انى فى الحياة لزاهد وفى العيش ما لم ألق أم حكيم  
ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت طعان فتى فى الحرب غير ذميم  
فلم أر يوما كان أكثر مقصعا يعج دما من فائظ وكليم  
وضاربة خدا كرىما على فتى أغر نجيب الامهات كريم  
أصيب بدولاب ولم تك موطننا له أرض دولاب ودير حميم  
فلو شهدتنا يوم ذلك وخيلنا تبيع من الكفار كل حريم  
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

وقال الطرماح بن حكيم وكان يعتقد مذهب الخوارج

لقد شقيت شقاء لا انقطاع له إن لم أفز فوزة تنجى من النار  
والنار لم ينج من روعاتها أحد إلا المنيب بقلب المخلص الشارى  
أو الذى سبقت من قبل مولده له السعادة من خلاقها البارى  
وقال ثابت بن كعب المعروف بثابت قطنه وكان منقطعا الى آل المهلب من  
قصيدة فى رثاء يزيد بن المهلب

كل القبائل تابعوك على الذى تدعو اليه وبايعوك وساروا  
حتى إذا حس الوغى وجعلتهم نصب الأسنة أسلموك وطاروا  
إن يقتلوك فان قتلك لم يكن حارا عليك وبعض قتل حار

وقال حمزة بن بيض يخاطب مخلد بن يزيد هذا

أتيناك فى حاجة فاقضها وقل مرحبا يجب المرحب  
ولا تتكنا الى معشر متى يعدوا عدة يكذبوا

فانك في الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب  
وفي أدب منهم قد نشأت ونعم لعمرك ما أدبوا

## ٢ - شعر المدح والهجاء

لم يخرج الشعر السيامي السابق عن أنه مدح أو هجاء ولكنه ينصرف الى  
الطائفة التي ينتمى اليها المقول فيه أكثر مما ينصرف الى شخصه أما الذي نريده  
بهذا العنوان فهو على عكسه وان كان غير تام الانفصال عنه خضوعاً  
لهوية قائلة . وفجوله المتقدمون في هذا العصر الاخطل والتمزدق وجرير  
فلنختار لهم أولاً -

قال الاخطل يمدح بني أمية ويتخلص إلى مدح بشر بن مروان

إن يحموا عنك فاحلام شيمتهم والموت ساعة يحمى منهم الغضب  
كانهم عند ذاكم ليس بينهم وبين من حاربوا قربي ولا نسب  
كانوا موالى حق يطلبون به فادركوه وما ملوا ولا لعبوا  
هم سعوا بابن عفان الامام وهم بعد الشمس مروها ثمت احتلبوا  
إلى أن قال في بشر

إذا أتيت أبا مروان تما له وجدته حاضرته الجود والحسب  
ترى اليه رفاق الناس سائلة من كل أوب على أبوابه عصب  
يحتضرون سجالاتاً من فواضله والخير محتضر الأواب منتهب

ومن جيد مدائمه لبني أمية قصيدته التي يقول فيها

حشد على الحق عياف الخنا أنف إذا أمت بهم مكروهة صبروا  
شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدرا

ومنها في عبد الملك



تسمى فداء أمير المؤمنين إذا أبدى الواجد يوما عارم ذكر  
 الخائف الغمرة الميعون طائرته خليفة الله يستسقى به المطر  
 ولما حمله بشر بن مروان على الحكم بين الفرزدق وجريز فقال مكرها « الفرزدق  
 ينحت من صخر وجريز يغرف من بحر » لم يرض بذلك جريز وقال  
 ياذا الغباوة إن بشرا قد قضى ألا تجوز حكومة النشوان  
 فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة في بني شيبان  
 قتلوا كليبكم بلقحة جارهم يا خزر تغلب لستم بهجان  
 فقال يرد على جريز

اخسأ اليك كليب إن مجاشعا وأبا القوارس نهشلا أخوان  
 ولقد تناسبتم إلى أحسابكم وجعلتم حكما من السلطان  
 فاذا كليب لا تعاوى دارما حتى يساوى خرم بأبان  
 وإذا وردت الماء كان لدارم عفواته وسهولة الاعطان  
 ومن هجاه جريز للاختل بهجاه قبيلته تغلب وافتخاره بمضر قوله  
 إن الذي حرم المكارم تغلبا جعل النبوة والخلافة فينا  
 مضر أبي وأبو الملوك فهل لكم يا خزر تغلب من أب كايينا  
 هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت سافكم إلى قطينا  
 ومن موجه هجائه لتغلب

إني جعلت فلن أعافى تغلبا للظالمين عقوبة ونكالا  
 قبح الاله وجوه تغلب أنها هانت على مراسنا وسبالا  
 قبح الاله وجوه تغلب كلما شبح الحجيج وكبروا إهلالا  
 عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرئيل وكذبوا ميكالا

المعرسين اذا انتشوا بيناتهم والدائبين إجارة وسؤالا  
 والتغابي إذا تنحجح للقري حك استه وتمثل الامثالا  
 ولو آف تغلب جمعت أنسابها يوم التفاضل لم تزن منقلا  
 لا تطلب بن خؤولة في تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا  
 ولقد اجتمع الاخطل وجريبر على هجاء التيم. فن هجاء الاخطل لها قوله  
 وكنت اذا لقيت عميد تيم وتيا قلت أيها العبيد  
 لئيم العالمين يسود تيا وسيدهم وان كرهوا مسود  
 ومن أهاجي جريبر فيهم قوله من قصيدة

إذا عد الكرام وجدت تيا نخالتهم وغيرهم اللبابا  
 ترى للؤم بين سبال تيم وبين سواد أعينهم كتابا  
 وقوله من أخرى

ترى الابطال قد كلموا وتيم صحيح الجلد من أثر السكوم  
 من الاصلاب ينزل لؤم تيم وفي الارحام يخلق والمشم  
 ولما هجاه ابن أم غسان بقوله

لعمري لئن كانت بجيلة زانها جريبر لقد أخزى كليباً جريبرها  
 رميت نصالاً عن كليب فقصرت مراميك حتى عاد صفراً جفيراها

قال فيه

ألا ليت شعري عن سليط ألم تجد سليط سوى غسان جارا يجيرها  
 فقد ضمنوا الاحساب صاحب سوءة يناجى بها نفسا خبيثا ضميرها  
 فإني سليط فارس ذو حفيطة ومعقلها يوم الهياج جمعورها  
 ولما اعترض البعيث دون ابن أم غسان وقال منتصرا له يهجو قوم جريبر  
 مخاطبا اياه

كليب ثمام الناس قد تعلمونه وأنت إذا عدت كليب لثيمها  
أترجو كليب أن يجيء حديثها بخير وقد أعيا كليباً قديمها

قال فيه جرير

ألم ترأني قد رميت ابن فرثي بصماه لا يرجو الحياة أميمها  
له أم سوء بنس ما قدمت له إذا فرط لأحساب عد قديمها  
ولما أمان الفرزدق البعيت على جرير إذ نال من مجاشع وها منها بقوله فيه .

عجبت لحين ابن المراغة أن رأى له غما أهدي إلى القوافيا  
وهل كان فيما قد مضى من شبيبتي له رخصة عندي فيرجو ذكائبها  
ألم أك قد راهنت حتى علمت مكاني وخت لي معد عنانها  
وما حمت أم امرئ في ضلوعها أعق من الجاني عليها هجائيا  
وأنت بوادي الكاب لأنت ظاعن ولا واجد يابن المراغة بانيسا  
إذا العنز بالت فيه كادت تسيله عليك وتني أن تحمل الروابيا

رد عليه جرير بقصيدة طويلة منها قوله يخاطبه

باي تجاد تحمل السيف بعدما قطعت القوى من محمل كان باقيا  
باي سنان تطعن القوم بعد ما نزعت سنانا من قناتك ماضيا  
لساني وسيفي صارمان كلاهما ولا سيف أشوى وقعة من لسانيا  
ثم نشب الهجاء بين جرير والفرزدق دون من ذكرنا حتى ضربت به الامثال .  
وكان بدء انصراف جرير عن البعيت إلى الفرزدق قوله .

تمنى رجال من تميم لي الردى وما زاد عن أحسابهم ذائد مثلي  
كأنهم لا يعلمون مواطئي وقد علموا أنني أنا السابق المجلي  
فلو شاء قومي كان حلمي فيهم وكان علي جهال أعدائهم جهلي

وأوقدت نارى بالحديد فأصبحت لها هب يصلى به الله من تصلى  
 إذا سار فى الركب البعيت عرفتم ترمز حمراء العجان على الرجل  
 لعمرى لقد أخذنى البعيت مجاشعا وقال ذوو أحسابهم ساء ما يبلى  
 الى أن قال متخلصا الى الفرزدق

ولما اتقى القين العراقى باسته فرغت الى القين المقيد بالحجل  
 ألم تر أنى لا تبلى رميتى فمن أرم لا تخطىء مقاتلة تبلى  
 وهذه الأبيات من قصيدة يرد بها جرير على قصيدة للبعيت من وزنها وقافيتها  
 يقول فيها لجرير

أبى لكليب أن تسامى معشرا من الناس أن ليسوا بفرع ولا أصل  
 سواسية سود الوجوه كأنهم ظرابى غربان بمجرودة محل  
 فقل لجرير اللؤم ما أنت صانع وبين لنا إن البيان من الفصل  
 أبوك عطاء ألام الناس كلهم فقبح من شيخ وقبح من نجل  
 وهى التى يقول فيها للفرزدق لأمأ اياه على قعوده عن هجو جرير

لعمرى لقد ألهمى الفرزدق قيده ودرج نوادرد ذو الدهان وذو الكحل  
 فيا ليت شعرى هل ترى لى مجاشع غنائى فى جل الحوادث أو بذلى  
 وذنبى عن أعراضهم كل مترف وجدى إذا كان القيام على رجل  
 والقيد الذى يشير اليه البعيت وجرير فى كلامهما عن الفرزدق هو ما كان من  
 الفرزدق فى قيد نفسه وتوبته وحديثه عن ذلك فى قصيدة جاءت من وزنها  
 ورويتها قصيدتا جرير والبعيت منها

لعمرى لئن قيدت نفسى لطالما سعيت وأوضعت المطية للجهل  
 ثلاثين عاما ما أرى من عماية إذا برقت لإشددت لها رحلى  
 أتتني أحاديث البعيت ودونه زرود فشامات الشقيق الى الرمل

فان يك قيدي كان نذرا نذرته فابي عن أحساب قومي من شغل  
 أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي  
 ولما هجا الفرزدق قيسا في أمر قتيبة بن مسلم الباهلي والجريير في قيس خثولة  
 بقوله فيها :

أتاني وأهلي بالمدينة وقعة لآل تميم أقعدت كل قائم  
 كأن رهوس الناس إذ سمعوا بها مشدخة هاماتها بالأمانم  
 وما بين من لم يعط سمعا وطاعة وبين تميم غير حز الحلاقم  
 أنغضب أن أذنا قتيبة حزنا جهارا ولم تغضب لقتل ابن خازم  
 وما منهما إلا نقلنا دماغه إلى الشام فوق الشاحجات الروام  
 تذبذب في المخلاة تحت بطونها محذفة الأذنان جلع المقادم  
 وما أنت من قيس فتلبج دونها ولا من تميم في رهوس الأعاظم  
 تخوفنا أيام قيس ولم ندع لعيلان أنقا مستقيم الخياشم  
 لقد شهدت قيس فما كان نصرها قتيبة الا عضها بالأباهم

قال جرير يحميه

تحضك يا ابن القين قيسا لي جعلوا لقومك يوما مثل يوم الراقم  
 كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا وصرور بن صمرواذ دعوايال دارم  
 ولم تشهدوا لجونين والشعب ذا الصفا وشداث قيس يوم دير الجماجم  
 فيوم الصفا كنتم عبيد العامر وبالحنو أصبحتم عبيد الالهزام  
 إذا عدت الأيام أخزين دارما وتخزيك يا ابن القين أيام دارم

ومن موجه هجاء الفرزدق لجرير قوله :

أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى عظام المخازي عن عطية تنحلي  
 أمن جزع أن لم يكن مثل غالب أبوك الذي يمشى بربق موصل

وإن تهج آل الزيرقان فأنما هجوت الطوال الشم من هضب يذبل  
وقد ينبج السكب النجوم ودونها فراسخ تضي العين للمتأمل  
فما تم في سعد ولا آل مالك غلام إذا ما قيل لم يتهدل  
لهم وهب النعمان بردى محرق بهجد معد والعديد المحصل  
وليس بأقل منه قول جرير فيه

كذب الفرزدق لن يجارى طامرا يوم الرهان بمقرف مبهور  
ولقد جهلت بشتم قيس بعدما ذهبوا بريش جناحك المكسور  
لن تدركوا غطفان لو أجريتم يا ابن القيون ولا بنى منصور  
نغروا عليك بكل سام معلم فانخر بصاحب كابتين وكبير  
كم أنجبوا بخليفة وخليفة وأمير صائفتين وابن أمير  
ولما فضل الراعي الفرزدق على جرير في قصيدته التي مطلعها

يا صاحبي دنا الأصيل فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا  
وعاتبه جرير فلم يعتبه قال جرير قصيدته الفاضحة التي مطلعها  
أقلى اللوم عازل والعتابا وقولى إن أصبت لقد أصابا  
ومنها بعد نسيبه ونغره - والراعي من نمير -

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا  
فلو وضعت فقاح بنى نمير على خبث الحديد إذن لذابا  
ولو ولدت فقيرة جروكاب لسبب بذلك الجرو السكلابا  
ولو وطئت نساء بنى نمير على ترب لأخبثت الترابا  
فلا صلى الاله على نمير ولا سقيت قلوبهم سحابا  
أنا البازي المظل على نمير أتيح لهم من الجوا انصبابا

ولكل من الفرزدق وجريز مدائح ولكن هوى الفرزدق علوى وهوى جريز  
أموى وهذا بعض منها

وفد جريز أول دخوله العراق على الحكم بن أيوب الثقفى ابن عم الحجاج  
وعامله على البصرة فقال وكان رجازا

أقبلن مى مهلان أو وادى خيمهم على قلاص مثل خيطان السلم  
إذا قطعن علما بدا علم حتى أنخناها الى باب الحكم  
خليفة الحجاج غير المتهم فى ضئضى المجد وبجروح الكرم  
فبعث به الى الحجاج فمدحه وكان من قوله فيه

ان ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا ماضى البصيرة واضح المنهاج  
ماض على الغمرات يمضى همه والليل مختلف الطرائق داج  
منع الرشا وأراكم سبل الهدى واللعن نكله عن الادلاج  
فاستوسقوا وتبينوا سبل الهدى ودعوا النجى فليس حين تناجى  
وهى طويلة ومنها فى صفته وهما بيتاها

من سد مطلم النفاق عليكم أم من يصول كصوله الحجاج  
أم من يغار على النساء حفيظة اذ لا يتقن بغيره الأزواج  
فبعث به الحجاج الى عبد الملك فمدحه بقصيدة طويلة منها

تعزت أم حزرة ثم قالت رأيت اراردين ذوى امتناح  
تعلل وهى ساغبة بنيتها بأنفاس من الشبم القراح  
سامتأح البحور فجنيبنى أذاة اللوم وانتظرى امتياحى  
تقى بالله لیس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح  
أغثنى يا فـداك أبى وأمى بسيب منك إنك ذو ارتياح  
فأنى قد رأيت على حقا زيارتى الخليفة وامتداحى

سأشكر أن رددت إلى ريشي وأنبت القوادم في جناحي  
 ألتئم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطوف راح  
 ومن مدائح الفرزدق الرائعة على ما كان من اشتغاله عن المدح بالفخر والهجاء  
 قوله بمدح علي بن الحسين من قصيدة

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته  
 هذا ابن خير عباد الله كلهم  
 إذا رأته قریش قال قائلها  
 وليس قولك من هذا بضائره  
 يغضى حياء ويغضى من مهايته  
 بكفه خيزران ريحه عقب  
 يكاد يمسكه عرفان راحته  
 ينشق ثوب الدجى عن نور غرته  
 من معشر خبيهم دين وبغضهم  
 إن عد أهل التقي كانوا أئمتهم

والمدائح والأهاجي في هذا العهد أبعد من أن يجمع بين أطرافها اختيار  
 فلندعها إلى غيرها مرغمين

### ٣ - شعر الغزل

قال جميل بن عبد الله بن معمر العذري وهو إمام المتغزلين بالاجماع  
 يذكر أياما له مع محبوبته بثينة وقد فرقت بينهما نوى شطون متحميا أن تعود  
 ألا ليت أيام الصفاء جديد      ودهرا تولى يا بثين يعود  
 فنغنى كما كنا نكون وأنتم      صديق واذا ما تبذلين زهيد  
 إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي      من الحب قالت ثابت ويزيد  
 م - ١٩ أدب



وإن قلت ردى بعض عقلى أعش به  
فلا أنا مردود بما جئت طالبا  
يموت الهوى منى إذا ما لقيتها  
يقولون جاهد يا جميل بغزوة  
مع الناس قالت ذاك منك بعيد  
ولا حبها فيما يبيد يبيد  
ويحيا إذا فارقتها فيعود  
وأى جهاد غيرهن أريد

وقال :

لها فى سواد القلب بالحب منعة  
وما ذكرتك النفس يا بثن مرة  
والا اعترتني زفرة واستكانه  
وما استطرفت نفسى حديثا خللة  
أمنصفتى بثن فتعدل بيننا  
تعلقتها والجسم منى مصحح  
الى اليوم حتى سل جسمى وشفنى  
هي الموت أو كادت على الموت تشرف  
من الدهر الا كادت النفس تتلف  
وجاد لها سجل من الدمع يذرف  
أمر به الا حسديشك أطرف  
إذا حكمت والحاكم العدل ينصف  
فما زال ينمى حب بثن وأضعف  
وأنكرت من نفسى الذى كنت أعرف

وقال :

وما زلت يا بثن حتى لو آنى  
إذا خدرت رجلى وقيل شفاؤها  
وما زادنى النأى المفرق بعدكم  
ولا زادنى الواشون إلا صباة  
ألم تعلمى يا عذبة الريق أننى  
وانى لينسينى لقساؤك كلما  
لقد خفت أن ألقى المنية بغتة  
وقال وهو من أبداع ما قال  
وانى لأرضى من بئينة بالذى  
من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا  
دعاء حبيب كنت أنت دعائيا  
سلوا ولا طول التلاقى تقساليا  
ولا كثرة الناهين الا تماديا  
أظل إذا لم ألق وجهك صاديا  
لقتك يوما أن أثبك ما يبسا  
وفى النفس حاجات اليك كما هيا  
لو أبصره الواشى لقرت بلا بلة

بلا وبألا أستطيع وبألمنى  
وبالمنظرة العجلى وبالحول تنقضى  
وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

قال لى صاحبي ليعلم ما بى  
قلت وجدى بها كوجدك بالما  
من رسولى الى الثريا فانى  
سلبتنى مجاجة المسك عطفى  
أبرزوها مثل المهابة تهادى  
وهى مكنونة تحير منها  
ثم قالوا تحبها قلت بهرا  
دمية عند راهب ذى اجتهاد  
وقال فى وداع

كدت يوم الرحيل أقضى حياتى  
لا أطيق الكلام من شدة الخو  
ذرفت عينها وفاضت دموعى  
وقال من وصف زورة ليلية طويل

فحيت إذ فاجأتها فتولت  
وقالت وعضت بالبنان فضحتنى  
فقلت لها بل قاذى الشوق والهوى  
فيالك من ليل تقاصر طوله  
وبالك من ملههى هنك ومجلس  
وكادت بمكنون التهية تجهر  
وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر  
اليك وما عين من الناس تنظر  
وما كان ليلى قبل ذلك يقصر  
لنا لم يكدره علينا مكدر

فأما تقضى الليل إلا أقله  
 أشارت بأن الحى قد حان منهم  
 ولما رأت من قد ثور منهم  
 فقات أباديهم فأما أفوتهم  
 فقالت أتحقيقا لما قال كاشح  
 فإن كان مالا بد منه فغيره  
 وقامت كئيبا ليس فى وجهها دم  
 فقالت لأختيها أعينا على فتى  
 فأقبلتا فارتاعنا ثم قالتا  
 يقوم فيمشى بيننا متنكرا  
 فكان مجنى دون من كنت أتقى  
 فأما أجزنا ساحة الحى فان لى  
 وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا  
 وقال أبو دهب الجمحى

وبت كئيبا ما أنام كأنما  
 فطورا أمنى النفس من عمرة المنى  
 لقد قطع الواشون ما كان بيننا  
 وقال عبيد الله بن قيس الرقيات

رقى بعيشكم لاتهجرينا  
 عدينا فى غد ماشئت إنا  
 وخلال ضلوعى جرة تتوهج  
 وطورا اذا مالج بى الحزن أنشج  
 ونحن الى أن يوصل الجبل أحوج  
 ومنينا المنى ثم امطينا  
 نحب وان مطلت الواعدينا

فأما تنجزى عدتى وأما نعيش بما تؤمل منك حيناً  
وقال قيس بن معاذ أو ابن الملوحة على خلاف في أبيه وهو المعروف بمجنون ليلى  
فوالله ثم الله إني لدائب أفكر ما ذنبى إليها وأعجب  
ووالله ما أدري علام قتلتنى وأي أمورى فيك ياليل أركب  
أأقطع حبل الوصل والموت دونه أم أشرب رنقا منكم ليس يشرب  
أم أهرب حتى لا أرى لى مجاوراً أم أصنع ماذا أم أبوح فأغلب  
فأيها باليل ما ترتضينه فانى لمظلوم وانى لمعتب  
وقال كثير عزة لما أخرجت الى مصر

وقال خليلي ما لها إذ لقيتها غداة السنا فيها عليك وجوم  
فقلت له ان المودة بيننا على غير فحش والصفاء قديم  
وانى وان أعرضت عنها تجلدا على العهد فيما بيننا لمقيم  
وان زمانا فرق الدهر بيننا وبينكم فى صرفه لمشوم

وقال قيس بن ذريح فى زوجه لبنى وقد حملت الى أهلها مطلقه على غير رغبة منه  
وانى لمن دمع عيني بالبكا حذار الذى قد كان أو هو كائن  
وقالوا غدا أو بعد ذلك بليلة فراق حبيب لم يبن وهو بائن  
وما كنت أخشى أن تكون منيتى بكفيك إلا أن ما حان حائن

وقال المخبل القيسى واسمه كعب فى ميلاء ابنة عمه

بلىنا بهجران ولم أر مثلنا من الناس إنسانين بهتجران  
أشد مصافة وأبعد من قلى وأعصى لواش حين يكتنفان  
فوالله ما أرى أكل ذوى الهوى على ما بنا أو نحن مبتليان

وقال يزيد بن الطثرية

بفسى من لو مر برد بنانه  
ومن هابنى فى كل أمر وهبته  
على كبدى كانت شفاء أنامله  
فلا هو يعطينى ولا أنا سائله  
وقال ذو الرمة

مابال عينك منها الماء ينفكب  
أستحدث الركب عن أشياءهم خبرا  
كأنه من كلى مفرية صرب  
أمراجع القلب من أطرايه طرب  
لا بل هو الذوق من دار تخونها  
دار لمية إذ مى تساعفنا  
عجزاء بمكورة فخصانة قلق  
زين الثياب واناثوابها استلبت  
براقة الجيد واللبات واضحة  
لمياء فى شفقتها حوة لمس  
كحلاء فى دعج صفراء فى برج  
تريك سنة وجه غير مقرفة  
تزداد فى العين إبهاجا اذا سفرت  
والقرط فى حرة الدفرى معلقة  
تلك الفتاة التى عاقتها عرضا  
وقال توبة بن الحمير فى ليلى الاخيلية  
ولو أن ليلى الاخيلية سلمت  
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا  
وقالت تعنيه

وذى حاجة قلنا له لاتبع بها  
فليس اليها ماحييت سبيل

لنا صاحب لا يذبحني أن نخونه وأنت لأخرى صاحب و خليل  
وقال جرير من قصيدة طويلة أبدع النسيب فيها

يأم عمرو جزاك الله مغفرة ردى على فؤادى كالذى كانا  
ألست أحسن من يمشى على قدم يأملح الناس كل الناس انسانا  
يلقى غريمكم من غير عسرتكم بالبذل بخلا وبالا حسان حرمانا  
لقد كتمت الهوى حتى تهيمنى لا أستطيع لهذا الحب كتماننا  
لإبارك الله في الدنيا اذا انقطعت أسباب دنياك من أسباب دنيانا  
أبدل الليل لائسرى كواكبهم أم طال حتى حسبت النجم حيرانا  
إن العيون التي في طرفها حور قتلتنا ثم لم يحمين قتلانا  
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله انسانا

وقال الأحوص واسمه عبد الله بن محمد بن عبد الله من الأوس

ألا لآلمه اليوم أن يتبلدا فقد غلب المحزون أن يتجلدا  
وما العيش إلا ماتلذ وتشتهى وإن لام فيه ذو الشنان وفندا  
بكيك الصبا جهدا فمن شاء لآمنى ومن شاء وأسى في البكاء وأسعدا  
وإنى وإن عيرت فى طلب العبا لأعلم أنى لست فى الحب أوحدا

#### ٤ - شعر الأغراض الأخرى

كانت الأغراض الثلاثة المتقدمة نماذجها وهى الشعر الميمامى وشعر الهجاء  
والمدح ثم شعر الغزل هى الغالبة على الشعر فى العصر الاموى ولذا أفردنا  
كلها منها بنماذج فيما مضى وجمعنا بين نماذج الأغراض الأخرى هنا

قال القرزدي يفتخر والسكنه لم ينس جريرا بلاذع هجوه

ألم تر أنا بنى دارم زرارة منا أبو معبد  
ومنا الذى منم الوائد ت وأحيا الوئيد فلم توأد  
وناجية الخير والاقرما ن وقبر بكافمة المورد  
إذا ما أتى قبره مائذ أناخ على القبر بالاسعد  
ألسنا بأصحاب يوم النسا ر وأصحاب ألوية المربد  
ألسنا الذين تميم بهم تسمى وتفتخر فى المشهد  
أيطلب مجد بنى دارم عطية كالجعل الاسود  
قرنى يحك قفا مقرف لثيم ماآثره قعدد  
ومجد بنى دارم دونه مكان السماكين والفرقد

وقال الأخطل يصف الكأس

وكأس مثل عين الديك صرف تنسى الشارين لها العقولا  
إذا شرب القى منها ثلاثا بغير الماء حاول أن يطولا  
مشى قرشية لاشك فيها وأرخى من ماآزره الفضولا

ومن قوله يصف السكران

صريع مدام يرفع الشرب رأسه ليحيا وقد ماتت عظام ومفصل  
نهاده أحيانا وحينما نجره وما كاد الا بالحشاشة يعقل  
إذا رفعوا صدرا تحامل صدره وآخر مما نال منها يحمل

فباب القرزدي الذى لا ينازع فيه مع الشعر السيامى والمدح والهجاء الفخر  
وباب الأخطل معهما وصف الخمر أماباب جرير معهما أيضا فهو النسيب وقد  
سأمت قطعة له من قصيدة فى نماذج الغزل على أنه كان يجيد مع هذه الرثاء أيضا

ومما بحمد له فيه قوله يرثي الفرزدق

لعمري لقد أشجى تميا وهدها على نكبات الدهر موت انفرزدق  
 عشية راحوا للفراق بنعشه الى جدث في هرة الارض معمق  
 لقد غادروا في الاحد ما كان ينتمى الى كل نجم في السماء محلق  
 عماد تميم كاهنـا ولسانها وناطقها البذاخ في كل منطق  
 فن لدوى الأرحام بعد ابن غالب لبحار وعان في السلاسل موثق  
 ومن لتميم بعد موت ابن غالب وأم عيال ساغبين ودرق  
 ومن يطلق الامرى ومن تحقن الدما يدها ويشفى صدر حران محرق  
 فتى عاش يبني المجد تسعين حجة وكان الى الخيرات والمجد يرتقى

وقال حصين بن معاوية المعروف بالراعى يصف بيضة نعام حضنها ظليم بالليل  
 ثم تركها عند طلوع الشمس ينتفض

وما بيضة بات الظليم يحفها بوعساء أعلى تربها قد تلبدا  
 فلما علت الشمس في يوم طلقة وأشرف مكاء الضحى فتفردا  
 أراد قياما فازبأر عقاؤه وحرك أعلى جیده فتأودا  
 وهز جناحيه فساقط جیده فراشا وهي عن متنه فتبدا  
 فغادر في الأدحى صفراء تركه هجانا إذا مال الشرق فيها توقدا  
 بألين مسا من سعاد للامس وأحسن منها حين تبدى مجردا

وقال القظامي وهو صمير بن شبيب من تغلب

ليس الجديد به تبقى بشاشته الا قليلا ولا ذو خلة يصل  
 والعيش لا عيش الا ما تقر به عين ولا حالة الا ستنتقل  
 والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولا من المخطي الهبل



قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل  
وقال قطري بن العجاءة

أقول لها وقد طارت شعاعا من الابطال ويحك لن تراعى  
فانك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعى  
فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع  
ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخنع اليراع  
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الارض داع  
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم وتسامه المنون الى انقطاع  
وما للمرء خير في حياة اذا ماعد من سقط المناع

وقال صخر بن حبناء التميمي من الأزارقة

إني هزئت من أم الغمر إذ هزئت بشيب رأسي وما بالشيب من عار  
ما شقوة المرء بالافتار يقتره ولا سعادته يوما باكثار  
إن الشقى الذي في الدار منزله والفوز فوز الذي ينجو من النار  
أعوذ بالله من أمر يزين لي لوم العشيعة أو يدني من النار  
وخير دنيا ينسى شر آخرة وسوف ينبئني الجبار أخباري  
لأقرب البيت أحبو من مؤخره ولا أكسر في ابن العم أظفاري  
إن يحجب الله أبصارا أراقبها فقد يرى الله حال المدلج الساري

## ب - حياتها

إحياء العصبيات :-

آلت الخلافة إلى معاوية على كره من الفريق الاعظم في الامة، فكان عليه  
أن يصرّف جل اهتمامه بل كله إلى استرضاء من يمكن استرضائهم من هذا

الفريق والاحالة بين لم يرضوا وبين الطمع في استخلاصها منه، وكان عليه فوق ذلك أن يحول الخلافة الشورية التي لم تك وقفاً على بيت دون سائر البيوت الى ملك عضوض يتوارث كما كانت تفعل القياصرة والاكاسرة في الفرس والروم. وقد أتاحت له فسحة أجله الذي امتد به عشرين سنة بعد عام الجماعة أن يحقق هذين الأمرين معا بما بذل من عناية فاقت كل عناية وتابع من جهود كانت تزلزل دون احتمالها الروامى . ولقد كان أول جهد انصرف اليه همه بعد ذلك العام أن يبعث العصبية الجاهلية من مرقدتها ويرد العرب إزاءها كما كانت شيما وأحزابا وما كان أشد تعطش القبائل كتميم وقيس من مضر، وبكر وعبد القيس من ربيعة، وكندة والازد من اليمن الى هذا البعث بطفئون به غلة كانت كاملة في نفوسهم ضد المهاجرين من قريش والانصار من الخزرج والاوز لما كان لهما من سبق الى الاسلام مكن لهم في حمل أمور الدولة وأتاح لهم التمتع بسطانها . ولما كان مقتل عثمان رحمه الله قد فرق بين المهاجرين والانصار أو بين قريش واليمن إذ انضم الآلون الى معاوية وثبت الآخرون مع علي حتى قال رجل من اليمن لقريش في حروب صفين ( أيها الناس هل من رائج الى الله تحت العوالي والذي نفسى بيده لنة اتلنكم على تأويله كما فاتناكم على تنزيله ) وكان اضطغان القبائل المذكورة وغيرها على قريش أشد منه على اليمن لأن المهاجرين كانوا ذوى الحل والعقد ويبدم الامر والنهى وما الانصار معهم الا مساعدون فرأى معاوية حين استأثر بالامر أن قريشا وحدها في كفة والعرب كلها من نزارية ويمنية في أخرى فكان عليه أن يؤلف اليه الطائفتين ويسترضى الفريقين غير أن مطامع النزاريين وتمكن الطامعين في الخلافة من قريش أن يؤلفوا منهم أعوانا وأنصارا، جعله ينصرف أولا الى تأليف اليمنيين ليكون

منهم مع أهل الشام جبهته التي عليها يعتمد ويده التي بها يبطش وكان قد بدأ شيئاً من هذا مع الكابيين المنتشرين بدومة الجندل وتبولك وأطراف الشام بزواجه منهم ميسون بنت بحدل أم ابنه يزيد وباستنهاضهم لذلك ولأن امرأة عثمان كانت منهم - حين حروب صفين إلى الخروج لقتال على مطالبة على زعمه بدم عثمان. فإزال يستغويهم بذلك ويدعم هذه الصلة في عهده الجديد بشتى الوسائل حتى صارت كلب ومن انضم إليها من سائر اليمنية حميريين وكهلانيين وغير اليمنية كالربعيين وبعض القيسيين حزبه ضد جبهة قيس والأنصار وبذلك صارت العرب كلبية وقيسية أو يمنية ومضرية. ولفضل كلب هذا على بني أمية كانت لها الدالة عليها جعلت بن القعطل الكلابي يقول لها ما قدمنا من شعر فيما ظنه تقصيرا بهم ثم تمشى هذا الانقسام في سائر أنحاء المملكة الإسلامية، وطالما قامت بسببه المنازعات في الشام والعراق وفارس وخراسان ومصر وأفريقية والاندلس بعد، فما خلا إقليم منها من حزب مضري وآخر يعني لا يزالان يتنازعان السلطان تنازعا بعيد الأثر في تصريف أحواله وإدارة شئونه وكانت لذلك كله في الشعر شئون .

### ١ - استخدام الشعر في السياسة

أحيا معاوية تلك الغصبة العامة على ماهو ناجم من خلافات بين أسرته وبني هاشم، وبين بني عبد مناف والزييريين، وبينهم جميعا والخوارج. فأحيا بحيايتها الشعر وألبسه ثوبه الجاهلي الفضيض ثم لم يتركه ينمو وحده على هذا الأساس بل لم يزل يدهم بالأراث يذكي ناره ويزيد في لهيبه بما كان يصنع من تقريب الشعراء واستخدامهم في نشر ما يريد مجزلا عطاياهم رافعا من شأنهم وقد استمال إليه منذ القديم الربعيين إذ استخلص منهم لنفسه كعب بن جعيل التغلبي فسماه شاعر الشام واستغله في الخلف بينه وبين علي الذي اضطر أن ينصب له قرينا من

أتباعه هو النجاشي شاعر العراق، وقد سبق ذلك كما سبق إبعازه إلى مسكين  
الدرامي أن يقول فيما بلغه من مكرره عن سعيد بن العاصي و مروان بن الحكم  
وعبد الله بن عامر حين هم بعقد ولاية العقدة لابنه يزيد فقال ما قال. وقد سبق أيضا  
ما كان من طلب يزيد هذا من كعب بن جعيل المذكور أن يهجو الانصار لما كان  
من بغض الامويين لهم في نصرتهم عليا ومن اشتداد التهاجي بين شاعرهم  
عبد الرحمن بن حسان وشاعر الامويين عبد الرحمن بن الحكم، وأن ابن جعيل  
وإن امتنع عليه في هجو قوم نصرروا رسول الله صلى عليه وسلم بقوله له «أرادى  
أنت إلى الشرك بعد الايمان» قد دله على غلام منهم نصراني هو الاخطل  
فأرسل إليه يزيد فهجأهم هجاء مرا تقدم كما تقدم ما كان من النعمان بن بشير  
بشأنه مع معاوية الذي تظاهر بعدم رضاه عنه ولكنه وقم على قلبه بردا  
وسلاما ولهذا تميل في عدم تمكن النعمان منه واستمر متخذًا للاخطل بين  
أحضانة يرعاه على نصرانيتها حتى ترعرع في نعمة الدولة وصار الشاعر الرسمي  
لها على عهد عبد الملك بن مروان بعد

هذا ولقد كان من معاوية فوق ذلك التقريب والاغراء الذي جعل الشعر  
ينمو ويزهر، تركه خصماءه أحرارا يقولون ما يريدون عملا بسياسته الآتفة في  
أن من ترك ينفس عن نفسه بقوله لا يخشى كبير خطر من فعله ولهذا كان  
يسمى هجاءه بأذنه فيعفو ويصفح. دخل عليه مرة أبو بردة بن أبي موسى  
الاشعري صاحب الفضل عليه في التحكيم فقال له يا أمير المؤمنين إن عتبة  
الاسدي قال فيك

معاوى إننا بشر فأسجج فلسنا بالجبال ولا الحديد  
أكلم أرضنا وجردتموها فهل من قائم أو من حصيد

فهبنا أمة هلكت ضياعا يزيد أميرها وأبو يزيد  
 أتطمع بالخلود اذا هلكننا وليس لنا ولا لك من خلود  
 ذروا خول الخلافة واستقيموا وتأمر الأراذل والعبيد

فما يمنعك يا أمير المؤمنين أن تبعث اليه من يضرب عنقه قال أفلا خير من  
 ذلك قال وما هو يا أمير المؤمنين قال نجتمع أنا وأنت ونزفم أيدينا الى السماء  
 وندعو عليه . بل كان يصبر على ما هو آلم من ذلك وأنتى . روى أن يزيد ابنه  
 قال له ذات يوم مغضبا أما سمعت قول عبد الرحمن بن حسان فى ابنتك ؟  
 قال وما الذى قال فقال قال

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغو اص ميزت من جوهر مكنون  
 قال صدق فقال يزيد وقال  
 واذا مانسبتها لم تجدها فى سناء من المكارم دون  
 قال صدق فقال وإنه قال  
 ثم خاصرتها الى القبة الخضر راء تمشى فى مرمر مسنون  
 فقال كذب ولم يزد على هذا

ورث معاوية هذه السنة سنة العمل على إحياء العصبية واستخدام الدولة  
 للشعراء، خلفاءها من بعده وقد كان قبل موته فرض العوالين منهم الاعطيات  
 فى بيت المال . ولقد شاءت الحوادث أن تعمل بعد وفاته على زيادة الخلف  
 واشتداد هذه العصبية فما كاد يزيد ابنه يتربع كرسى الخلافة حتى خرج  
 عليه الحسين بن على بالعراق وعبد الله بن الزبير بالحجاز . فأما الحسين فقد قتل  
 هو ونقر من آل بيته وبعض من أتباعه على أيدي من وجههم اليه عبيد الله بن  
 زياد والى يزيد على العراق فنكأ هذا القتل قروحا قديمة وأحدث صكوما

جديدة غيرت من قلوب كثير على يزيد حتى إن عبد الملك بن مروان بعد، كان يعتقد أن زوال ملك آل حرب كان سببه هذا القتل ولذلك أودع كتابه الذي بعث به إلى الحجاج حين ولاه الحجاز مأناه به عن التعرض لمحمد بن علي المعروف بابن الحنفية وأتباعه وكان من قوله فيه (جنبني دماء بني عبد المطلب فليس فيها شفاء من الحرب وإني رأيت بني حرب سابوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي). وأما ابن الزبير فمات يزيد وجيشه محاصره بمكة فعاد الجيش ولكن بعد أن أحرق أستار الكعبة وصدع ركنها بأمر قائده الثاني الحسين بن نعيم، وبعد أن كانت وقعة الحرة بالمدينة قبل وصوله مكة على يد قائده الأول مسلم بن عقبة تلك الوقعة التي عدّها يزيد تآرا لأشياخه القتلى في وقعة بدر حيث تمثل إذ بلغه خبرها بابيات ابن الزبير التي قالها في وقعة أحد وأولها

ليت أشياخي يبدر شهدوا جزع الخزرج من وقم الاسل

فهذان الحادنان الجليلان صرفا عن الدولة قلوبا لهما كانت موالية لبني سفيان فادعى ابن الزبير الخلافة بمكة عقب وفاة يزيد وأتته البيعة من كثير من الأمصار ولما مات معاوية بن يزيد بعد أربعين يوما من بيعته اضطرب أمر بني أمية اضطرابا شديدا لنفور الأمة ولصغر أخيه خالد بن يزيد فبايعت القيسية بالشام عبد الله بن الزبير وولى عليهم من قبله رئيسهم الضحاك بن قيس وتعصب الكلبيون لخالد لأنهم أخوال أبيه وانضم اليهم مروان بن الحكم ولكن ليستخلص الأمر لنفسه بعد لانصرة لخالد، ثم كانت وقعة مرج راهط بين قيس ويمن فأنجبت عن هزيمة قيس بمخديعة مروان بن الحكم الذي بويم بالخلافة فانتقل به الملك من السفينانية إلى المروانية غير أن مناوأة السفينانيين لم تزل إلا بقتل زعيمهم عمرو بن سعيد الأشدق على يد عبد الملك فإنه لما ولى الخلافة بعد أبيه كان

هذا القتل أول أعماله. ثم ولي الحجاج بن يوسف الحجاز ليصمد لعبد الله بن الزبير  
وشمر هو لاختيه المصعب في العراق فقتل المصعب وقتل من بعده الحجاج عبد الله،  
ولم يبق الا الخوارج في أطراف العراق فرد اليهم الحجاج من الحجاز فلم يزل  
تقاتلهم جيوشه تحت قيادة الملهب بن أبي صفرة حتى كسر حذتهم وأزال شوكتهم  
وبذلك صفا الجو لعبد الملك بعد هذه الانقلابات السياسية الخطيرة التي بدأت  
بموت معاوية فكانت تربة صالحة نما فيها الشعر السياسي المختلف الالوان ومتسعا  
متراميا هام منه الشعراء في كل واد حتى وجدت طائفة جديدة هي طائفة الشعراء  
السياسيين الذين دينهم الانتماء الى الاحزاب السياسية انما ينصر فيه كل حزبه  
بالدفاع عن عقيدته والاعلان عن محاسنه ومهاجاة من يتصدى لدمه .  
ونظرا لاشتداد الخلف واتساع أفقه كان الشعراء السياسيون في العهد الاموي  
أكثر الطوائف عددا وأبعدهم نفوذا منذ عهد معاوية إلى أن زالت الدولة.  
وهذه أسماء بعضهم في كل حزب

فن أنصار الحزب الأموي كعب بن جعيل ومسكين الدارمي والأخطل  
وجري وأبو العباس الاعمى وأعشى ربيعة ونابغة بنى شيبان وغيرهم كثير .  
ومن أنصار العلويين النجاشي وأبو الأسود الدؤلي وابن مفرغ الحميري  
والفرزدق والنعمان بن بشير وان كان قد ولي لبني أمية والكميت بن زيد وأمين  
ابن خريم وغيرهم . ومن أنصار الخوارج قطري بن الفجاءة وعمران بن حطان  
والظرماع بن حكيم وعبد الله بن الحجاج الديباني . ومن أنصار آل الزبير  
أبو وجزة السلمى المعروف بالسعدى لنزوله فيهم ومحالفه اياهم واسماعيل بن يسار  
النسائي وعبيد الله بن قيس الرقيات . ومن أنصار آل المهلب زياد الأعجم  
وكعب الأشقرى وبيس الجرمي . وقد كان الموطن الغالب لمؤيدي الدولة الشام

وشعرهم هو الشعر الموالي وموطن المعارضين على اختلاف نحلهم العراق وشعرهم هو الشعر الصاخب .

## ٢- انتشار المدح والهجاء

ولقد انتشر بانتشار هذا الشعر السيامى الذى كان يقصد الى الطائفة أكثر مما يقصد الى الأشخاص المدح والهجاء الموجهان الى الافراد انتصارا لعصبية القبائل أو رغبة فى المال والثراء ، فكثير لذلك الشعراء المداحون والهجاءون يقصد التكسب لا الدفاع عن رأى واعتقاد. واذ كانت الدولة على هذا السن تجرى فترجو وتخاف الشعراء وترتب لهم الاموال من فئ المسلمين، فان الناس وهم على دين ملوكهم يكونون فيهم أرغب ولهم أرهب وهذا الذى كان. فولع العظماء بسماع المدح وأجزلوا عليه العطايا والهبات وتسابقوا فى ذلك تسابق الجياد فى الميدان ثم خافوا الهجو وحادوا عن التعرض له بما دفعوا ثمناً لأعراضهم ووقاية لأحسابهم. وكما كان الممدوح يطعم أن يوصف بما ليس فيه من صفات عن طريق الشعر الذى يثبتها له وان كانت منه براه ، كذلك كان المهجو يتقى أن يوصم بما ليس فيه فيلصق به بتأثير الشعر لصوقا ليس منه فكأنك على أن هذا النهج فى المديح والفرق من الهجاء ملامن الخلفاء القلوب وامتلك عليهم الاسماع فلم يعد يكفيمهم أن يسمعوا للدولة تثبيتا ولا عنها دفاط لا يكون لاشخاصهم فيه أكبر نصيب . وقلدهم فى ذلك الولاة والامراء حتى لقد كان الواحد منهم يابى على الشاعر أن يفتخر بنفسه ويؤاخذ على ذلك جاهدا ذكروا أن الفرزدق ونصيبا حضرا عند سليمان بن عبد الملك فقال سليمان للفرزدق أنشدنى مقدرأ أن يمدحه فأنشد

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب  
مروا يخبطون الليل وهى تلفهم إلى شعب الأكوار ذات الحقائق

م- ٢٠ أدب



إذا أنسوا نارا يقولون ليتمها وقد خصرت أيديهم نار غالب  
فأعرض سليمان عنه مغضبا فقال نصيب يا أمير المؤمنين ألا أنشدك في رويها  
ما لعله لا يتضع عنها قال هات فأنشد

أقول لركب قافلين لقيتهم قفا ذات أو شال ومولاك قارب  
قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفه من أهل ودان طالب  
فعاجوا فأتنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق  
فقال سليمان للفرزدق كيف تراه قال هو أشعر أهل جلده و كان نصيب أسود  
فقال سليمان يا غلام أعطى نصيبا خمسمائة دينار وألحق الفرزدق يئارا بيه فخرج  
الفرزدق وهو يقول

وخير الشعر أكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد  
ولما عهد الحجاج الى يزيد بن الحكم النخعي على فارس وأتاه يودعه قال له أنشدني  
مقدرا مدحه أيضا فقال

وأبى الذي سلب ابن كسرى راية يبضاه تخفق كالعقاب الطائر  
فاسترد العهد منه وقال للحاجب إذا أتاك به فقل له أورثك أبوك مثل هذا  
فلما قال له الحاجب ذلك قال قل للحجاج

وورثت جدى مجده وفعاله وورثت جدك أعزنا بالطائف  
ثم بلغ من أثره الخلفاء أن كانوا يرون احتباس الشاعر المجيد عليهم ويحنقون  
أشد الحنق إذا قصد بمديحه غيرهم ولذلك كان غضب عبد الملك على جرير شديدا  
لمدحه الحجاج ، وحين أوفده الحجاج اليه مع ابنه محمد ليشفم له عنده قال له  
حين دخل عليه واستأذن في الانشاد «وما عساك أن تقول فينا بعد قولك في الحجاج  
من سد مطلع النفاق عليكم أم من يصول كصول الحجاج

إن الله لم ينصرني بالحجاج وإنما نصر دينه وخليفته أو لست القائل  
 أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يثقن بغيره الأزواج  
 والله لم يمت أن أطير بك طيرة بطيئاً سقوطها « ولولا توصل محمد في رضاه  
 عنه وتحايله هو في الأذن له بالانشاد حتى أنشده قصيدته المتقدمة بعضها في  
 النماذج فتبسم عبد الملك إذ سمع البيت

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح  
 ثم قال « كذلك نحن ومازلنا كذلك » ماضى عنه - ومن رجال المدح  
 والهجاء من ذكرنا من الشعراء السياسيين ومنهم في هذا العهد غير هؤلاء، أرطاة  
 ابن سبية وأعشى تغلب والجحاف السلمي وجعفر بن الزبير ومالك بن أسماء ومالك  
 ابن الربيع وغيرهم كثير، فإنه لم يبق من الشعراء من لم ينغمس في هذه الحمأة سوى أفراد  
 معدودين ألهمهم الغزل كبعض من ذكرنا مثل جميل أو منعهم غزة نفوسهم  
 أن يمدحوا كعقيل بن علقمة والمقنع الكندي وليس لهما نظراء سوى القليل .

### ٣ - انتشار الغزل ونشأة الغناء

ولقد شاءت سياسة الدولة مع ما تقدم مما فتح أمام الشعراء أبواب التكبس  
 بالشعر حتى صار الشعر يدر عاينهم من الخيرات ما لم يحظر لهم على بالجلب المدحهم  
 الزائف أو دفعا لهجوم اللاذع، أن يقف الخلفاء في وجه ذوى المكانة من خصومهم  
 القرشيين وقوفا يصددهم أن يجولوا في أنحاء الدولة أو يتصلوا بأحد من ذوى  
 الاقدار في البلاد المفتوحة فاحتجزوهم في الحجاز أنسب المواطن لهذا الحجز،  
 ولكنهم أغدقوا عاينهم النعم إغداقا ونثروا لهم المال تترافولد فيهم هذا الفراغ  
 ذو الجودة التفنن في ضروب الاستمتاع والجري الى غير حد في ميادين النعم  
 وكان من ذلك أن نبت بهذا الاقليم نوع ثالث من الشعر شرق وغرب مع  
 النوعين السابقين وكثرت شعراؤه كثرة شعراؤهم وذلك هو الغزل. غير أن الغزلين

انشطروا شطرين بحكم البيئة التي فيها يعيشون والنظام الذي عليه يجرون. فسكان المدن منهم وأخصها المدينة ومكة والطائف مأوى الجوارى والقيان وملتقى الحاجين والزأرين قد توزعت أبصارهم في مجالى الحسن المتغير الكثير فلم تقف أفئدتهم عند شخص دون شخص وصاروا طلاب جمال يتلمسونه أنى وجد ويعلقون به ما أقام حتى إذا مذهب أو زاحمه ما هو أجل منه فادروء وطاروا وراء الجديد مسرعين . وحامل لواء هذا بالاجماع صهر بن عبدالله بن أبى ربيعة الخزومى . أما سكان بوادى الحجاز حيث لا ترف ولا ثراء وحيث العفة العربية فى الرجل والمرأة ضاربة الجران فلم يجدوا من العوامل ما وجد هؤلاء فصار الواحد منهم يقف حبه على امرأة تتمنع عليه ولا يطمع منها فى منال الا الزورات البريئة وقلما تتاح فلا يزال يشكو بثه وحزنه وصبابته ووجده فى شعر ينزعه من القلب ويحسن فيه التعبير عن الوجدان . وإمام هؤلاء جميعا غير مدافع جميل بن عبدالله بن معمر العذرى صاحب بثينة . ولما كان هذا النوع من الغزل لا يصدر الا عن الحب اللافح بخلاف النوع الاول الصناعى فقد اعتبره الادباء الغزل الحق وجعلوا رجاله الغزلين العاشقين وبذلك كان جميل إمام الناسيين جميعا بالاجماع ومن رجال الغزل غير هذين المقدمين مجنون ليلى والعرجى والحارث الخزومى وأبو دهب الجمحى وابن قيس الرقيات وكثير عزة وقيس بن ذريح والمخبل القيسى وابن ميادة وذو الرمة والاحوص ويزيد بن الطثرية وحميد بن ثور وغيرهم كثير ممن خلقوا أدبا ثالثا بالحجاز نظير الادب الموالى بالشام والمعارض بالعراق هو الادب اللاهى أو الباكى . وقد استتبم وجوده نشوء الغناء بالحجاز لما بين الغناء وهذا النوع الشعرى من تمام الصلة وشدة العلاقة ولحاجة العيشة المترفة اليهما حاجة تكمل أسباب لذاتها وتحوطها بالنعيم من جميع جهاتها

## نشأة الغناء وكثرة المغنين :

نشأ الغناء العربي بالحجاز أول ما نشأ بها تهيأ له من عوامل الترف والغنى والدعة والفراغ فضلا عن ميل العرب بطبائعهم إليه واستعداد الحجازيين له أكثر من غيرهم لما عرف فيهم من رقة طبع ولطف ذوق وعن قطرهم من اعتدال هؤلاء واعتلال نسيم. وكانت نشأته بمكة على يد أبي عثمان سعيد بن مسجع مولى بني مخزوم من السودان. ويقولون في سبب هذا أنه سمع غناء من بنائين أحضرهم معاوية إلى مكة من الشام لبناء الدور المسماة بالرقط فاعجبه غناؤهم فاقتبس منه وغنى على شاكلة بالعربية أو أنه سمع ذلك من عمال أحضرهم من الفرس عبد الله بن الزبير لتجديد الكعبة بعد هدم جوانبها على أثر ضربها حين خروجه على أنه لا مانع من الجمع بين السببين فيكون قد اقتبس من الغناءين الرومي والفارسي. وقد زاده افتنانا سفره بعد ذلك إلى الشام وإلى الفرس التهنيد مما اقتبس بأخذ ما يستحسن واطراح ما يستقبح ولهذا لم تم له الشهرة الا حيث أجاد النقل والتهذيب وكان ذلك على أيام عبد الملك بن مروان ومن أوائل ما صنع من أصوات وهو من أجود أصواته مع ذلك هذه الايات من شعر الاحوص

منى على عان أطلت عناءه      قد يملك الحر الكريم فيسجج  
 أسلام إنك قد ملكت فأسججى      فى الغل عندك والعناة ترح  
 إني لأنصحكم وأعلم أنه      سبان عندك من يغش وينصح  
 وإذا شكوت إلى سلامة حبها      قالت أجد منك ذام تمزح

وقد أخذ عنه ابن سريج والغريض وغيرهما وعن الغريض أخذ معبد بعد .  
 أما نشأته بالمدينة فكانت على يد سائب خاسر مولى عبد الله بن جعفر من الفرس

ويقولون في سبب هذا أن رجلا فارسيا يدعى نشيطا قدم المدينة فغنى بالفارسية  
وكان لعبد الله بن جعفر شغف بالطرب والغناء فأعجب به فقال له سائب مولاه  
أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية ثم غدا عليه وقد صنع هذا اللحن  
لمن الديار رسومها قمر لعبت بها الأرواح والقطر  
وخلالها من بعد ساكنها حجج مضين ثمان أو عشر  
والزعفران على ترائبها شرق به اللبات والنحر  
وقد أخذ عنه مالك بن أبي السرح ومعبد أيضا وجيلة وعزة الميلاء  
وبعمل ابن مسجح وسائب ومن أخذ عنهما وجد الغناء العربي الواقع على  
أصول النغم، فبعد أن لم تكن العرب تعرف منه إلا النصب وهو حذاء الركبان،  
والهزج وهو الخفيف الذي كانت ترقص عليه الأعراب، ثم السناد وهو الثقيل  
الذي كان يغنى به في غير الحذاء والترقيص، أصبحت وقد تعددت عندها النغمات  
وكثرت الألحان في صناعة الأصوات حتى صارت تضارع فيه إن لم تفق أمي  
الفرس والروم . ومما ساعد على هذا التقدم السريع ما كان من شديدا المناقسة بين  
مكة والمدينة وتسابقهما في التفوق وتعلم انقيان اللاتي ملاتهما من سبي الفرس  
والروم وفيهما من بنات الملوك والأشراف من اتسمن بمسح الحسنة وتجملن  
بآثار الحضارة والنعيم فكان خير معينات على هذا النبوغ، وأخذت المدينتان  
تزخران بالمغنيات وتبعثان بأفواجهن إلى قصور الخلفاء والأمراء. وان معاوية وان  
يك قد تحشم دون الاعتداد بالغناء فقد ترك الناس يلهمون به ويسمعون ومعهم  
ابنه يزيد ذو الشغف به والاستماع للقيان على أنه لم يمض كبير وقت حتى  
هدأت الأمور بعد قليل من حكم عبد الملك وطال الملك فيه وفي أولاده فشجع  
وشجعوا حركة الغناء ثم جن به جنونا ابنه يزيد . وكان أجن من يزيد هذا

ابنه الخليل الوليد بن يزيد

ولما كانت الشعر العربي أصلح أنواع الشعر للغناء وكان لم يخلق الا له في نفوس الاعراب فقد عاد عليه رواج الغناء بالرقى الباهر والتقدم غير المسبوق بنظير إذ شاع استماع العامة له في الغناء وكان قبل يكاد يكون وقفا على الخاصة وذوى الاقدار فكان هذا أذيع له وأشد تعريفها بصاحبه في بيوت العظماء وقصور الخلفاء ومن هنا اتخذه الشعراء سلهة للشهرة فخذلوا المغنين وصافوهم وكثيرا ما كان يتقاصم شاعر ومغن ما يصيب كلاهما من جوائز وصلات. ثم كثر الشعراء المغنون كمنصيب والمغنون الشعراء كابن عائشة وغيرها أمثال حنين الحيرى وسعيد الدارمى ومحمد بن الاشعث وعبادل مولى قريش. ولقد حمل إقبال المغنين على بعض الشعر دون بعض في تخيير الاصوات جبهة الشعراء على التسابق في هذا الفخار فأقبلوا من كل نفوسهم على أشعارهم يجودونها بما يرفقون من الفاظ ويسلسون من أساليب وبما يتكررون من معان ويودعونها من تأثير فكان للشعر من هذه الناحية في تجميل أسلوبه وتجلية معناه ما أوجد له طابعا جديدا وبخاصة في أنسب فنونه للغناء وهو فن الغزل الذى من أجله ذكرنا هذه الكلمة في الغناء فلنعد بعدها الى ما كنا بصددده عن الشعر من بيان الاغراض.

٤ - ضالة الاغراض الاخرى وكثرة الرجز

على أنه لم يبق علينا بعد الذى أفضنا فيه عن الاغراض الثلاثة الرئيسية التى أسلفنا سوى أن نقول إنها لم تدع لسائر أغراض الشعر بجانبها من ظهور فقد غطت على ماعداها وصرفت الشعراء بقوة طغيانها وشدة تيارها عن أن يقولوا في غيرها فلم تدع لهم متسعاً ينفذون منه الى سواها الا ما كان في الفينة تبعد عن الفينة والمناسبة تعرض شديدة الدواعى قوية التأثير ولذا لا نكاد

نجد شاعرا خلص الى فن غيرها خلوصا عرف به أو كان ذا غناء فيه ، وإذن كل من ذكرنا من الشعراء إلا القليل كان له في باقي فنون الشعر أو بعضها ما حفظ للشعر بقاءها وجعله لا ينقص في عصره هذا غرضا كان له من قبل جاهلية أو إسلاما. وفيما ذكرنا من نماذج تحت الرقم الرابع ما يوضح هذه الفنون الباقية وهي أربعة، الفخر والوصف والرثاء والحكمة، هذا ولا يفوتنا قبل الخروج عما نحن فيه الى موضوعنا الأخير وهو « عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب ثم انتشار الرواية وكثرة الرواة » أن ننبه الى ما ناله الرجز في هذا العصر من رقي فاق فيه ما كان له في العهدين السالفين على أيدي رجال ليسوا بالقليل أشهرهم العجاج وأبو النجم وكانا متعاصرين ثم رؤبة بن العجاج وأدرك بعدها العباسيين . وقد كان لتعاصر أبي النجم والعجاج ومادب بينهما من تنافس في هذه السبيل أثر كبير في تقدم الرجز جعل الناس يعتدون به وفي مقدمتهم الشعراء فقد جرى كلاهما الآخر مجازاة شديدة وجاريا معا الشعراء في إطالة القصيد وتناول كثير من الأغراض حتى عدا من الفحول المقدمين ثم جاء رؤبة فنهج نهجها وزاد، ولكل من الثلاثة ديوان على أن أبلغ ما قال الرجز مودع كتاب أراجيز العرب لعميد اللغة وفتيها صاحب السباحة والسيادة السيد محمد توفيق البكري رحمه الله

### عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب

#### ثم نشأة الرواية وكثرة الرواة

قلنا في آخر الكلام على الكتابة العلمية والتدوين، إن موطن العلوم الشرعية الحجاز وموطن اللسانية العراق وموطن الأخرى الشام . وبذلك كانت المجامع

الأولى للعلماء المدينة ومكة والبصرة والكوفة ثم دمشق . ولقد عني خلفاء  
الأمويين وأمرؤها منذ معاوية بتنشيط الحركة العلمية والذهاب بها قدما الى  
الامام . فهذا معاوية وحفيده خالد بن يزيد كان لهما على ماتقدم الفضل المباشر في  
تدوين العلوم غير الشرعية واللسانية بما بذلا من مجهود شخصي أوجدها من  
عدم وجعل لها في العربية مكانا ومستقرا . أما الشرعية واللسانية فلم تكونا في  
حاجة من الخلفاء والأمراء الى المجهود المباشر لأن اندفاع العلماء من الصحابة  
والتابعين إلى نشر الاسلام ولغة الاسلام وتفقيه الناس بتعليم القرآن والحديث  
واللغة كان بالغاً أشده غير محتاج الى مزيد فلم يزل بهم في اطراد حتى تم لهم  
وضع أسسها في الجامعات المذكورة ثم لم يابثوا أن انبثوا في عواصم البلاد  
المنفتوحة شرقا وغربا يثبتون أصول هذه العلوم ويرفعون من قواعدها حتى  
شملت الحركة العلمية كل مكان وأقبل الموالى بشغف شديد يتلقون عنهم ما يذيعون  
ليرفعوا من شأن أنفسهم في نظر القاطنين وليثبتوا أنهم أبناء أمم متمدينة  
ذات استعداد للرقى عظيم فكان أن أصبحوا حملة لواء العلم بعد الصحابة  
والتابعين وهذه الجهود العلمية المثمرة وان لم يك للخلفاء والأمراء فيها  
نصيب العامل المشارك كما كانت الحال من بعضهم في العلوم الأخرى كانت تنمو  
تحت رعايتهم وتترعرع بسقيهم وعنايتهم فكثيرا ما حبسوا على رجالها الارزاق  
وأسندوا اليهم كبار المناصب فضلا عما كانوا يحملون لهم من تعظيم وتبجيل  
وفي هذا حث أيا حث على تقدم العلوم ووفرة النابغين وان لم يزاول كثير منهم  
بالفعل التأليف والتصنيف

وأما عنايتهم باللغة والأدب فقد فاقت كل عناية وشغلت من نفوسهم المحل  
البنائي بعد المهام السياسية أو الأولى معها، لأنها عون عليها. ذلك بأنهم رأوا تثبيت



ملكهم في إحياء العصبية كما تقدم فكان في هذا إحياء الادب القديم وإعادة مذاكرته ومدارسته بعد أن ألهى عنه طويلا صدر الاسلام حتى كان ينسى .  
ومما توج هذه العناية بالنجاح الباهر والمحصول الوافر أن كان الخلفاء أنفسهم من كبار الملمين باللغة والادب العارفين لمحاسن الكلام ودقائقه الراغبين في ألا تخلو مجالسهم من حوار فيه وتقاش، فإن هذه الأشياء مجتمعة ومعها غيرها منهم أيضا حملت أرباب الكلام على العناية بالقول والاحتفال بتجويده قبل إهدائه كما حملت رواة الأدب على أن يلموا بالكثير الذي يحسنون عرضه ويحيدون تقلبيه حتى تولد بذلك ضرب رشيق من الحوار الادبي تم فضجه واستوى على يد شيخ هذه الحلبية الخليفة النابغة عبد الملك بن مروان اذ هدأت يده عواصف الفتن واستقرت باعماله أمور الدولة ففاض عهده وعهد أولاده من بعده وكلهم أديب بارع وبمخاطبة عالم بهذا الحوار الذي شغل ما كان يشغله من قبل الحوار السيامي في عهد معاوية وأنتج ما نرى بعضه الآن قد ملأ كتب الادب وعاد على اللغة بوافر الغلات . ولما كان عبد الملك يعتبر رأس ذلك الحوار ورافع لوائه لم نجد بدا من إيثاره بكلمة تمثل الدرجة التي بلغها والتي كان على نخطها ما كان منه في عهد أولاده من بعد .

آلت الخلافة إلى عبد الملك وكان أعلم خلفاء بني أمية ومعقد فخازم ، من أية ناحية نظرت إليه ألفتته الجواد لا يشق غباره وانفجلا بقدمه أنفه والخصم يدين له الألداء بالاذعان والتسليم فان طلبت السياسة ألفت حكمة وخبرة وطدت الملك وقوته وجعلته للطائم العسل حلاوة والماء سلاسة، وعلى العاصي الصاب طعما والشوك مسا . وان أردت دينا وعلما وجدت الشريعة قد ساءت اليه زمامها وألقت عنده عصا تسبأرها من شدة حفظ للكتاب والسنة الى جودة فقه لمعانيهما

إلى بعد نظر في التشريع ومعرفة الاحكام . فاذا ما نشدت أدبا وهو معناها هنا هالك منه الخضم بغزارة مائه وبعد قراره ومرتمى ساحله وشدة تياره، اذا استسقيت روائك فيضه وان جادلت هاضك موجه . ولقد ظهر ذلك جليا في روايته للشعر وهو صميم الأدب ظهورا لم يجارده فيه الرواة وفي علو تقده له علوا لم يتسام اليه النقاد حتى أصبح مجلسه منتدى الأدب ومنتقد الشعر وصفا له الوقت وطال فتم على يديه فتح هذا الباب الجديد للادباء . وهذى بعض أمثلة له ترى درجة بصره بخير الشعر، وجوده تقده إياه، وعسن تمثله به .

#### ١ - درجة بصره بخير الشعر -

قال لمؤدب ولده اذا رويتهم شعرا فلاتروهم إلا مثل قول العجير السلولى .  
 يبين الجار حين يبين عنى ولم تأنس إلى كلاب نجارى  
 وتظعن جارتى من جنب بيتى ولم تستر بستر من جدارى  
 وتأمن أن أطلع حين آتى عليها وهى واضعة الخمار  
 كذلك هدى آبائى قديما توارثه النجار عن النجار  
 فهدى هديهم وهم افتلونى كما افتلى العتيق من المهارى  
 وقال اذ قبض على أزمة الامور بيده وأصبح يرجي حلمه وصفحه ، لعدة من  
 أهل بيته وولده . ليقول كل واحد منكم أحسن شعر سمع فذكروا لامرىء القيس  
 والاعشى وطرفة وأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا فقال أشعر من هؤلاء  
 والله معن بن أوس حيث يقول

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه بجملى عنه وهو ليس له حلم  
 اذا سمته وصل القرابة سامنى فطبعتها تلك السفاهة والظلم

فأسمى لى أبى ويهدم صالحى وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم  
 يحاول رغمى لا يحاول غيره وكالموت عندى أن يحل به رغم  
 فما زلت فى لىنى له وتعطفى عليه كما تحنو على الولد الأم  
 لأستل منه الضغن حتى سللته وقد كان ذا ضغن يضيق به الحلم  
 وقال يوما فى مجمع من الشعراء يا معشر الشعراء تشبهوننا بالأسد الأبخر والجبل  
 الوعر والملح الاجاج ، ألا فلتم كما قال كعب الاشقرى

لقد خاب أقوام مروا ظلم الدجى يؤمون عمرا ذا الشدير وذا البر  
 يؤمون من نال الغنى بعد شيبه وقامى وليدا ما يقامى ذوو القعر  
 فقل للجيم يا لبكر بن وائل مقالة من يلحى أخاه ومن يزرى  
 فلو كنتم حيا صميا نفيتم بخيلكم بالرغم منه وبالصغر  
 ولكنكم يا آل بكر بن وائل يسودكم من كان فى المال ذا وفر  
 هو المانع الكلب النباح وضيغه خميص الحشاير عى النجوم التى تسرى  
 وقال وقد ذكر زهير وهرم، ما يضر من مدح بما مدح به زهير آل أبى حارثة  
 من قوله

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين الساحة والبذل  
 ألا بملك أمور الناس فما ترك زهير منهم غنيا ولا فقيرا الا وصفه ومدحه «  
 وقال يوما لولده وأهله « أى بيت ضربته العرب ووصفته أشرف حواء  
 وأصلا وبناء » فقالوا فاكثروا ولم يصبروا فقال هو « أكرم بيت وصفته العرب  
 بيت طقيل الذى يقول فيه

وبيت تهب الريح فى حجراته بأرض فضاء بابه لم يحجب

سماوته أسمال برد محبر وصهوته من أنحمى معصب  
وأطنابه أرسان جرد كأنها صدور القنا من بادىء ومعقب  
نصبت على قوم تدور رماحهم عروق الاعادى من عزيز وأشيب  
فهذا من فكاهاته فى هذا الباب. ومنها أيضا أنه قال لجلسائه أى المناديل أفضل  
فقال قائل مناديل مصر كأنها غرقىء البيض وقال آخر مناديل اليمن كأنها نور  
الربيع فقال بل مناديل عبدة بن الطبيب حيث يقول

لما نزلنا نصبتنا ظل أخبية وفار للقوم باللحم المراجيل  
ورد وأشقر ما يأنيه طابخه ما غير الغلى منه فهو ما كول  
نمت قنا الى جرد مسومة أعرافهن لا يدينا مناديل  
٢ - جودة نقده للشعر -

ذكر لجلسائه يوما قول نصيب  
أهيم بدعد ما حييت فان أمت أو كل بدعد من يهيم بها بعدى  
فسكل عابه إذ لم تجمد الرواة ولا من يفهم جواهر الكلام له مذهبا فيه. فقال فلو  
كان اليك كيف كنتم قائلين فقال رجل منهم كنت أقول  
أهيم بدعد ما حييت فان أمت فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى  
فقال ما صنعت شيئا فقبل له فكيف كنت قائلا فى ذلك يا أمير المؤمنين قال  
كنت أقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى  
فقالوا أنت والله أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين  
ووفد عليه عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة فقال له أنت القائل  
أأترك لىلى ليس بينى وبينها سوى ليلة إنى اذن لصبور  
قال نعم قال فبئس المحب أنت تركتها وبينك وبينها غدوه

واستنشد أسيلم بن الأحنف الاسدي أحسن ما مدح به فقال قول القائل  
 ألا أيها الركب المخبون هل لكم بسيد أهل الشام تحبوا وترجعوا  
 من النفر البيض الذين إذا اعتزوا وهاب رجال حلقة الباب قعقعوا  
 إذا النفر السود اليمانون نمنوا له حوك برديه أجادوا وأوسعوا  
 جلا المسك والحمام والبيض كالدمى وفرق المدارى رأسه فهو أنزع  
 فقال له ولكن ما قال أخو الاوس أحسن مما قيل لك وأنشد « يريد أبا قيس  
 ابن الاسلت »

قد حصت البيضة رأسى فما أطعم يوما غير تهجاع  
 ولما أنشده الاخطل قوله

بكر العواذل يتدردن ملامتى والعاذلون فكلمهم بلحافى  
 فى أن سبقت بشرية مفدية صرف مشعشة بماء شنان

قال له إن شبيب بن البرصاء أكرم منك وصفا لنفسه حيث يقول  
 وإنى لسهل الوجه يعرف مجلى إذا أحزن القاذورة المتعبس  
 يضى سنا جودى لمن يبتغى القرى وليل بخيل القوم ظلماء حندس  
 ألين لذى القربى مرارا وتلتوى بأعناق أعدائى حبال فتمرس  
 ولما دخل عليه أرطاة بن سبية وكان قد هاجى شيبيا هذا فاستنشه بعض  
 ما قال فيه فأنشده والخطاب لشبيب

أبى كان خيرا من أيبك ولم يزل جنيبا لآبائى وأنت جنيب

قال له كذبت شبيب خير منك أبا. ثم أنشده والخطاب لشبيب أيضا

ومازلت خيرا منك مذعض كارها برأسك عادى البجاد ركوب

قال له صدقت أنت فى نفسك خير من شبيب. قال أبو عبيدة فعجب من عبد الملك

من حضر لمعرفة أقدار الناس على بعدهم منه في بواديهم إذ كان الأمر كما يقال .  
 ومن هذه الناحية ماروى من أنه لما دخل عليه الجحاف بن حكيم السلمي بعد أن  
 أمنه وحضر من بلاد الروم واستنشده بعض ما قال في غزوته فأنشده  
 صبرت سليم للطعان وطامر وإذا جزعنا لم نجد من يصبر  
 قال له كذبت ما أكثر من يصبر، فلما أنشده

نحن الذين إذا علوا لم يفخروا يوم اللقاء وإن علوا لم يضجروا  
 قال له صدقت حدثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنك كنتم كما وصفت  
 يوم فتح مكة .

ولما استأذنه عبيد الله بن قيس الرقيات بعد أن عفا عنه وأمنه وكان منقطعا  
 إلى مصعب بن الزبير في أن يمدحه فأذن وأنشده قصيدته التي يقول فيها  
 إن الاغر الذي أبوه أبو العاص صى عليه الوقار والحجب  
 يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب  
 قال له يا بن قيس تمدحني بالتاج كأنى من العجم وتقول في مصعب  
 إنما مصعب شهاب من الله تجات عن وجهه الظلماء  
 ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء  
 أما الأمان فقد سبق لك ولكن لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا  
 ولما بلغه قول جرير في مهاجته الاخطل من أبيات تقدمت بالتماذج  
 هذا بن عمى في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا

قال مازاد ابن المراجعة على أن جعلني شرطيا له أما إنه لو قال ( لو شاء ساقكم  
 إلى قطينا ) لسقتهم اليه كما قال . واجتمعا عنده ومعهما الفرزدق فأحضر بين  
 يديه كيسا فيه خمسمائة دينار ثم قال ليقبل كل منكم بيتا في مدح نفسه فأبىكم

غلب فله السكيس فبدأ الفرزدق فقال

أنا القطران والشعراء جربى وفي القطران للجربى شفاء  
فقال الاحظل للفرزدق

فان تك زق زاملة فانى أنا الطاعون ليس له دواء  
فقال جرير لهما

أنا الموت الذى آتى عليكم فليس لهارب منى نجاه  
فقال عبد الملك فلمعمرى إن الموت يأتى على كل شيء وقضى له. وكان الفرزدق  
اذا اجتمع مع جرير عنده ظن فى أخذه هذا المعنى غلبة له على جرير فقال، النوار  
طالق ان لم أقل شعرا لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه أبدا ولا يجرد فى الزيادة  
عليه مذهبا قال عبد الملك ما هو فقال

فانى أنا الموت الذى هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله  
وما أحد يابن الأتان بوائل من الموت إن الموت لاشك نائله  
فأطرق جرير ثم قال أم حزره طالق ثلاثا إن لم أكن تقضته وزدت عليه فقال  
عبد الملك هات فقد والله طلق أحدا لا محالة فانشد

أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكفيك يابن القين هل أنت نائله  
أنا الدهر يفتى الموت والدهر خالد فجمنى بمثل الدهر شيئا يطاوله  
فقال عبد الملك فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك فبانت النوار وندم الفرزدق  
وذلك حيث يقول

ندمت ندامة الكسعى لما غدت منى مطلقة نوار  
هذا وكان عبد الملك لبصره بالشعر يذعن للخصم فى النقد إذا كان مصيبا وهذا  
من البصر أيضا، روى أنه لما أنشد قول كثير فى أخذه الخلافة

فما تركوها عنوة عن مودة راكبن بحمد المشرفى استقامها  
أعجب به كل العجب وكان الاخطل حاضرا فقال ما قلت والله يا أمير المؤمنين  
أحسن منه قال وما قلت فأنشده

أهلوا من الشهر الحرام فأصبحوا موالى ملك لا طريف ولا غصب  
جعلتها لك حقا وجعلك قد أخذتها غصبا قال صدقت. ولم يك هذا منه تعصبا  
لشاعره الاخطل فكثيرا ما كان يقضى عليه. روى أنه لما أنشد قوله  
فاذا تعاودت الاكف زجاجها تفجحت فشم ريحها المزكوم  
فأعجب به وقال سمعت بمثل هذا يا شعبي وكان حاضرا فقال الشعبي أشعر منه  
والله أعشى فيس حيث يقول

من اللأئى حمان على المطايا كريح المسك تستل الزكاما  
قال صدقت

٣ - حسن تمثله بالشعر -

أما حسن تمثله بالشعر - وتقدم بعضه فى خطبه وكتبه - فقد كان حليفه فى  
كل داعية جدا كانت أم هزلا -

كان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه ينشده  
إنا إذا مالت دواعى الهوى وأنصت السامع للقائل  
واصطرع القوم بألبابهم تفضى بحكم عادل فاصل  
لا نجعل الباطل حقا ولا نلظ دون الحق بالباطل  
نخاف أن تسفه أحلامنا فنخمل الدهر مع الخامل  
وكان يتمثل فى الحروب عند كل لقاء بقول شبيب بن البرصاء

دعانى حصن للفرار فساءنى مواطن أن يثنى على فأشتما  
فقلت لحصن نح نقسك إنا يذود الفتى عن حوضه أن يهدما  
م ٢١ - أدب



تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد      لنفسى حياة مثل أن أتقدما  
سيكفيك أطراف الأسننة فارس      اذا ريم نادى بالجوار وبالجمي  
اذا المرء لم يغش المكاره أو شكت      حبال الهوينى بالفتى أن تجدما  
ولما لاذت به زوجه طائكة بنت يزيد إذ خرج لحرب مصعب تريد منه فأبى  
فبكت وبكت معها جواربها جلس وقال قاتل الله كثيرا والله لكأنه يرانى  
ويراك يا طائكة حيث يقول

إذا ما أراد الغزولم تنن هم      حصان عليها عقد در يزينها  
نهته فلما لم تر النهى طاقه      بكت فبكى مما شجها قطينها  
ثم نهض فكان في خروجه قتل مصعب. وطائكة هذه هى التى حدث بينه وبينها  
جفوة شقت عليه ووسط من خاصته من يزيلها فلما طلع الرسول برضاها اندفع  
متمثلا بقول كثير أيضا

وانى لأرعى قومها من جلالها      وإن أظهر واغشا نصحت لم جهدى  
ولو حاربوا قومي لكنت لقومها      صديقا ولم أحمل على قومها حقدى  
ومع ذلك لم يستمع لها اذ جد الجد في الحرب وكان هذا شأنه. ورد عليه كتاب  
ابن الأشعث السابق وهو يستعرض جارية بعث بها اليه واليه على الجين فنحهاها  
وامتنع فقالت ما يمنعك يا أمير المؤمنين قال يمنعنى ما قاله فينا الاخطل لاني  
إن خرجت منه كنت الام العرب وأنشد

قوم اذا جاربوا شدوا ما زرهم      دون النساء ولو باتت بأطهار  
ولما استنشد أبا العباس الاعمى رثاء مصعبا فأنشدته قوله  
يرحم الله مصعبا فلقد      مات كريتها ورام أمرا جسيما  
قال أجل إنه مات كريتها ثم تمثل

ولكنه رام التي لا يرومها من الناس إلا كل حر معمم  
 وكان في تمثله بالشعر صريحا لا يبالي روى أن عروة بن الزبير إذ لحق به بعد  
 قتل أخويه مصعب وعبد الله وأقام عنده فكان يكرمه منفردا ويستخف به  
 مجتمعا قال له يا أمير المؤمنين أراك تكرم ضيفك في الخلاء وتهينه في الملا قال  
 لله در زهير حيث يقول

فقرى في بلادك إن قوما متى يدعوا بلادهم يهونوا  
 فاستأذن عروة في الرجوع الى المدينة ففضى حوائجه وأذن له . ومن هذا  
 أيضا أنه كان كلما نظر الى أخيه معاوية وكان ضعيفا تمثل بهذين البيتين للمغيرة  
 بن حبياء في أخيه صخر وكان كذلك

أبوك أبي وأنت أخي ولكن تفاضلت الطبائم والظروف  
 وأمك حين تنسب أم صدق ولكن ابنها طبع سخيف  
 ولما مات أخوه عبد العزيز وكان به حدبا كان يكثر ترديد هذه الابيات ويبيكي  
 يأبها المتمنى أن يكون فتى مثل ابن ليلي لقد خلا لك السبلا  
 إن ترحل العيس كي تسعى مساعيه يشفق عليك وتعمل دون ماعملا  
 لو مرت في الناس أقصاهم وأقربهم في شقة الارض حتى تحسر الا بلا  
 تبغى فتى فوق الارض ما وجدوا مثل الذي غيبوا في بطنها رجلا  
 أعدد ثلاث خصال قد عرفن له هل سب من أحد أو سب أو بخلا

ولما دخل عليه نصيب بعد وفاة عبد العزيز هذا وكان من خواصه ومادحيه  
 قال له أنشدني ما رثيت به أخي فأنشد

عرفت وجربت الأمور فما أرى كإض تلاه الغابر المتأخر  
 ولكن أهل الفضل من أهل نعمتي يمرون أسلافا أمامى وأغبر

فان أبكع أعددرو إن أغاب الأسمى بصبر فثنى عند ما اشتد يصبر  
أعاد بيته الاخير وقال له وملك أنا أحق بهذه الصفة فى أخى منك فهلا وصفتنى  
• هاوجعل بيكى •

وأخر ماتمئل به من الشعر وتأثر له من التمثل بالشعر ما حدث به الشعبي قول  
دخلت على عبد الملك بن مروان فى علقته التى مات فيها فقلت كيف تجمدك  
يا أمير المؤمنين فقال أصبحت كما قال عمرو بن قننه

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عنى عنان الجامى  
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن برى وليس برام  
فلو أنها نيل إذن لا تقيتها ولكنما أرمى بغير سهام  
وأهلكنى تأميل يوم وليلة وتأميل عام بعد ذاك وطام  
فقلت كيف ذلك يا أمير المؤمنين وهذا كما قال اميد

قامت تشكى الى الموت مجهشة وقد حملتك سبعة بعد سبعة  
فان زادى ثلاثا تبلغى أملا وفى الثلاث وفاة للثمانينا  
فماش حتى بلغ التسعين فقال

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عن منكبي ردائيا  
فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين فقال  
وغنيت دهرا قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود  
فعاش حتى بلغ مائة وأربعين فقال

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذى الناس كيف ليبد  
فتبسم عبد الملك وقال قويت من نفسى بقولك يا طامر وإنى لأجد خفا وما  
بى من بأس، وأمر لى بصلة وقال لى اجلس يا شعبي فحدثنى ما بينك وبين الليل  
فجلست فحدثته حتى أمسيت وخرجت من عنده فما أصبحت حتى سمعت الواعية  
فى داره

## نشأة الرواية وكثرة الرواه

هذا هو النهج الذي نهجه عبد الملك في مجالسه فشاع الحوار الادبي بين الناس ووجدت ملكة النقد في نفوسهم وانتشرت مجامع الادب من دور الخلفاء الى دور الولاة والمساجد والاسواق وبخاصة سوق البصرة المعروف بالمربد فقد حل في الاسلام محل عكاظ في الجاهلية وزاد . فكانت تتألف فيه حلقات المناشدة والمفاخرة وتعتقد به مجالس الادب والرواية اذ يقصده الشعراء من كل فج ومع كل شاعر راويته ولكل حلقة الخاصة به وبأنصاره . فكان التنافس بين الشعراء شديدا، وحسبك دليلا على هذا ما كان بين الفرزدق وجرير ومن دب الخلاف بينهم بسببهما من الشعراء . ثم سار أبناء عبد الملك في ذلك سيرته وقد سبق ما كان من ابنه سليمان في تفضيل نصيب على الفرزدق اذ استنشدهما . ومن قبله كان الوليد يدع الشعراء في مجالسه يستمع بعضهم لبعض وينقد بعضهم بعضا . دخل عليه جرير وابن الرقاع عنده ينشده التصيدة التي يقول فيها

غلب المساميح الوليد سماحة وكفى قريش المعضلات وساندها  
قال جرير فحصدته على أبيات منها حتى اذا أنشد في وصفه الظبية (تزجي أغن  
كان إبرة روقه) قلت في نفسي والله لن يقدر أن يقول أو يشبه فلما قال  
( قلم أصاب من الدواة مدادها ) ما قدرت حسدا أن أقيم فانصرفت . ومن  
بعدهما كان يزيد أخوهما مثلهما وأكثر، فقد رد الاحوص من منفاه بيت  
من الشعر قاله فيه وسمعه من مغنيته وهو

كريم قريش حين ينسب والذي أقرت له بالملك كهلا وأمردا  
ثم جاء عهد هشام الذي ملك نحو عشرين سنة كما ملك أبوه ومن قبلهما معاوية،  
فكان غرامه بالادب شديدا حتى كان يارق في جوف الليل فيطلب من الاعراب

من يحدته فاذا أجاد كانت في هذا سعادته، ولقد أحضر له الخادم ذات ليلة  
أبا النجم الراجز وكان غاضبا عليه منذ أن قال في أرجوزة يمدحه فيها (والشمس  
في الافق كهين الاحول) وكان هشام أحول فقبله مع ذلك لشدة شغفه بمن  
يحدته وسأله ما عندك من الولد فقال ثلاث بنات زوجت منهن اثنتين وبني يقال

له شيبان فسأله عما أوصاهما به عند الزفاف فقال قلت للاولى واسمها برة

أوصيت من برة قلبا حرا بالكب خيرا والحماة شرا

لا تسمى ضربا لها وجرا حتى ترى حلو الحياة مرا

وإن كستك ذهبا ودرا والحى عميهم بشر طرا

فضحك هشام وقال فما قلت للاخري قال قلت

سبي الحماة وابتهى عليها وان دبت فازدلفى اليها

وأوجمى بالقهر ركبتها ومرفقيها واضربى جنبها

وظاهرى النذر لها عليها لا تخبرى الدهر بذلك ابنيها

فضحك هشام حتى بدت نواجذه وقال فما حال الاخرى قال درجت بين بيوت

الحى وتفتتنا فى الرسالة والحاجة. قال له فما قلت فيها قال قلت

كأن ظلامه أخت شيبان يقيمة ووالدها حيان

الرأس قل كله وصئبان وليس فى الرجلين إلا خيطان

فهى التى يذعر منها الشيطان

فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه وقال للخصى ما بقى من نفقتك قال

ثلثمائة دينار قال ادفعها إلى أبى النجم ليجعلها فى رجل ظلامه مكان الخيطين.

ولقد كتب إلى عامله على العراق أن يدفع إلى حماد الرواية خمسمائة دينار ويرحله

اليه بدمشق على جبل مهرى فلما وصله بعد اثنتى عشرة ليلة استدناه وقال له

بعثت اليك لبيت خطر يبالي لم أدركأله قال حماد قات وما هو يا أمير المؤمنين قال

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت قينة في يمينها إبريق

فقلت هذا يقوله عدى بن زيد في قصيدة له قال أنشدنيها فأنشدته إياها فطرب.

ثم أجزل من عطائه وأطاده إلى أهله

بهذا الصنيع وأمثاله من الخلفاء ونحوه مما قلدهم فيه الأمراء والولاة وسائر  
الناس شعراء وغيرهم انتشرت الرواية وكثر الرواة وكان من أشهرهم عامر الشعبي  
الذي تقدم ذكره مع عبد الملك وحماد الرواية الذي كنا في حديثه مع عمام.  
فأما عامر فكان واسع الرواية في كل فن وقد أوفده الحجاج إلى عبد الملك ليكون  
خاصته وسميره ومع قوله عن نفسه «لست أشيء من العلوم أقل رواية مني للشعر»  
كان يقول «لوشئت لأنشدت شهرا ولا أعيد بيتا» وكانت وفاته سنة ١٠٤هـ.  
وأما حماد فكان البحر لا ساحل له وكان المقدم عند بني أمية حتى استحق دون  
الرواة أن يلقب بالرواية. ولقد سأله الوليد بن يزيد وهو يكلمه في سبب هذا اللقب  
عن مقدار ما يحفظ من الشعر فقال كثير ولكني أنشد على كل حرف من حروف  
المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام.  
وهو أول من عني بتدوين الشعر إذ جمع السبع الطوال المعروفة بالمعلقات غير  
أنه لم يك ثقة كما كان الشعبي ثقة فقد آتهم بالزيادة في أشعار الناس كما آتهم  
خلف الأحمر بالوضع والاختلاق ولكن ما وضع مبهز النقاد وأرباب الكلام.  
وقد أدرك حماد الدولة العباسية إذ توفي سنة ١٥٥هـ. ومن الرواة الثقات  
أبو عمرو بن العلاء وقد تقدم وغير هؤلاء كثير فليرجع في أخبارهم وفي سائر  
ما أشرنا إليه من نقد إلى كتب الأدب التي تزخر بذلك وتفيض.

## وبعد

فان لنا بعد الذي تقدم عن اللغة نثرها وشعرها في العصر الاموي، أن  
نصفها غير متحسين بأنها قامت بكل مقتضيات الملك والسياسة أحسن قيام وأن  
فيها من المطاوعة ماسايرت وتساير به أعظم المدنيات وأرقى الحضارات .  
والله حسبنا وهو المستعان.



## فهرس

تاريخ الأدب العربي في صدر الاسلام والعصر الأموي

### ٤ عصر صدر الاسلام

٤ أثر الاسلام في العرب وفي لغة العرب

٤ - ٦ الانقلاب الحسى

٧ - ١٠ » المعنوى

١٠ - ١١ نتيجة ذلك وأثر القرآن الكريم فيه

### ١٢ القرآن الكريم

١٢ - ١٦ نزوله

١٦ - ٢١ جمعه وروايته

٢١ - ٢٤ إعجازه

٢٥ - ٣٢ وجوه الاعجاز

٣٢ - ٣٤ الوجه الحق للاعجاز

٣٥ - ٣٦ القرآن معجز بفصاحته وبلاغته

٣٦ - ٤١ فواصل القرآن

### ٤٢ فصاحة القرآن

٤٢ مميزات الفصاحة

٤٢ - ٤٥ تنافر الحروف وتنافر الكلمات

٤٥ - ٤٨ مخالفة القياس وضعف التأليف

٤٨ - ٥٧ الغرابة والتعقيد

٥٨ درجة الفصاحة في القرآن

٥٨ - ٦٧ تشبيهات القرآن



— ب —

مجازات القرآن	٦٧ — ٧٣
كنايات القرآن	٧٣ — ٧٦
بلاغة القرآن	٧٧
الخطير	٧٨ — ٨٠
الإنشاء	٨٠ — ٨٣
الجملة فعلية واسمية ومتعلقاتها	٨٣ — ٨٧
التنكير والتعريف	٨٧ — ٩٣
الأفراد والتذكير وفروعهما	٩٣ — ٩٧
الذكر وعدم الذكر	٩٧ — ١٠٠
التقديم والتأخير	١٠٠ — ١٠٤
الإطلاق والقصر	١٠٤ — ١٠٨
الفصل والوصل	١٠٨ — ١١٢
الإيجاز والإطناب والمساواة	١١٢
الإيجاز	١١٢ — ١١٨
الإطناب	١١٩ — ١٢٥
المساواة	١٢٥
خروج الكلام عن مقتضى الظاهر	١٢٥ — ١٣٠
الدقة في استعمال الألفاظ والتراكيب	١٣٠ — ١٣٥
تنوع القسم في القرآن وحكمته	١٣٥ — ١٣٨
الجدل في القرآن	١٣٨ — ١٤٤
بدائم القرآن لفظية ومعنوية	١٤٤ — ١٥٤
مزايا القرآن بوجه عام	١٥٤ — ١٦٢
النثر في صدر الإسلام	١٦٣
الخطابة	١٦٤
نماذجها	١٦٤ — ١٧٤

حالتها من حيث اشتداد دواعيها وزيادة عظمتها وتنوع أغراضها  
(وتأثير القرآن والحديث فيها وتمايز مميزات وفاداتها ورجالها

١٧٩ - ١٧٤

الكتابة ١٧٩

نماذجها ١٨٧ - ١٧٩

حالتها من حيث لشدةها وشيوعها ومميزاتها ونوعها  
مميزات النثر في صدر الاسلام وأثر الكتاب والسنة فيه

١٩٤ - ١٨٧

٢٠٣ - ١٩٤

الشعر في صدر الاسلام ٢٠٤

نماذجها ٢١٠ - ٢٠٤

حاله من حيث أسباب ضعفه وموقف رسول الله  
والخلفاء إزاءه وفئات رجاله وتأثره بالدين

٢٢١ - ٢١٠

العصر الأموي ٢٢٢

الخطابة ٢٢٢

نماذجها ٢٣٢ - ٢٢٢

حياتها مع الموازنة بينها وبين الخطابة في صدر الاسلام

٢٣٥ - ٢٣٢

الاجوبة والمجاورات وهي من الخطب

٢٤٤ - ٢٣٦

الكتابة ٢٤٥

نماذجها ٢٥٠ - ٢٤٥

حياتها ٢٥٠

الكتابة الديوانية والاخوانية ٢٥٧ - ٢٥٠

الكتابة العلمية وبدء تدوين العلوم ٢٦٣ - ٢٥٨

الكتابة الخطية ووضع الشكل والاعجام ٢٦٧ - ٢٦٤

لغة التخاطب واللحن والتعريف ٢٧٣ - ٢٦٨

الشعر	٢٧٤
نماذجه	٢٧٤
في الشعر السيامي	٢٧٤ - ٢٨١
» شعر المدح والهجاء	٢٨١ - ٢٨٩
» » الغزل	٢٨٩ - ٢٩٥
» » الاغراض الاخرى	٢٩٥ - ٢٩٨
حياته	٢٩٨
إحياء العصبية وعودة نزاع القبائل وانقسامها	٣٩٧ - ٣٠٠
استخدام الشعر في السياسة وفئات الشعراء	٣٠٠ - ٣٠٥
المدح والهجاء والتكسب بالشعر	٣٠٥ - ٣٠٧
انتشار الغزل ونشأة الغناء وكثرة المغنين ، لما كان	٣٠٧ - ٣١١
حجز الخلفاء من يخافونهم من الأشراف بالحجاز منهم	
النعيم عليهم إغداقا ، ومن هو هؤلاء الأشراف امر	
ونعيمهم هو أ كثر الشعر الغزلي ، ونوما الغزل في	
كل وسائر شعره - ثم نشأة الغناء مع الغزل بالح	
وأشهر المغنين ومساعدة الغناء للشعر .	
ضآلة الاغراض الاخرى وكثرة الرجز	٣١١ - ٣١٢
عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأب ثم انتشار الرواية	٣١٢ - ٣٢٧
وكثرة الرواة . ومع كلفة عن عنايتهم بالعلوم وأمثلة	
مستفادنة عن الحوار والأدبي الذي كان الأساس لنقد	
الكلام ثم نشأة الرواية وأشهر الرواة .	
الإشارة الى أن اللغة بما سبق قد قامت بمقتضيات الملك	٣٢٨
والسياسة أحسن قيام .	









